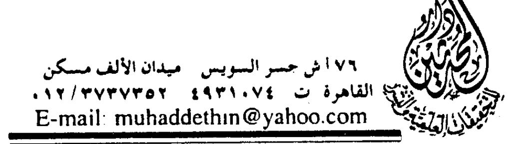
من على الخراف؟!

رقم الإيداع ١١٩٨٤/٢٠٠٣

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



٧٦ أ ش جسر السويس ميدان الألف مسكن
القاهرة ت ٤٩٣١٠٧٤ ٠١٢/٣٧٣٧٣٥٢
E-mail: muhaddethin@yahoo.com

سلسلة الردود على الافتراءات
٢

من رعى الخراف؟!

الدكتور عبد الرحمن جيرة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد......

فلا شك أن الأغنياء والمترفين هم أكثر الناس إعراضاً عن هداية السماء، فمن هؤلاء هم أكابر المجرمين، ومنهم المتحكمون في ضمائر وعقائد الناس، وهم فوق ذلك في كل قرية وفي كل مدينة يجدون لذتهم في إذلال الآخرين، وغناهم في إفقار الآخرين، وقوتهم في إضعاف الآخرين، إنهم لا يجدون سعادتهم إلا في تعاسة الآخرين.

هؤلاء هم الذين عناهم القرآن الكريم بقوله: **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾**[1].

وهم أيضاً الذين عناهم الإنجيل عندما جعل مرور الجمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله . (متى ١٩: ٢٤) .

وإذا لم يكن الغنى في حد ذاته مذموماً فإن القرآن الكريم يأتي ليصحح لنقلة الأناجيل نقلهم، وليرشدهم إلى المعنى الصحيح في قوله ﷻ : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾**[2].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية [[١٢٣]] .

(٢) سورة الأعراف ، الآية [[٤٠]] .

هؤلاء المستكبرون مع كل رسول، ومع كل رسالة تنزل من السماء لإسعاد أهل الأرض يبادرون إلى التصدي لها، والإعراض عنها، فما قبلوا شريعة تحد من سلطانهم، ولا عقيدة تحجم نفوذهم، في الوقت الذي أقبل البسطاء على دعوات الأنبياء، وحفظوا أقوالهم، وقلدوا أفعالهم، لماذا لا يكون صياد من الجليل أحد هؤلاء البسطاء، ويكون المسيح هو أحد هؤلاء الأنبياء ؟.

وإذ تتفق الأناجيل في الإجابة على هذا السؤال بشأن بطرس فإن اتفاقها يتبدد إذا افترضنا السؤال نفسه عن بولس، فبولس لم يعرف و لم تعرفه الأناجيل الأربعة، وما كان من البسطاء، ولا من أتباع المسيح، ويظن الراسخون في العلم من أهل الإنجيل أن القدر كان يدخره ليظهر عقيدة شاء الله أن تغيب إلى حين عن الحواريين والتلاميذ، وعلى هذا الظن يبنون عقيدتهم، وعلى هذه العقيدة يعلقون آمالهم في الخلاص الأخروي.

فبولس الذي حشر نفسه في سلة الحواريين زعم أنه رأي المسيح لا في الجسد مثل هؤلاء التلاميذ الغلابة، ولك أن تتخيل المسيح الذي ارتفع عن تلاميذه يتجلى فجأة على أحد المستكبرين، المسيح الذي ارتفع عن تلاميذه في الجليل أو في الخليل يتجلى على أشد الناس كفراً به خارج فلسطين، فعاد العدو من دمشق كأنه ولي حميم، وانطلق يجمع من هنا وهناك روايات وحكايات، ليبني عليها مذهباً جديداً يتخطى من خلاله مرتبة الحواريين والتلاميذ، فاخترع فكرة الخلاص بدم المسيح، ثم شرع

يعبر من خلال رسائله[١] عن تلك الفكرة التي تفسر للواهمين وهمهم، واختارت الكنيسة التي أرسى قواعدها من الأناجيل ما ظنت أنه ينسجم مع تلك الرسائل، ثم اختارت من غير الرسائل ما ظنت أنه يربط الرسائل بالأناجيل[٢] على أن الأناجيل التي اختارتها الكنيسة لم يرد فيها ولا حتى مجرد إشارة عابرة إلى رسولها الجديد، ألا يدفعنا غياب بولس عن الأناجيل إلى الحيرة والتساؤل ؟ هل يمثل زعيم الحواريين في الأناجيل ومضطهد الحواريين في الرسائل اتجاها فكرياً وعقائدياً واحداً..؟ وأيهما الأصل إذا كانت الرسائل قد كتبت قبل الأناجيل؟[٣].

المسيحيون شباب وكهول، رجال ونساءً، متعلمون وجاهلون يجمعون على أنه لا تناقض بين فكر الرجلين، ومسألة الأدلة لا اعتبار لها بعد أن حسم الآباء القضية، فما عادت مطروحة للنقاش، فهي إما أن تقبل وإما أن ترفض، وهي في كل الأحوال لا تناقش، لكننا قررنا الآن أن نناقش، وأن نبحث عن الحقيقة بعيداً عن مواعظ القديسين وخطبهم، بعيداً عن تقاليد الآباء وقوانين إيمانهم، ولسوف أفتش في الكتب، رسائل وأناجيل،

---

(١) تقوم فكرة الرسالة على مخاطبة شخص أو جماعة بما يفهمه كاتب الرسالة من شرح وتفسير للاتجاهات الرائجة في عصره حول نهاية المسيح عليه السلام.

(٢) أعني بذلك سفر الأعمال فهو يأتي بعد الأناجيل الأربعة وقبل الرسائل.

(٣) لم تحك الأناجيل ضمن ظهورات المسيح ما حدث لبولس في طريق دمشق وحتى لوقا الذي سجل القصة في سفر الأعمال لم يسجلها في الإنجيل، مع أن الأناجيل الأربعة لم تظهر إلا بعد موت بولس وغيابه.

شروحاً وتفاسير، ولسوف أبحث وأرجو أن تشاركني أخي القارئ البحث والتفتيش، وحبذا لو بدأت بقراءة العهد الجديد، لنعمل سويًا بعد ذلك من أجل الإجابة على هذا السؤال :

- من هو الراعي الحقيقي للنصارى ؟
- من هو الراعي الذي قال له المسيح ارع خرافي ؟

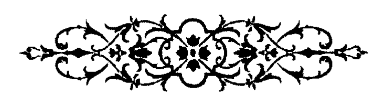
دع حُنيناً وخفيه الاثنين .. وتعال من الآن نعمل سويًا من أجل الإجابة على هذا السؤال بوضوح وصراحة.. بحياد وموضوعية..

حان الوقت لنعرف مسيرة رجل وصفه المسيح عليه السلام بأنه صخرة ثابتة في مواجهة رياح الكفر والإلحاد.. ترى من يكون هذا الرجل ؟

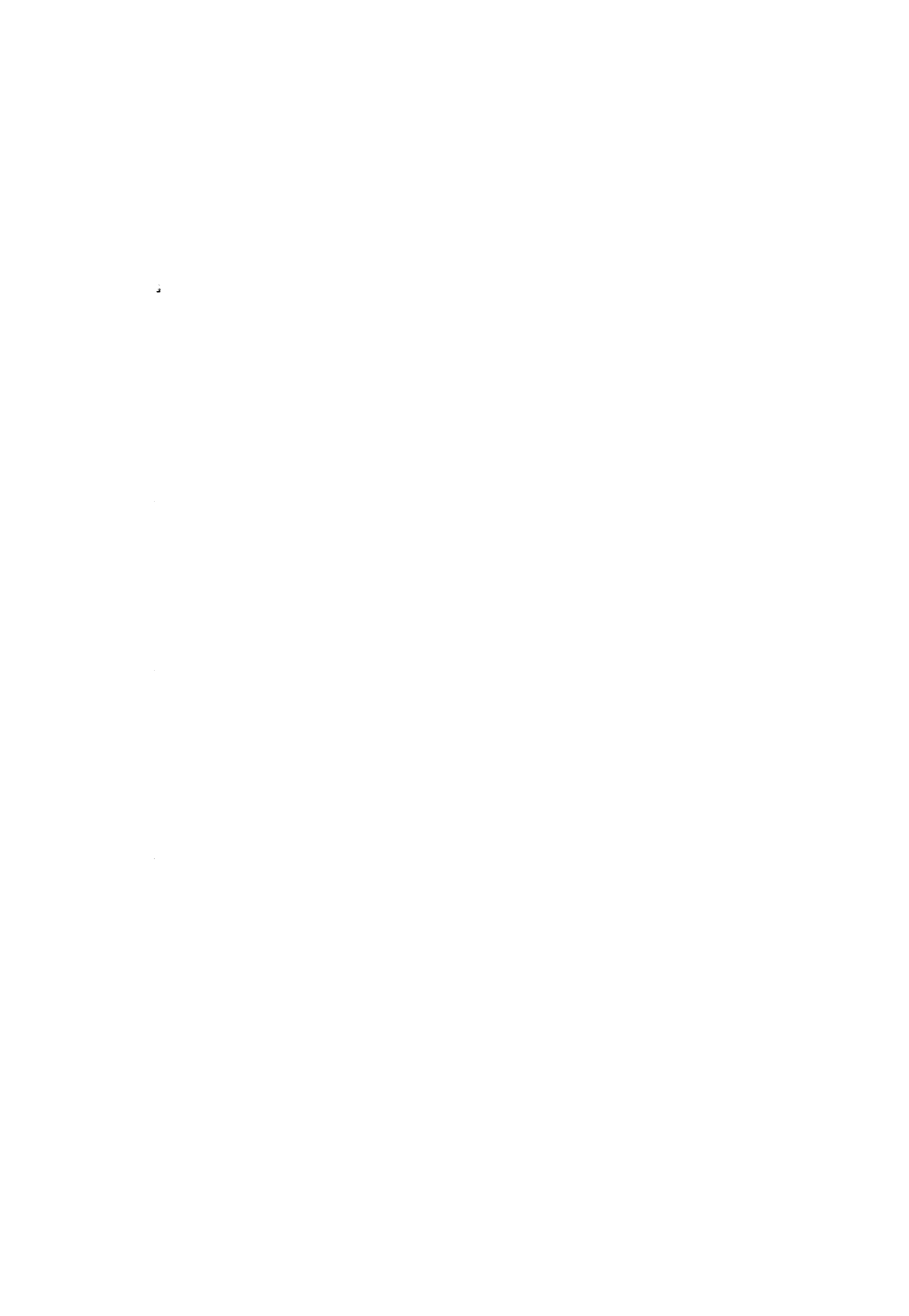
دكتور

عبد الرحمن جيرة

غفر الله له ١٤٢٤هـ



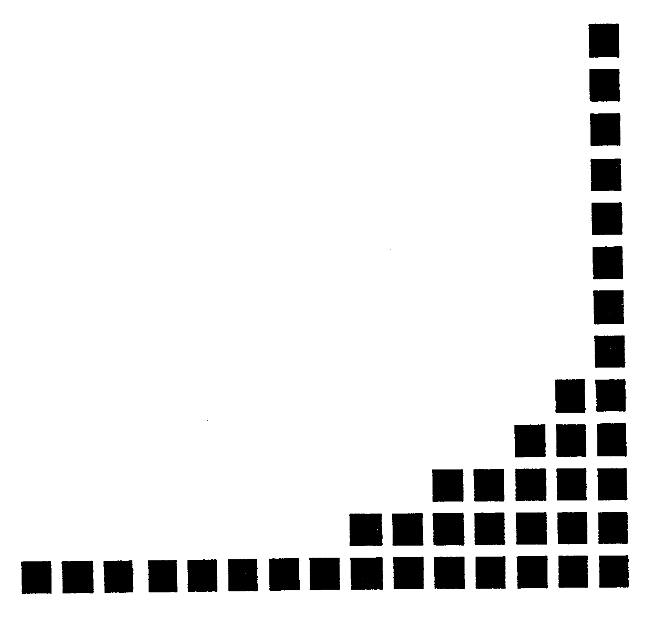






الفصل الأول

أمير الرسل



الفصل الأول
أمـــير الرسـل

عظماء التاريخ :

كاتب غربي مسيحي له اهتماماته التاريخية، جالت بخاطره فكرة اختيار العظماء المائة في التاريخ الإنساني، وهو موضوع قد يبدو سهلاً في نظر البعض، غير أنه محير بعدد ما يحويه من عظماء، فعلى أي أساس نقبل اسماً ونستبعد آخر، وعلى أي أساس نقدم اسماً ونؤخر آخر، لهذا جاء كتاب «**العظماء مائة**» الذي ألفه الكاتب الأمريكي مايكل هارت يحوي عظماء لم يسمع عنهم الخواص فضلاً عن عوام الناس. وهو لا يجعل ميزان التقديم والتأخير مرهوناً بالدين والأخلاق، ولا يفرق بين الأنبياء والعباقرة، ولا يعنيه مسألة الدين والقيم بقدر ما يعنيه الآثار التي خلفها كل عظيم في التاريخ[1] فليست العبرة في الخطأ والصواب، ولا في الشر والخير، إنما العبرة عنده في الأثر التاريخي لكل عظيم من هؤلاء العظماء. ولهذا يضع بجوار هتلر نابليون، كما يضع المسيح بجوار بوذا.

أما (**القديس**) بولس فيعتبره من أوائل الخالدين، ويضعه بجوار حكيم الصين العظيم (**كونفوشيوس**) جاعلاً إياه سابع العظماء في التاريخ الإنساني كله، فهو يقرأ التاريخ بالمقلوب، ولا يفرق بين الراعي والرعية، ولا بين الذئب والحمل، وهو يجعل الفرع أصلاً، ولا يجعل الأصل شيئاً،

---

(١) وقد لا يعنيه ذلك أيضاً فقد تجاهل من قادة المسلمين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما من حيث الأثر التاريخي لا يقلان عن هتلر ولا عن نابليون .

إذ أن بطرس هو الراعي الأول لكنيسة المسيح، هو الراعي وقتما كان بولس ذئباً يهدد خراف بني إسرائيل غير الضالة، ولكن.. وتبعاً لأهداف أو لأهواء مختلفة لم يشأ التاريخ أن يحفل بمكانة بطرس، كل هذا لأجل صلابة رأيه في الحق في وقت كان أهل التاريخ وأهل الجغرافيا معارضين لهذا الحق.

كان بطرس كما وصفه المسيح عليه السلام صخرة صامدة في وجه رياح الكفر والإلحاد، كان للمسيح كيوشع بن نون لموسى، ومع ذلك فحظه من الاهتمام لا يكاد يذكر، حظه من الأسفار المقدسة رسالتان أبى فارزو الأسفار إلا أن يوضعا في ذيل القائمة، كما أبى هارت إلا أن يطرحه خارجها.

لم يكن بطرس محور الدراسة والشهرة التي حظي بها آباء الكنيسة، وما كان في يوم من الأيام محل اهتمام كبولس، ولو تتبعت الدور الذي لعبته مريم المجدلية في المسيحية والدور الذي مارسه بطرس لوجدت المجدلية حاضرة في أحداث مهمة غاب عنها بطرس، فهي التي اكتشفت القبر الفارغ، وهي واحدة من النسوة اللواتي أرسلهن المسيح إلى بطرس الذي انقطعت صلته به بعد أن أنكره ثلاث مرات، وفضلاً عن كل ذلك لم يصفها المسيح – مع أنها كانت تحترف الدعارة – بالشيطان كما وصف بطرس.

ولئن كان المسيح قد قال لبطرس (**ارع خرافي**) فإنك لن تجد بطرس كما لن تجد خرافه الحقيقيين إلا في هوامش صفحات التاريخ، إن كنت ممن يهوى قراءة تلك الهوامش.

وليس هواة التتريخ هم وحدهم الذين يتجاهلون بطرس ودوره، فرجال اللاهوت أنفسهم لا يعدون اسمه أكثر من مجرد نقش على صفحات الأناجيل، مع أنه كان الاسم الأول ورئيس الحواريين الأول بعد المسيح، مع كل ذلك لا يذكرونه إلا وهم يتنازعون السيادة والنفوذ على أتباعهم، فأهل التقليد يظنونه ذهب إلى روما وأرسى قواعد الكرسي الرسولي. ويعتقدون أن حبرهم الأعظم هو خليفة لبطرس، ثم يكرمون خليفة بطرس بدرجة تتلاشى أمامها مكانة بطرس في أنفسهم، ومن بين البروتستانت والأرثوذكس من يصر على أن بطرس لم يلج روما ولم يشم رائحتها، وبين هؤلاء وأولئك أقاويل وأحاديث لا تستند إلا على الظن والتخمين، لكنها تشغل الحيز الظاهر من الخلاف بين الكنائس.

وبصرف النظر عن مسألة الكرسي الرسولي وما يتفرع عن البحث فيها من ذهاب أو عدم ذهاب بطرس إلى روما فإن المراجع اللاهوتية وغير اللاهوتية لا تكاد تجعل لهذا الرجل نصيباً في نشر المسيحية ولا في تأسيسها، وإنما الفضل كل الفضل يمنح لمن كان في ذلك الوقت أكثر الناس حقداً على المسيحية وأتباعها، يعطي لبولس الذي أنشأ كنيسة جديدة، نبتت في أحضان الإمبراطورية الوثنية، التي ساعدت بمناخها الديني

على ظهور أسس لاهوتية جديدة، ارتبطت بها تفسيرات فلسفية تؤدي إلى القول بألوهية المسيح.

وهكذا أصبح المسيحيون الجدد يخلطون الراعي بالرعية، وأصبح اسم بطرس وما كان أعظمه من اسم مجرد نقش على صفحات الأناجيل دون أن يكون له دور في نشر المسيحية، فقد تلقف بولس ما شاع من فكرة الصلب، وباعتباره ملماً بثقافة الرومان استطاع أن يطور المفاهيم الغامضة ليقربها من تلك الثقافة، ولهذا حقق في أعماق الإمبراطورية ما عجز عن تحقيقه في مهد المسيحية، فقد شعر بعض الرومان أنهم يميلون إلى فكرة الخلاص على أنها تفسير للدين بكامله، بينما لا تقوم وثنيتهم على تفسيرات تبلغ هذه الدرجة من الجاذبية والانسجام، فكان هذا أمراً جديداً على بيئتهم الفكرية، وجديراً بالاهتمام، وبعد أن كانت المسيحية في نظر الرومان وثيقة الصلة باليهود، أصبحت المسيحية الجديدة في نظر اليهود قريبة من وثنية الرومان، وتغيرت نظرة الرومان إليها، وانكب فلاسفة وكهنة الوثنية القديمة على دراسة وشرح الدين الجديد، وانقلبوا من فلاسفة إلى قديسين، تقام لهم الأعياد والطقوس.

وهكذا يبدو لنا أن تقديم بولس وتأخير بطرس لم يكن إلا من قبيل تبادل الأضداد، وهو لا يرجع إلا إلى الظروف السياسية، والأمواج الفكرية، في البداية رفض اليهود بطرس وأفكاره، وفي النهاية قبل الرومان بولس وتعاليمه، فانتصرت إرادة الرومان، وبانتصارها تم مراد اليهود، فقد أضمر كبيرهم الحقد على الراعي والرعية، وأظهر في الوقت نفسه المرونة

التي قربته من الرومان، وما كان بطرس ليتودد إلى الكفار على حساب دينه ومبادئه وهو الذي وصفه المسيح بالصخرة. إنه الراعي الذي ملأ حوصلته من الطعام الجيد، وما تربى بولس على المائدة الأصلية، وما أكل من طعام المسيح، ولا جلس بجوار حوارييه. وما شهد المسيح ولا شهد له المسيح، إنه لم يسمع كلمة واحدة من فم المسيح، لكنه ظهر بعد أكثر من عشرين عاماً من نهاية دعوته ليزعم أنه رآه في الطريق إلى دمشق، وتقوم المسيحية بطقوسها وأسرارها على هذا الزعم.

ومما يؤكد حجم التضخيم الذي لحق بالمسيحية في عهدها الأول، أن المسيح عليه السلام لم يكن معروفاً للمؤرخين في عهده، إن اسمه لم يظهر في أي كتاب من كتب التاريخ العالمي حتى سنة (٩٥م) عندما أشار المؤرخ يوسفيوس إليه مرتين، ويقول العلماء إن الإشارة الثانية ربما كانت إضافة متأخرة بواسطة كاتب مسيحي[1] .

ومع نهاية القرن الأول وبداية الثاني لم تعد رسائل بولس مجرد أوراق مكتوبة، بل أصبح لها مؤيدون ومعارضون، ومن هذه النقطة تبرز عظمة بولس لدى مايكل هارت، فقد بشر بالمسيحية، وكتب عنها وطورها، فمن بين السبعة والعشرين سفراً من كتاب العهد الجديد نجد لبولس وحده أكثر من نصفها .

ومن أهم أفكاره أن يسوع المسيح لم يكن فقط نبياً بشراً، بل كان إلهاً حقاً، وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر، وأن الإنسان لا

---

(١) تاريخ الكنيسة – لووريمر جـ ١ صـ ٤٠ ط/ دار الثقافة .

يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط، وإنما بالإيمان بيسوع .. ويعلن بولس أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام؛ لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافياً للخلاص .. وبولس إنما يردد أفكاراً كانت شائعة في زمانه ولكن المسيح لم يكن يبشر بشيء مما قاله بولس.

إن بولس هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى، وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح، بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح، لكن ما كان من الممكن أن يكون له هذا الدور لولا المسيح نفسه(١).

فهذا شأن بولس رفعه التاريخ وما كان له أن يرتفع.. وشأن بطرس تناساه التاريخ كما تجاهله أتباعه.. وما كان يستأهل ذلك.

ولعلك من هنا تدرك خطورة ما يخطه المؤرخون بأقلامهم، وما يترتب على عملهم من ضلال وأضرار، حيث يتواصل تمجيد الظالمين، والإشادة باستبداد المستبدين، فكم في التاريخ من عظماء طمرت عظمتهم أقلام المؤرخين، ودفنت أمجادهم تحت الأرض وهم أحياء على ظهرها (٢) كم

---

(١) مايكل هارت (العظماء مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ) ترجمة أنيس منصور ط / الزهراء للإعلام العربي .

(٢) وفي تاريخنا المعاصر طُمست صفحة أول رئيس لمصر، مزقت أول صفحة من تاريخ الجمهورية وصاحبها على قيد الحياة، وظل يعاني حتى دفنت معه في قبره أمجاده وأوجاعه، وكثيرون من تلاميذ المدارس في مصر لا يعرفون اليوم أن أول رئيس لبلدهم كان اسمه (اللواء محمد نجيب) رحمه الله .

من عظماء سخر منهم التاريخ كانوا يستحقون الذكر، رعوا أوطانهم وشعوبهم خير رعاية، وإذ لم تأت مجريات الأحداث السياسية في صالحهم فقد أدان المؤرخون سياستهم، وردد اللاحقون ما قاله السابقون، فمحيت أسماؤهم من صفحات التاريخ، وأتى الحقد على كل ما بذلوه من جهود، وقضت الأنانية على كل ما حققوه من أمجاد في حياتهم، فلو شاء التاريخ لجعل من فرعون راعياً للحرية والديمقراطية، ولو شاء التاريخ أيضاً لجعل من موسى عليه السلام خارجاً على الشرعية ومتمرداً على النظام ومنظميه.

هذا هو التاريخ الذي يعول عليه ضعفاء الثقافة والفهم، هذا هو التاريخ الذي من جهله كمن علمه، هذا هو التاريخ الذي يشبه مرآة السيارة، من أطال النظر فيها ربما خرج عن الطريق، وسواء أطلنا النظر أم قصرناه، وسواء أجهلنا التاريخ أم تجاهلناه فسنظل نحتار .. في الماضي كيف كان .. وفي المستقبل كيف سيكون.

في هذا الجو يأتي القرآن الكريم ليقطع الشك باليقين، ولينير للسالكين مسلكهم، وليصحح التصورات والمفاهيم حول الماضي والحاضر، إنه كتاب ينطق بالحق على المفسدين، ولا يسلك طرق المؤرخين الذين طغت عليهم الدوافع المغرضة، ودفعهم الطمع فيما في يد الظالمين إلى مدحهم تارة، كما أجبرهم الخوف من بطشهم على كتمان الحق وطمس الحقيقة تارة أخرى، فما كان هدفهم سوى نيل الحظوة وتجنب أذى الظالمين، فراحوا يتزلفون إلى الذين ظلموا، فكم ساقوا في مدح المستبدين من قصائد شعرية، وأغاني سحرية بديعة، وكم من مخلص أوصدت دونه

الأبواب، وكم من منافق فتحت له الأبواق، كم من أفواه مخلصة كممت، وأقلام صادقة كسرت، وسجن في سبيل ترسيخ الاستبداد من سجن، حدث كل هذا قبل الإسلام، وفي غياب تعاليم الإسلام الذي جاء ليضع عن أصحاب الأغلال أغلالهم، وليحذر المستضعفين من الركون إلى أهل الظلم والاستبداد **﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾**[1] .

إن العظماء طبقاً لميزان القرآن الكريم هم من لا ييئس من إنصافهم المظلومون، ولا يأمن بأسهم الظالمون، إنهم ليسوا من يطمع في عطاياهم المنافقون، إن قائمة العظماء في ميزان الإسلام لا يدخل فيها من يكيل بمكيالين، أو يقسم خلق الله إلى صنفين، لا يدخل فيها هتلر الألماني العنصرى الذي تسبب في قتل الآلاف وتشريد الملايين، ولا نابليون الذي قتل وشرد الآلاف من الأبرياء، لن يدخل فيها بولس الذي قتل وعذب تلاميذ المسيح.

ولئن كان البعض يتنكر اليوم لأفعال هتلر، فإن من هؤلاء من يمجد بولس، ولا مبرر لاختلاف الحكم على فعلين تطابقا في الوصف، ولا يعني ظهور طيف المسيح لأحدهما دون الآخر غير أن خيال أحدهما أوسع من الآخر .

---

(١) سورة هود ، الآية [[١١٣]] .

لكنك ما إن تذهب إلى القرآن الكريم حتى تجد ميزاناً مختلفاً، إن الله لا يحب الظالمين ولا يحب المفسدين في الأرض، فميزان الاصطفاء لا يرجع إلى أصل الإنسان وحسبه، وبهذا الميزان اصطفي الله أبا الخليقة آدم ﷺ، ونوحاً أول الرسل، وإبراهيم الذي وفى، ومن أبناء إبراهيم اصطفى إسماعيل أبا العرب، وإسحاق أبا اليهود، ومن أبناء إسحاق اصطفي الله عمران والد موسى ﷺ وعمران والد مريم، والثاني من نسل الأول، فهذه ذرية بعضها من بعض قال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

وأفضل الخلق بعد الرسل أتباعهم، وأفضل الأتباع هم السابقون إلى الإتباع، فأفضل النصارى التلاميذ، وأفضل التلاميذ الحواريون، وأفضل الحواريين بطرس، والحواريون كالعشرة المبشرين بالجنة في الإسلام، وكأسباط بني إسرائيل في اليهودية، وبطرس كيوشع بن نون في اليهودية، وكأبي بكر الصديق في الإسلام، فلهؤلاء السبق على غيرهم من أتباع الرسالات السماوية.

وهكذا يظهر لك أن قائمة المصطفين الأخيار في القرآن الكريم تختلف عن قائمة (**هارت**) إنها تبدأ بتكريم بني آدم عامة، وتبلغ نهايتها باصطفاء خاتم الأنبياء والمرسلين، فحتى الأنبياء الذين اصطفاهم الله واختارهم لتبليغ رسالته على درجات من التفضيل ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ**

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات [[٣٣ ، ٣٤]].

برُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(١) .

وإذ يتحدث القرآن الكريم عن حواري المسيح فإنه لا يدخل بنـــا في تفاصيل أسمائهم وعددهم، ولا يسلك طريق الأناجيل التي تخلط الأسمـــاء بالصفات، وآل سليمان بآل ناثان، وحسبك أنها لا تتفق علـــى صـــيغة واحدة حول دخول بطرس إلى النصرانية. وهي قصة لو جلـــس أربعـــة مساطيل يخمنون فيها لما اختلفوا كما اختلفت الأناجيل. والأناجيل وإن اختلفت في تفاصيل حياة بطرس فقد اتفقت على عدم إدراج اسم بولس في قائمة من قوائمها، فقد استمر بولس خارج الدائرة، بينما كان بطرس في قلبها، لقد ظل بولس على رأس قائمة الحاقدين من اليهـــود، الـــذين رفضوا أن يقولوا مع القائلين: **﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّـــا مُسْلِمُونَ﴾** وكعادة هؤلاء يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضـــله، يود أحدهم لو أن له ما للرسل من المكانة: **﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَـــنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾**(٢) .

فهؤلاء يعملون بالليل والنهار من أجل بخس أهل الفضل فضلهم، وإذا لم تتحقق أمانيهم فقد يموتون بغيظهم، وقد تحملهم طموحـــاتهم علـــى

---

(١) سورة البقرة ، الآية [[٢٥٣]] .

(٢) سورة الأنعام ، الآية [[١٢٤]] .

الاسترسال في التخيل، ومنهم من يرى نفسه وكأن الوحي يترل عليه، وهكذا فكر بولس بعد أن سمع ما سمع، وعرف ما عرف عن أفعال وأحوال المسيح، وما هي إلا حكاية اختلقها، تخطى بها الحواجز والعقبات، وأصبح في قلب الدائرة بعد أن كان خارجها، وأصبح في أول الصف بعد أن كان خارجه، وصار رسولاً للمسيح بعد أن كان عدواً لأتباعه، وانقلب العدو إلى حبيب، وعقيدة التوحيد إلى هرطقة، وتحول الرسول إلى إله، والإله إلى ثلاثة.

هكذا تلحظ الخلط بين الأصل والفرع، والحق والباطل، فبطرس إمام الحواريين يترل من عليائه لمصلحة أشد الناس عداوة للحواريين والتلاميذ، يأتي بولس بحكاية غريبة يلفها الشك، ويطويها الغموض، وما كان لدى الرومان ما يشككهم فيما يقوله رجل عبراني يخلط الدين بالفلسفة، فشكل تلامذته من بين فلاسفة الرومان، كما تشكل أصحاب المسيح من عوام اليهود، وكم تمنى بولس أن يخلط الفلاسفة بالصيادين، ولكن أمانيه باءت بالفشل بعد أن خافته الخراف، ووجدت فيه ما حذرهم منه المسيح، فطرد من حظيرهم، فازداد حقداً على حقده، ولم يرض الحاقدون من أنصاره إلا بتحقير كل من يشكل عقبة أمام طموحات رسولهم، فكم حاولوا التقليل من بطرس وأتباعه ؟ وكم بالغوا في تعظيم بولس وأنصاره ؟ لقد بدت العداوة من أفواههم، وما أخفته صدورهم كان أكبر مما بدا.

ولكن.. ورغم أنف الحاقدين سيظل بطرس إماماً للحواريين في كل المناسبات، وسيظل المسيحيون يذكرون اسمه أولاً في كل القوائم، فكاتب

الإنجيل الأول إن كان هو متى الحواري الجليل فإنه يؤخر نفسه ليقدم بطرس، ويضع بطرس على رأس القائمة، ولا يضع بولس في ذيلها، ولا حتى في ذيل قائمة أخرى يلحقها بها (**الأول سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخوه. يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشار. يعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي أسلمه**) .

فهؤلاء اثنا عشر رسولاً، كعدد أسباط بني إسرائيل، يتفق متى في عددهم وأسمائهم مع من يظنونه تلميذاً لبطرس[1] ومعهما لا يتفق تلميذ بولس[2] ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضا رسلاً. سمعان الذي سماه أيضا بطرس واندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متّى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي)[3] .

---

(١) مرقص (٣ : ١٤ — ١٨) وكثيرون من العلماء يرون أن متى نقل إنجيله عن مرقص وأناجيل أخرى، وهكذا يسلمون بفرضية أن الحواري ينقل عن التلميذ .

(٢) حيث يحذف لوقا من القائمة لباوس الملقب تداوس، ويضيف يهوذا أخا يعقوب، كما أن القائمة في سفر الأعمال تخلو من اسم توما، وسمعان القانوي في متى ومرقص ربما يكون هو نفسه سمعان الغيور إن قلنا بأن اللقبين المختلفين في المعنى يعودان إلى شخص واحد اسمه سمعان.

(٣) لوقا (٦ : ١٣ — ١٦) .

فهؤلاء ثلاثة من كتاب الأناجيل الأربعة بصرف النظر عما بينهم من اختلاف يجمعون على تقديم بطرس، فبطرس إمام الحواريين، وهو راعيهم بعد المسيح، إنه قبل يوحنا ومتى، كما أن مرقص ولوقا ليسا من الحواريين. وتظهر أهمية هذا الترتيب في الكثير من المواقف، والكثير من المواقف أيضاً حرفت لتشويه صورة ومكانة بطرس، إلا أن هذا الترتيب دفع بالبعض إلى أن يطلق عليه لقب **(أمير الرسل)**[1] ولكنهم في القديم كما هم الآن يخرجون عن حدود هذه الإمارة، فلا يطيعون أميرهم إلا إذا نطق بعبارة (**أنت المسيح ابن الله الحي**) ولا يرون قيمة للنصوص التي أجمعت على تقديمه على غيره من الرسل فيؤخرونه عن غير الرسل .

---

(١) دائرة المعارف الكتابية وليم وهبة بباوي وآخرين مادة بطرس دار الثقافة .

الطريق إلى الإيمان :

❖ والسؤال الآن هو: كيف دخل بطرس في النصرانية ؟

لا أخفي عليك.. هذا من أصعب الأسئلة أمام الدارسين والباحثين، والصعوبة تكمن في أن الأناجيل قد أجابت عنه، ولو أمسكت لقلنا ببساطة إن المسيح عرض دعوته على بطرس فقبلها، لكن كتاب الأناجيل تخرصوا فيما لا يعلمون، فلم يتفقوا على صيغة واحدة، وهذا يرجع إلى أنهم لم يعاصروا بطرس، ولم يرو الأحداث بأعينهم. ولا حتى نقلوها عمن رآها. فبينما انفرد لوقا بتسجيل قصة بولس، أصبحت قصة بطرس مرتعاً لكل من هب ودب، وبقيت الأناجيل تعطينا صوراً متداخلة تارة ومختلفة أخرى حول دخول بطرس في المسيحية، فبينما يسجل يوحنا أحداث القصة من أورشليم يتفق متى ومرقص على أنها كانت في الجليل **«وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فانهما كانا صيادين. فقال لهما هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه»**[1].

هذه بداية القصيدة، نقلها متى عن مرقص أو غيره، ويظن أهل الإنجيل أن مرقص نقلها عن بطرس نفسه، وعلى هذا الظن يتحدثون، ولا يعبئون بمكانة كبير الحواريين لدرجة أن أخلاق التلميذ لم تمنعه أن يكتب عن

---

(١) متى (٤ : ١٨ ــ ٢٠) ، مرقص (١ : ١٦ ــ ١٨) .

أستاذه (**سمعان الذي يقال له بطرس**) فكأن بطرس لم يكن مشهوراً في كنيستهم، فهل ينعت المسلمون أئمتهم بمثل تلك الألفاظ ؟ ألم يكن هذا اسماً سماه به المسيح ﷺ ؟ فأين الذوق والأدب تجاه أمير الرسل؟.

إن نقطة البداية ترجعنا إلى ما يقرب من ألفي عام، في إحدى قرى فلسطين قد تكون في الشمال وقد تكون في الجنوب، قد تكون في اليهودية وقد تكون في الجليل[1] حين كان أخوان إسرائيليان يعملان في بحيرة صغيرة، فمن مهنة صيد السمك يوفران قوتهما يوماً بعد يوم، رآهما المسيح وهو يدعو اليهود إلى عبادة الله وحده، ويبشرهم بقرب ملكوت الله، ملكوت الله الذي يخلصهم من ظلم الرومان، ويحررهم من القيود والأغلال، ويرفع عنهم الضرائب والإذلال الذي كان يمارسه ضدهم المحتل الروماني.

ويبدو أن المسيح مكث فترة غير قصيرة يمارس هذه الدعوة دون أن يبدي كبراء اليهود رغبتهم في الاستماع إليه. فما إن رأى هذين الصيادين حتى تحرك لديه الأمل في شعب صلب الأعناق كثيراً ما عمد إلى قتل الأنبياء، بدأ المسيح ﷺ دعوته إلى أحبارهم «**توبوا فقد اقترب ملكوت**

---

(١) تختلف روايات الأناجيل حول مكان بداية دعوة المسيح، فبينما يراها يوحنا انطلقت من أورشليم ترى الأناجيل الأخرى أنها انطلقت من الشمال في الجليل، وطبقاً لمتى (٤ : ١٣) تصبح كفر ناحوم هي البلدة التي أقام فيها المسيح بعد أن ترك الناصرة . وأميل إلى ما جاء في يوحنا. وما أعرضه الآن يخالف ذلك لأنني أنقل وجهات نظر الأناجيل رواية بعد رواية محاولاً أن أجعل بين الروايات نوعاً من الانسجام. وقد أفشل فيما أرمي إليه.

السماوات» وبعد أن مل جدل الأحبار وعنادهم اتجه صوب البحر أو صوب الشمال، لينادي من على الشاطئ بأعلى صوته: يا صيادي السمك.. فالتفتا من قارب صغير صيادان، سمعاه يكرر، هلما اتبعاني..
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1] .

هلما اتبعاني وأجعلكما صيادي الناس.. إن هذين رجلان لم يعملا في الكهنوت، و لم يمارسا الجدل الديني الذي برع فيه الفريسيون والصدقيون، فما إن سمعا كلمة **(إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)** حتى تركا شباكهما وقاربهما وخرجا مسرعين إلى الشاطئ، لم يتعللا بعدم الفراغ، و لم يتعنتا بطلب المعجزة، ذلك أن شهادة **(لا إله إلا الله)** في نظر يهودي بسيط لا تحتاج في إثباتها إلى معجزة، لقد تبعاه وأصبحا أخلص تلميذين وأحب اثنين إلى قلبه.

لو حُكيت الحكاية بهذه البساطة لما كان هناك من إشكال، لكن الأناجيل تتناسى أهم عناصر القصة، فلا تذكر التعاليم التي دعا إليها المسيح، فلم يبين إنجيل منها على أي شيء سوف يتبعانه، وتخيل نفسك واحداً من أولئك الذين يعملون من أجل لقمة العيش، ثم دعاك رجل من أعلى الشاطئ وأنت منشغلاً في أسفل البحر بحثاً عن رزقك هنا وهناك،

(١) سورة الصف من الآية [[٦]] .

فهل كنت تتبعه وتترك كل القارب والشباك دون أن تعرف إلى أين تسير؟.

إن ما هو غامض في رواية الأناجيل تجده ظاهراً في آية واحدة من آيات القرآن الكريم ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

فهذه آية قرآنية تبين ما عجزت الأناجيل عن بيانه فعيسى عليه السلام كان رسولاً من عند الله، وكانت رسالته إلى بني إسرائيل دون سواهم، وقد جاء:

- **مصدقاً للتوراة.**
- **مبشراً برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد.**

وهكذا توضح لك آية واحدة من آيات القرآن الكريم دعوة المسيح من بدايتها إلى نهايتها، بينما الأناجيل الأربعة لا توضح تعاليم المسيح، وقد تجد البون شاسعاً بين كاتبي الأناجيل وناقلي أحاديث الرسول ﷺ فالمحدثون لم يتركوا صغيراً ولا كبيراً من أعماله وأقواله ﷺ إلا ونقلوه، وتأمل ماذا كان من شأنه ﷺ وهو يعرض دعوته على قومه، فقد روي عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: " **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ . فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ،**

وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّه إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِك "[1] .

فهذه حكاية كاملة، رسول ورسالة ومرسل إليهم ونتيجة منطقية لكل ذلك (**فبايعناه على ذلك**) ولكن قصة دخول بطرس في النصرانية غير كاملة هنا ولن تكتمل حتى يظهر بولس، سيظل الرسول وأتباعه بلا رسالة واضحة، وسوف يحكي لوقا القصة بصيغة أو بأخرى، ولكنه لن يبين مضمون الرسالة التي بلغها المسيح لأتباعه، هذا هو الفرق بين دعوة محمد ﷺ والمسيحية القائمة، فلو صح نقل المسيحية لما كان ثمة تعارض بين الإنجيل والقرآن الكريم.

ورغم أن لوقا ذكر أن المسيح مارس الوعظ الفعلي مع عمال الصيد من على ظهر سفينة بطرس، إلا أنه وعظ كعدمه إذ لم يبين لوقا العقيدة التي وعظ بها الصيادين، فقد (**صار يعلّم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد**) فأي تعاليم كان يعلم؟ وأي أقوال كان يقول للمزدحمين عليه ؟ ألا يستحق وعظ المسيح أن تسجل منه جملة واحدة ؟ وبدلاً من تسجيل كلمات المسيح ينفرد لوقا بعنصر جديد يبرهن على أنه لم تمر عليه مهنة بطرس دون أن يجعل لها نصيباً في صياغة القصة، وهنا لا بد من معجزة، معجزة تناسب مهنة بطرس وتصيبه

---

(١) البخاري ك / الإيمان حديث [[١٧]] .

بالدهشة، فكانت معجزة صيد السمك الكثير، وهو أمر قد يكون مألوفاً لدى بعض الصيادين، ولكن بطرس وأخاه، ويوحنا وأخاه يتركون جميعاً السمك والقارب والصيد والصيادين ويسيرون خلف يسوع دون أن يعرفوا إلى أين ؟ (**وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت. فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك. فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان وسأله أن يبعد قليلا عن البر. ثم جلس وصار يعلّم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا ولكن على كلمتك ألقي الشبكة. ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكا كثيرا جداً فصارت شبكتهم تتخرق. فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويساعدوهم. فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق. فلما رأى سمعان بطرس ذلك خرَّ عند ركبتيّ يسوع قائلا اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ. إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذوه. وكذلك أيضا يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا شريكي سمعان. فقال يسوع لسمعان لا تخف. من الآن تكون تصطاد الناس ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه**)[1] .

---

(١) لوقا (٥ : ١ ــ ١١) .

هكذا يجعل كاتب الإنجيل الثالث الوسيلة هدفاً يلف حوله ويدور، ويعتبر ما هو نادر الحدوث مثل ما هو مستحيل الحدوث، وبهذا نعجز عن معرفة كيف دخل بطرس في المسيحية، بينما المسيحيون غارقون في طقوسهم، غير مكترثين باختلاف الروايات، فاختلاف الروايات قد لا يعني — في نظر مثقفيهم - غير تصرف وإبداع كاتبيها في تصوير حقيقة واحدة، وهي أن بطرس وصل إلى أن المسيح عليه السلام هو المسيا الموعود، وهو استنتاج يذهب بنا إلى زميل بطرس في مهنة الصيد، وشريكه في القارب، غير أن إنجيله تغيب عنه تلك القصة التي أحضره لوقا فيها، وطبقاً لإنجيل يوحنا لا تجد السمك، ولا تجد القوارب، ولن تجد البحر أصلاً[1] فقد وقع اختيار المسيح على أخوين ليسأل أحدهما: ما اسمك ؟ فيرد عليه: اسمي سمعان، فيقول له المسيح عليه السلام: من اليوم اسمك (**صفا**) إنها كلمة آرامية أطلقها المسيح على أول مولود في ديانته، ومعناها حجر أو صخرة. إنه اسم قد يكون غير مألوف في لغة العبرانيين، ولكنه من الآن سيصبح علماً على أول المؤمنين برسالة المسيح عليه السلام، لقد غير اسم (**سمعان**) وهو من الأسماء الشائعة والمحببة لدى اليهود، ومعناه كثير السماع إلى اسم يشير إلى الصلابة والتمسك بالرأي، وغير كتاب الأناجيل اليونانيون (**صفا**) فقالوا إن تفسيره في لغتهم (**بطرس**) إن بطرس الآن أو سمعان

---

(١) وهذا يرجع إلى أن يوحنا اعتبر دعوة المسيح قد بدأت في الجنوب في اليهودية، فلا يوجد البحر في أورشليم، ولهذا اختلفت الأناجيل الثلاثة مع الإنجيل الرابع .

سابقاً سوف يصبح صخرة تتحطم عليها كل آمال المحرفين والحاقدين على رسالات السماء. ولسوف تشهد الأيام على هذا الصراع المرير بين أمير الرسل ومحرفي ديانة المسيح، فكأن المسيح عليه السلام يعد بطرس لتلك الأيام.

هكذا تثبت الأيام صدق المسيح عليه السلام حتى في شخص هذا الصياد البسيط. وهكذا يعالج يوحنا الموضوع بطريقة مختلفة، ليس ثمة وعظ ولا كلام، وليس ثمة قوارب ولا مياه، وإنما هنا تجد اندراوس، هذا وجد أولاً أخاه سمعان.. فجاء به إلى يسوع، فنظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان بن يونا. أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس (**وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفا هو واثنان من تلاميذه. فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: هو ذا حمل الله. فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع. فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما: ماذا تطلبان. فقالا: ربي الذي تفسيره يا معلّم أين تمكث ؟ فقال لهما: تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا أين كان يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم. وكان نحو الساعة العاشرة. كان اندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه. هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له: قد وجدنا مسيا. الذي تفسيره المسيح**)[1] .

إنها حكاية مختلفة تماماً، فيوحنا الذي يكتب هنا هو غير الصياد الذي كان مع بطرس في الأناجيل الثلاثة، والمسيح هنا يخاطب بطرس باسمه

---

(١) يوحنا (١ :)

وباسم أبيه، ثم يغير اسمه دون اسم أبيه، وكأنه كان يعرفه من قبل، والبعض يظن أن هذا من باب علم الغيب الذي كان يتسلح به المسيح، فالمسيح يعرف اسم والد بطرس (**أنت سمعان بن يونا**) أي ابن يوحنا، ويلفت لوقا نظرنا إلى أن (**يونا**) لم يتسم به أحد قبل يوحنا المعمدان[1] وهو نفسه يحيى بن زكريا الذي ذكره القرآن الكريم ﴿ **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا** ﴾[2] .

❖ **فأين كان يونا والد بطرس في هذا الوقت ؟!.**

ولا تظن أن يوحنا – وهو طبقاً للمعطيات السابقة اسم نفترض عدم وجوده في ذلك الوقت – لم يعرف فكرة صيد السمك التي حشرها لوقا في سياق القصة، لكنه افتتح معجزات المسيح بتحويل الماء إلى خمر حتى يسكر الأتباع ومن تبعهم من المساطيل إلى يوم الدين، وأما السمك فقد جمده إلى آخر صفحات الإنجيل، إنها قصة واحدة، وضعها لوقا في مستهل دعوة المسيح، ووضعها يوحنا بعد انتهاء دعوة المسيح، فأيهما نقلها عن موضعها ؟ هل كانت بعد القيامة ونقلها لوقا أم قبلها ونقلها يوحنا ؟ .

هكذا تأتي القصة التي هي في أول الأناجيل الثلاثة لتظهر في آخر صفحات الإنجيل الرابع، وسيكون بطرس حاضراً هنا كما كان هناك، لكن الفرق كبير بين وجوده هنا ووجوده هناك ، فهناك (**كان سمعان**

---

(١) سورة مريم ، الآية [[٧]] .

(٢) لوقا (١ : ٥٩ — ٦٣) .

بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم. قال لهم سمعان بطرس: أنا أذهب لأتصيد. قالوا له: نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئا. ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع: يا غلمان ألعل عندكم إداماً. أجابوه: لا. فقال لهم: ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس: هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب أتزر بثوبه؛ لأنه كان عريانا وألقى نفسه في البحر.

وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتي ذراع وهم يجرّون شبكة السمك. فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً. قال لهم يسوع: قدموا من السمك الذي أمسكتم الآن. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين.

ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة. قال لهم يسوع: هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب).

وهكذا يأخذ يوحنا من كل قصة ليحصل في النهاية على قصة مختلفة في المعنى والسياق، وقد يضيف ما يعرف بالحبكة الدرامية **(فلما خرجوا**

إلى الأرض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً..) هذه الزيادة تدل على التضارب في هيكل الحكاية، فإذا كانوا قد اصطادوا السمك الكثير فما الفائدة من وجود السمك المشوي على الجمر؟ ألم يطعمهم المسيح من خمسة أرغفة وسمكتين؟ ألم يخبرهم بأن من يأكل جسده ويشرب دمه فله حياة أبدية ؟ ألا يقول يوحنا إن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق ؟[1] فلماذا يعود بهم إلى سمك البحر بعد أن أذاقهم طعم جسده ؟.

يبدو أن السمك الذي وجد على الجمر قصة، والسمك الذي اصطادوه قصة أخرى، وقد طبخ يوحنا القصتين أو السمكين في قدر واحدة .

---

(١) يوحنا (٦ : ٥٤ ، ٥٥) .

بطـرس ومعجـزات المسيـح :

لا بد وأن يكون بطرس قد شاهد معجزات المسيح كافة؛ لأنه تبعه منذ أن دعاه وسماه بطرس، ولكننا نرى بطرس يظهر مرة ويختفي أخرى، فأهم معجزات المسيح لا يظهر فيها بطرس[١] .

وفي المواقف التي لفقت كحادثة القيامة يختفي بطرس ليظهر شخصيات من نوع مريم المجدلية، تلك المرأة التي تصفها الأناجيل بأنها مخبولة، وتركبها العفاريت أينما حلت، ولكنك ترى بطرس يخترع له من المعجزات ما يلائم مهنته، ويتناسب ومكانته، فقد اخترعوا له بعض المعجزات التي تتعلق بالصيد والصيادين، فجعلوا يسوع يمشي على الماء من أجل بطرس[٢] ثم جعلوا بطرس نفسه يمشى على الماء، لقد كاد أن يغرق في متى، وإن لم يحضر المعجزة من أساسها طبقاً لمرقص، وطبقاً ليوحنا الذي تؤكد الأناجيل حضوره هو الآخر[٣].

ومن المعجزات التي تناسب مهنة بطرس أيضاً تجد صيد السمك الكثير، وقطع الدراهم في فم السمكة، والأخيرة عدها متى معجزة ما بعدها معجزة، والواقع هي في حاجة إلى معجزة لإثباتها، فما رآها أحد غير الذي جرت على يديه.

---

(١) مثل معجزة إحياء لعازر .

(٢) وإن شئت فقل إن مهنة الصيد اخترعت لتناسب معجزات البحر.

(٣) ذكر مرقص (٦ : ٤٥ ــ ٥٢) هذه المعجزة و لم يذكر فيها اسم بطرس، وكذلك يوحنا (٦ : ١٦ ــ ٢١) و لم يذكر هو الآخر اسم بطرس، بينما ذكر متى (١٤ : ٢٢ - ٣٣) أن بطرس في هذه المعجزة مشي على الماء.

وشفاء الحمى وإن كان لا يدخل في قائمة المعجزات عند المتأملين، إلا أن كتبة الأناجيل رأوا فيه ما يتناسب ومكانة بطرس، فكانت المعجزة الوحيدة التي حدثت لبطرس خارج البحر، فقد كانت حماته — والعياذ بالله — مصابة بمرض الحمى فشفاها المسيح لدرجة أنها لو تصدقون قامت لتخدمهم، فهذه المعجزة اتفق عليها متى ومرقص ولوقا[1] .

وهناك شخصيات من نوع مريم ومرثا يعطف عليهن المسيح ويصنع لأجلهن ما يفوق شفاء الحمى لحماة بطرس، فقد أخرج لمريم ومرثا أخاهما من قبره بعدما أنتن. وتلك معجزة انفرد بها يوحنا. وغاب عنها بطرس .

---

(١) متى (٨ : ١٤ــ ١٧)، ومرقص (١ : ٢٩ — ٣٤)، ولوقا (٤ : ٣٨ — ٤١) .

سطوع نجم بطرس :

يرتفع نجم بطرس في سماء المسيحية بأمرين :

- **حضوره موقف التجلي العظيم.**
- **شهادته بأن يسوع هو ابن الله.**

أولاً: التجلي العظيم :

حادثة التجلي لم يذكرها يوحنا، مع أن الأناجيل الثلاثة اتفقت على أنه كان أحد الحاضرين فيها[1] واتفقت على ذكرها مباشرة بعد نبوءة يسوع التي تقول: إن هناك قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته[2] .

لقد قال لهم المسيح في لحظة الوداع ما احتاروا في فهمه، فقد نظروا هيئته تتغير قدامهم، ثم انصرفوا يقصون ما سمعوه ويصورون ما شاهدوه، وهنا حصل الاختلاف والتحريف وتعددت الأقوال وتشعبت الآراء والاتجاهات. وتفسير هذا الكلام الغامض أصاب آباء الكنيسة قديماً وحديثاً بالحيرة، وقد رأينا فيما احتاروا فيه دليلاً قاطعاً على عدم صلب المسيح، فقد صعد وبقي حياً في السماء؛ لأن السماء لا موت فيها، ومن هم فيها أحياءٌ عند ربهم يرزقون. أبعد أن تغيرت هيئته يسوع قدامهم.

---

(١) متى (١٧ : ١ ــ ٨) ، مرقص (٩ : ٢ ــ ٨) ، لوقا (٩ : ٢٨ ــ ٣٦) .

(٢) متى (١٦ : ٢٨) ، مرقص (٩ : ١) ، ولوقا (٩ : ٢٧).

وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيض مثل ذلك، أبعد كل ذلك نظن أن يسوع لا يزال من أهل الدنيا ؟

إن بقية القصة تأتيك في آخر الأناجيل، لقد ارتفع المسيح وأصحابه ينظرون. يقول مرقص (**ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله**)[1] أي بعدما كلمهم وأوصى بطرس برعاية أتباعه ارتفع عنهم، ألم يخبرهم مسبقاً بأنه سوف يرفع عن الأرض (**وأنا إن ارتفعت عن الأرض اجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت. فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان. من هو هذا ابن الإنسان**)[2] .

وإذ تختلف الروايات وتتعدد الآراء يرى كُتّاب الأناجيل مخرجاً غريباً يذهب إلى حد اتهام بطرس بأنه لم يكن يعلم ما يقول (**وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلّم جيد أن نكون ههنا. فلنصنع ثلاثة مظال. لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة. وهو لا يعلم ما يقول**).

فبطرس هنا كان مسطولاً، لا يعلم ما يقول، فكأنه كان يقول بخلاف ما يعلمه لوقا، لقد سطرت الأناجيل الانفعالات الرهيبة التي اعترت

---

(١) مرقص (١٦ : ١٩) .

(٢) يوحنا (١٢ : ٣٢ ــ ٣٤) وبعدما توصلت إلى هذا الاستنتاج من حادثة التجلي وجدت بعض الأناجيل التي رفضتها الكنيسة قد ذكرته .

بطرس عند التجلي، لقد صعدوا إلى جبل عالٍ وهناك تغيرت هيئة يسوع قدامهم، ونترك لمرقص القلم ليصور لنا ما قدر على استيعابه من هذا الموقف، ففي الإصحاح التاسع من إنجيله يقول: **«وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا[1] وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم. وتغيّرت هيئته قدامهم، وظهر لهم ايليا مع موسى. وكانا يتكلمان مع يسوع. فجعل بطرس يقول ليسوع يا سيدي جيد أن نكون ههنا. فلنصنع ثلاث مظال. لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة»**.

وبحدوث تلك المعجزة انتهت دعوة المسيح عليه السلام، وما حدث بعد ذلك وقع لا على المسيح الذي تغيرت هيئته قدامهم لو كانوا يفهمون!

ومن الغريب أن يقول المسيحيون بظهور موسى وإيليا هنا ولا يقولون بظهورهم عند القبض على يسوع، ويقولون بتغيير هيئة يسوع هنا ولا يقولون بذلك عند رفعه على الصليب، إن السؤال الذي لا يحتار المسيحيون في الإجابة عليه هو:

❖ **هل عاد المسيح مع أصحابه أم ذهب مع موسى وإيليا؟**

وبناءً على إجابتهم أصبحت هذه الحادثة مرتعاً خصباً للكتاب والأدباء من المسيحيين، فقد رأوا فيها ما لم يره غيرهم، وهكذا يقف باركلي أمام هذه الحادثة بإجلال **«نحن الآن أمام حادثة مغلقة بالأسرار فلنحاول أن**

---

(١) لاحظ أن يوحنا لم يذكر تلك الحادثة و لم يشر إليها في كتاباته كافة.

نتلمس طريقنا فيها. يقول مرقص إنها حدثت بعد ستة أيام من حادثة قيصرية فيلبي، أما لوقا فيقول بعد ثمانية أيام، ولا يوجد ــ كما يرى الحبر العظيم باركلي ــ اختلاف بين الاثنين، لأن كليهما يعنيان (أسبوعاً) ولهذا لم تختلف الكنيستان الشرقية والغربية على جعل يوم ٦ أغسطس هو ذكرى التجلي»[١] فالأسبوع ستة أيام في نظر جماعة، وثمانية أيام في نظر أخرى.

ثانياً: شهادة بطرس ليسوع :

عبارة واحدة أسيء في نقلها وأسيء كذلك في فهمها، **«فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي»**[٢] .

في مرقص ولوقا نقرأ ألفاظاً متفاوتة لتلك الكلمات، ففي مرقص **(فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا. فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه)**[٣] وفي لوقا **(مسيح الله)**[٤].

ولا يلتفت المسيحيون إلى مرقص ولا إلى لوقا. ولم يكن يوحنا في حاجة إلى هذه الشهادة من أساسها، فما سطرها في إنجيله، لكن علماء اللاهوت لا يكتفون بمطلع إنجيله برهاناً على عقيدتهم، وإنما يرون في

---

(١) باركلي شرح مرقص .

(٢) متى (١٦ : ١٦) .

(٣) مرقص (٨ : ٢٩) .

(٤) لوقا (٩ : ٢٠) .

عبارة متى ما لم يره مرقص ولا لوقا ولا يوحنا، لا يرون فيها إضافة من هذا الكاتب أو حذفاً من ذاك، وإنما يرون فيها اعترافاً من كبير الحواريين بأن المسيح هو ابن الله، ورغم أن المسيح انتهرهم كي لا يقولوا لأحد كما جاء في مرقص إلا أنهم لا زالوا يقولون، ولا زالوا يرون أن سبب هذا النهي خشيته أن يتعثر الناس ؟ وبعضهم يمضي في التحليل حتى يلج عالم الأسرار، ومن ثم تتكشف له الحقائق الواحدة بعد الأخرى، ويخرج باركلي[1] من هذه الأسرار **بحقيقتين أساسيتين:**

الأولى: أن بطرس بعدما أجهد نفسه في الفكر، توصل إلى أن أسمى الأوصاف البشرية عاجزة عن التعبير عن حقيقة يسوع.

الثانية: أن بطرس لم يكن يرى للمسيح أباً بشرياً.

فمتى الذي سبق وجعل للمسيح أباً بشرياً في أول إنجيله لم يلحظ الحقيقة الثانية من حقائق باركلي، فما أحس بأن هناك تعارضاً بين شجرة النسب وشهادة بطرس، وأما لوقا فيبدو أنه كان مقتنعاً بأن يوسف ابن هالي هو والد المسيح الحقيقي فاكتفي بقوله (**مسيح الله**).

وقد وجد آباء الكنيسة أنفسهم في حيرة، فإما أن يقبلوا شجرة النسب وإما أن يقبلوا شهادة بطرس، وفي النهاية قبلوا الأمرين معاً على أن لا يعرضوا عوام الخلق للدخول في عالم الأسرار، وإذ يقرون بوقوع المجاز في لغات العالم كافة يصرون على أنه لا يجوز أن يقع المجاز في هذه الساحة

---

(١) باركلي تفسير العهد الجديد المجلد الأولى (متى) صـ ٣١٢ دار الثقافة .

العامرة بالأسرار. ولا يحملهم سكوت يوحنا واختصار لوقا ومرقص على الشك في إضافة متى، وقد يقبلون بالمحال العقلي ولا يقبلون رأياً يذهب إلى أن بطرس كان يعبر عن رأيه الشخصي في هذه المسألة بالذات، فهذه العبارة هي إعلان الآب نطق به بطرس، أي أن الآب تكلم بهذه العبارة على لسان بطرس، ولهذا يصف بعضهم عبارة بطرس بأنها إعلان عظيم ويعتبرونها وحياً إلهيا تنزل من السماء على قلب بطرس ليخبر بما لم يكن أحد ليعرفه من قبل، إن هذه الشهادة تعتبر أساساً متيناً للكنيسة **«ولكننا لا ننسى أيضاً أن هذا الإعلان الذي نطق به بطرس لم يكن نتيجة لتفكيره الشخصي، بل هو إعلان الآب لبطرس: (طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك، ولكن أبي الذي في السماوات..) .**

إن هذا الاعتراف أو قانون الإيمان الذي نطق به بطرس هنا لم يكن إلا وحياً خاصاً من الله الآب لبطرس. إن بطرس الذي نطق بهذا الإعلان العظيم كما هو أيضاً كبقية التلاميذ تسيطر عليه نفس الأفكار، ونفس المعتقدات التي كانت تسيطر على كثيرين من اليهود. بل وفي كثير من الأحيان استحوذت الأحلام والأماني المسيانية على التلاميذ» [1] .

إن هذا الإعلان العظيم لم يكن إلا وحياً خاصاً من الله الآب لبطرس ليشهد به لله الابن، وبعد هذا الإعلان يلحظ القس حنا الخضري هذا

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي جـ ١ صـ ٢٦٩ .

التحول الغريب العجيب في تعليم المسيح، فقبل هذا الإعلان لم يتكلم المسيح كثيراً عن آلامه وموته، وأما الآن، أي بعد هذا الإعلان، فإن السيد بدأ يتكلم بوضوح وصراحة عن موته، ومتى يقول **«من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ..»** [1].

وهكذا سوف تظهر حقيقة المسيح بعد أن تنتهي مهمته على الأرض، وسيظل التلاميذ يجهلون حقيقة ربهم إلى أن يرحل عنهم، فالمسيح لم يفصح لهم عن مهمته الحقيقية، لهذا لم يدركوا المعنى الكامل لحقيقة المسيح حتى ظهر بولس، وهذا ما يجليه كتاب المسيحية العظام .

يقول باركلي: **«على الرغم من أن التلاميذ أدركوا أخيراً أن يسوع المسيح هو المسيا أو مسيح الله لكنهم لم يدركوا المعنى الكامل وراء هذه الحقيقة.**

فبالنسبة لهم كانت هذه الحقيقة تعني شيئاً يختلف تماماً عما كانت تعنيه بالنسبة للمسيح، فقد كانوا يفكرون في المسيا كقائد مقاتل يحارب الرومان ويطردهم من فلسطين، ويقود شعب إسرائيل إلى السلطان والمجد. لذلك أوصاهم يسوع أن لا يقولوا لأحد إنه المسيا؛ لأنهم لو ذهبوا ونادوا بمفهومهم الخاص عن المسيا لنجحوا في إشعال

---

(١) متى (١٦ : ٢١) .

نار فتنة وعصيان ينتهي بالخراب والشقاء. ولذلك كـان ينبغـي أن يفهموا ما هي رسالة المسيا الحقيقية»[1] .

وهذا المعني يؤكده علماء اللاهوت كافة، إنهم يفسـرون عبـارة (**لا تخبروا أحداً**) التي تنسب إلى المسيح عقب العديد مـن معجزاتـه بهـذا الافتراض، فبماذا يعرف الناس أنه المسيا إذا لم يخبروهم ؟ .

وهكذا يخضع بيان الحقيقة للظروف والملابسات، وتحول الظروف دون إظهار حقيقة ألوهية المسيح، فلكأن (**الآب**) أراد بيان حقيقة ابنه فحالت الظروف، أو لكأنه لم يرد بيانها فعميت عنها بصائر الناس وأبصـارهم، فهل يحاسبون على جهلهم بحقيقة المسيح ؟

---

(١) تفسير متى لباركلى صـ ٣١٨ .

غروب شمس بطرس :

أبحاث كثيرة أنتجتها عقول آباء الكنيسة، كثير من هذه الأبحاث يدور حول شرح عبارة واحدة، وفي كل صفحة يتحدثون عن الاعتراف العظيم، اعتراف بطرس للاهوت المسيح، (أنت هو المسيح ابن الله الحي) وفجأة يهوي نجم بطرس، إذ سرعان ما تتغير علاقته بالمسيح، وهنا تجد سلوك المسيح تجاه من شهد له بأنه الله قاسياً، فقد انتهر بطرس سيده، وقد جاء رد فعل المسيح أكثر قوة، فالعلاقة بينهما طبقاً لتلك الصورة التي ترسمها الأناجيل لم تكن على ما يرام، فقد وصف المسيح بطرس بأنه شيطان، وكانت جريمته أنه أنكر المسيح في لحظات الوداع الأخيرة.

فعندما (أخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يا رب لا يكون لك هذا) رد المسيح على بطرس (اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس)[١] فقد وصف المسيح بطرس بأسوء الأوصاف:

فبطرس أولاً شيطان، والشياطين – كما نعلم - من الإنس والجن، وهم من هؤلاء أو أولئك أعداء للأنبياء في كل عصر، قال ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون ﴾[٢] .

---

(١) متى (١٦ : ٢١ ـــ ٢٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية [[١١٢]] .

فإلى أي النوعين ينتمي بطرس ؟ بعضهم يرى أن عفريتاً من الجن لبس بطرس وراح يتكلم بلسانه، فبطرس هذا أمره عجيب، أحياناً تتنزل عليه الإعلانات من السماء فيشهد بألوهية المسيح، وأحياناً تتنزل عليه الشياطين فيصبح معثرة للمسيح، فكيف نميز بين الحالتين ؟

ألا يترتب على جعله محلاً لتنزل الإعلانات السماوية قبول واحترام رأيه ؟

ألا يترتب على وصفه بالشيطان نزعه من زمرة الحواريين ؟

فكما كان المسيح يخرج الشياطين من أجساد أتباعه بكلمة واحدة، فهو بإطلاق كلمة واحدة على بطرس يخرجه من حظيرة الحواريين.

وبطرس ثانياً: معثرة للمسيح، فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح إله، ويؤمنون بأن إلههم يتعثر من كلمة ينطق بها أول من نطق بألوهيته، فمن يقيل العثرات لو أطال بطرس الكلام ؟.

وبطرس ثالثاً: يهتم بما للناس، فهو بحبه الشديد للمسيح، وحرصه على حياته، يهتم بما للناس ؟ إن العلة ليست مناسبة للحكم، والحكم كذلك ليس مناسباً لمكانة بطرس، وهذا وذاك ليس مناسباً لعلاقة بطرس بالمسيح، ولهذا تأتي تحليلات بعضهم ألغازاً تارة، واحتمالات أخرى، يقول باركلي **«ولعل حدة انتهار يسوع لبطرس تبين لنا أن بطرس يردد ما كان الشيطان يحدث به نفس بطرس في أذن يسوع، لهذا كان بطرس شيطاناً في هذه اللحظة. وكلمة (شيطان) معناها خصم أو عدو، ولهذا كان بطرس في هذه اللحظة يهتم بأفكار الناس لا بأفكار الله، لأن الشيطان كان على الدوام يحاول أن يبعده عن طريق الله»** .

وهكذا يوصف صاحب الإعلان العظيم بالشيطان، ويأخذ المسيحيون إعلاناتهم عن الشياطين، فقد تقمص الشيطان جسد بطرس وراح يحارب ويجرب (**الرب يسوع**) ولكن الرب تخلص من بطرس ومن شيطانه، وفي تفسيره لمرقص ٨: ٣٣ يتساءل باركلي: لماذا وبخ السيد بطرس بشده ؟

ثم يفترض في الإجابة أن المسيح كان في تلك الفرصة يحارب الشيطان لا وجهاً لوجه كما حدث في تجربة البرية بل في شخصية صديق، لقد جاءه المجرب مرة أخرى يغريه أمام الموت أن يتخذ طريقه لا طريق الله، طريق التضحية والموت».

وهذه التحليلات تجيز أن يلعب الشيطان في دماغ المسيح. وأن يلبس بطرس ويتكلم بلسانه، فالمتحدث هو الشيطان واللسان الذي يتحرك بالكلمات والجمل هو لسان بطرس، والأذن التي تسمع هي أذن المسيح، والمسيح الذي كان يأمر العفاريت فتخرج من أجساد الناس وتدخل في الخنازير يقف عاجزاً أمام العفريت الذي ركب صاحب الإعلان العظيم. والمسيح العاجز هو الله عند المسيحيين. أما كان أولى بهذا الوصف من أسلم الإله للصلب؟ لكأنه يقول له ابتعد عني لا لأنك تفعل أفعال الشياطين فحسب، بل لأنك أنت الشيطان نفسه، وهذا وصف ما وصف به نبي من الأنبياء أتباعه، فموسى لم يقل لصانع العجل اذهب يا شيطان بل ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاس**﴾[1] .

---

(١) سورة طه ، الآية [[٩٧]] .

ومحمدٌ ﷺ لم يصف أتباعه بمثل هذا الوصف الشنيع، عاش معه أنس عشر سنوات يخدمه، فما قال له أف قط، ولا قال له لشيء فعله لما فعلت، ولا لشيء لم يفعله لم تفعله، لكن هذا الحواري الحبيب إلى قلب المسيح، والذي لم يعاشره أكثر من ثلاث سنوات، والذي سماه ببطرس؛ لأنه يمثل صخرة صامدة في وجه رياح الكفر، فجأة يضيق المسيح به ذرعاً، فيلعنه ويلقبه بالشيطان، من يصدق أن يفعل المسيح هذا؟

إن هذه القصة لا تقلل من مكانة بطرس فحسب، بل تجعل المسيح يتنكر لجميل من بادر بالاستجابة إلى دعوته، فهل كان المسيح منفراً إلى هذا الحد؟ هل كان المسيح مؤذٍ لأصحابه إلى هذه الدرجة؟

ومع أن كتاب الأناجيل قد أجمعوا على هذه الحكاية، إلا أنه لم يصفها أحد منهم في صورة مخزية كما سجلها مرقص. وإذا كان مرقص كما يزعمون هو تلميذ بطرس فبماذا يفسرون ذلك ؟ .

يقولون: إن في ذلك دليل قوي على مدى إخلاص بطرس وندمه الصادق. فبطرس إذا قال للمسيح (أنت المسيح ابن الله) اعتبر كلامه هذا وحياً تنزل عليه من الإله الآب، ولكن إذا نطق بغير ذلك ولو كان بما يظهر الحرص على حياة الإله الابن وصفوه بأنه شيطان، واستقوا الدلائل على ندمه وتوبته، فما عسانا أن نقول لقوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟

إنكار بطرس للمسيح :

ولئن كان المسيح قد تنكر لجميل بطرس، وتناسي كل معاني الصحبة والعلاقة الطيبة التي تربطهما، ووصف صاحبه بالشيطان، فإن بطرس راح يرد بالمثل، فقد أنكر بطرس المسيح ذاته وأقسم أنه لا يعرفه في أشد اللحظات حاجة إليه.

لقد أراد كتاب الأناجيل أن يدعموا رواية الصلب بشهادة أحد الحواريين، فاختاروا كبيرهم، لكنهم جعلوه يشاهد من بعيد، وجعلوا شهادته تقوم على إنكار المشهود عليه، ثم أهانوه وهم يتحدثون عن إنكاره، وكم وصف بطرس بالجبن من قبل أناس لا يعرفون الشهامة ولا يسلكون طريقها، ويعترف باركلي في تفسيره لإنجيل يوحنا بأنه «لا يوجد واحد لقي من الوعاظ والمنابر قدر ما لقي بطرس، دائماً يجد الوعاظ لذهم في الحديث عن سقوط بطرس، وجبن بطرس». فكل واعظ يريد الظهور فليكن على حساب بطرس، لقد تبع المسيح من بعيد (وأما بطرس فتبعه من بعيد) فلماذا لم يتقدم ليفدي المسيح، وما قيمة حياة بطرس إذا كان الثمن هو إنقاذ حياة المسيح، ولكننا نرى بطرس يقف بعيداً، وخارج الدار، ثم ينكر المسيح ليس أمام محقق رسمي، وإنما أمام جارية لا قيمة لها ولا وزن. وهكذا يكثر علماء اللاهوت من لوم بطرس، فهذا الإنكار **«كان يمكن أن يكون السطور الأخيرة في قصة حياته نظير يهوذا، كان يمكن أن ينهي حياته بيديه، ويكفر عن فعلته بسفك دمه.**

لقد انتشرت ولا شك قصة إنكاره، والناس تستهويهم على الدوام عثرات الناس، يجدون لذتهم الكبرى في الحديث عن سقطات الآخرين، ولعله من الملذ لنا أن نتصور ما يتصوره التقليد، نتصور الناس يقلدون صياح الديك حين يشاهدون بطرس سائراً في الطريق، إمعاناً في السخرية منه»[١] فبطرس في نظرهم كان كاذباً، فقد أنكر تحت القسم أنه لا يعرف المسيح.

وبطرس في نظرنا كان صادقاً، فمن في العالم يعرف المسيح إذ لم يعرفه بطرس، ومن يؤمن بالمسيح إذا أنكره بطرس ؟

ويبدو أن الجواري كن يرصدنه في كل مكان، أينما توجه واجهته جارية: (**هذا كان مع يسوع الناصري**)[٢] حتى يضيق الرجل ذرعاً ويلعن ويقسم إنه لا يعرف هذا الرجل. فكيف ينكر بطرس جميل هذا الرجل عليه؟ ألم يخرجه من الظلمات إلى النور ؟ هل هو بطرس حقيقة ؟ هل هو بطرس الذي قبل قدمي المسيح قائلاً: يا رب اخرج.. لأني خاطئ ؟ هل هو بطرس الذي قال أو سيقول له المسيح ارع خرافي ؟

هل يكذب بطرس لينجو بنفسه على حساب المسيح ؟ ألم يلج السجن بعد ذلك على أمور كان أهون عليه أن يتجنبها ؟

فما فائدة قسمه وما فائدة إنكاره إذا كان ما قدر على سيده سيكون ؟

---

(١) باركلي شرح يوحنا .

(٢) في إنجيل متى جاريتان وفي مرقص وقوم، وفي لوقا جارية واحدة ورجل واحد وقوم .

لماذا لم يهرب بطرس مع الهاربين ؟ وإذا قرر أن يسير خلف يسوع فلماذا لا يتبعه من قريب؟ ولماذا ينكر ويحلف ؟ ألم يكن من أتباعه؟ أم أن القسم بالله لا قيمة له عند أمير الرسل؟

لقد مضى ينكر معرفته بالمسيح ثلاث مرات، وصاح الديك، وتذكر قول سيده فخرج إلى الدار وبكى بكاء مراً. ألا تعتبر هذه الصور التي رسمتها الأناجيل لبطرس متناقضة مع وصفه بالصخرة ؟ وكأنها رغبة تملأ قلوب كتاب الأناجيل تدفع بهم إلى التقليل من شأن بطرس، ومن ثم يرتفع نجم بولس، ذاك الفتى الشجاع الذي أصر على دخول أورشليم مواجهاً المخاطر رغم معارضة أتباعه، بينما بطرس كان عاجزاً عن أن يقول (نعم أنا من أتباعه) ليحظى بشرف الموت بجواره إن كان يرى أن في هذا شرفاً له. أو إن كان يرى أن هذا هو المسيح حقاً؟

إننا بين احتمالات بعدد الأناجيل التي أجمعت على إنكار بطرس:

- **الأول**: أن هذا الرجل هو بطرس، والمقبوض عليه ليس المسيح.
- **الثاني**: أن هذا الرجل هو بطرس والمقبوض عليه هو المسيح.

وطبقاً للأول يكون بطرس صادقاً، وكاذباً طبقاً للثاني.

- **الثالث**: أن هذا الرجل ليس بطرس وليس المقبوض عليه المسيح.
- **الرابع**: أن هذا الرجل ليس بطرس والمقبوض عليه هو المسيح.

وهذان الاحتمالان لا يقع الصدق والكذب فيهما على بطرس لأنه لم يكن موجوداً أصلاً، ومع الشواهد الكثيرة التي تنفي الاحتمال الثاني الذي يقلل من مكانة بطرس، ويجعله يتنكر لسيده، ليس مرة واحدة وإنما مرات

بعدد الثالوث، فقد ارتضاه المسيحيون، وأقاموا عليه عقيدتهم، معتمدين على التخمين، فلا بطرس كتب عن نفسه أنه تتبع المسيح من بعيد، ولا أحد كتبة الأناجيل وضع نفسه موضع جارية ليرصد الأحداث وليسجلها باعتباره شاهد عيان لها. وعلى كل الاحتمالات لا تستطيع أن تعرف من الأناجيل غير كلمة (**جارية**) وتقوم عقيدة القوم على جارية، ويكثر في الإصحاحات الأخيرة تعبير (**قلن.. وذهبن .. وشاهدن..الخ**) .

إن الأناجيل لتحكي عبارات لا يمكن أن تؤلف وحدة موضوعية لقصة واحدة، فبطرس الجبان هنا سوف يظهر شجاعاً بعد قليل (**فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس**) [1] فهل أطاع بطرس الله أكثر من الناس بإنكاره للمسيح.؟ هل هذه الصورة المختلفة ترجع لشخصية واحدة ؟ بطرس الذي قطع أذن عبد رئيس الكهنة يرى المسيح مهاناً ثم يسير خلف الموكب من بعيد في الظلام، فإذا دخل إلى قصر رئيس الكهنة، تنكر بطرس وراح ينكر المسيح (**قدام الجميع**) ثم يؤيد هذا الإنكار بقسم، ثم يلعن ويحلف، وأخيراً يصيح الديك فيتذكر تحذير المسيح له، فقد التفت المسيح ونظر إليه، تلك النظرة التي لو حدثت في عصرنا لما لاحقتها عدسات المراسلين، لكنها لم تفت كتاب الأناجيل،

---

(١) أعمال(٥ : ١٧ ــ ٢٩) .

سجلوها بلا حضور كما سجلوا نحيب بطرس، لقد خـرج إلى خـارج وبكي بكاء مراً [١] .

ولا نسمع شيئاً عن بطرس بعد هذا البكاء، وسيدفن المسـيح دون أن يحضر بطرس، وسيظل ثلاثة أيام إجمالاً، أو يوماً بين ليلتين تفصيلاً، سيظل هذه المدة الإجمالية أو التفصيلية لا يعرف شيئاً عن سيده، حـتى تأتيـه بالأخبار الأولي مريم المجدلية، وعندها يسرع إلى القبر مع التلميذ الـذي كان يسوع يحبه[٢] ليتأكد من إخبار النسوة، ومن ثم يرى يسوع حياً[٣]. ولكنه لا يراه قبل أن تظفر بتلك النعمة مريم المجدلية، ويحرم بطرس مـن الرؤية المباشرة حتى تخبره النسوة (لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم)[٤] .

---

(١) مت (٢٦ : ٥٦ ــ ٢٨) ، مر (١٤ : ٦٦ ــ ٧٢) لو (٢٢ : ٥٤ ــ ٦٢) ، يـو (١٨ : ١٥ ــ ٢٧) .

(٢) يوحنا (٢٠ : ١ ــ ٢).

(٣) لوقا (٢٤ : ٣٤) .

(٤) مرقص (١٦ : ٧) .

تجريد الراعي من مهامه الأساسية:

بعد تشويه الصورة الحقيقية لأمير الرسل جاء الدور الآن لتجريده من مهامه، فجاءت فكرة قيامة المسيح من قبره لتحقق هذا الغرض، فلم يعد ثمة دور لبطرس ولا للحواريين بعد أن عاد الراعي الأصلي إلى قطعانــه[1] وبعد أن هبط على شاول ليعهد إليه بمهمة نشر العقيدة طبقاً لمفهومهــا النهائي، وبهذه العودة غير المتوقعة يظهر المسيح في مرات عديدة لتلاميذه، ولكن يوحنا يحصرها في ثلاث مرات، ويبدو أنه اطلع على رواية واحدة في ثلاثة مصادر، فصاغ الواقعة في ثلاث صيغ متوالية، وفي الثالثة هدم ما أراده بولس عندما جعل بطرس هو راعي الخراف، فقد ظهــر المســيح لتلاميذه «**بعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بــن يونــا أتحبني أكثر من هؤلاء. قال نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك.**

قال له: ارع خرافي. قال له أيضا ثانية يا سمعان بن يونا أتحبني. قال له نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك. قال له: ارع غنمي.

قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبني. فحزن بطرس لأنه قال لــه ثالثــة أتحبني فقال له يا رب أنت تعلم كل شيء. أنت تعرف أني أحبك. قال له يسوع: ارع غنمي».

في كل مرة يظهر المسيح يأخذ يوحنا من رصيد الشائعات السابقة ما ينسجم مع هذه المرة أو تلك، في المرة الثالثة يأخذ من قصة التجلي الــتي

---

(١) عبرانيين (١٣ : ٢٠) .

ذكرتها الأناجيل الأولى ملهماً في الكتابة، فيوحنا يستخدم عناصر حادثة التجلي ليسجلها في الظهور المتكرر للمسيح، ولم يسجل هنا تغيير الهيئة لأنه كان يود إثبات أن الطيف الذي ظن أنه ظهر لهؤلاء التلاميذ أو لغيرهم هو المسيح حقيقة لا شك فيها. ويوحنا الذي بدأ إنجيله بإقرار أن المسيح هو الله الذي تجسد، يعود ليجعله في آخر إنجيله جسداً لا ألوهية فيه، فقد عاد ليأكل مع الآكلين كما كان في أيام الجسد.

ومع أن يوحنا كان موجوداً وقت التجلي وشاهداً لأعظم معجزة طبقاً للأناجيل الثلاثة الأولى إلا أنه لم يسجل الواقعة التي حضرها. مما يثير التساؤل عن أمانته تارة وعن حضوره تارة أخرى.

ومع أن بطرس كان قد أنكر المسيح ثلاث مرات، فإن يوحنا الغائب يمنحه فرصة للاعتراف بمحبته ثلاثاً، وكأنه يقولون: إن باب التوبة كان مفتوحاً أمام بطرس، ويزعم بعضهم أن الإنكار ثلاثاً والسؤال عن المحبة ثلاثاً كان تقريراً للثالوث لأنه كان موجهاً إليه من الثالوث، وفي تكرار السؤال ثلاث مرات أهمية خاصة لدي المسيحيين الذين يتوقف علم الحساب لديهم عند العدد ثلاثة، فهذا العدد أصبح له من القداسة ما لا يمكن تصوره للمعدود.

ويوحنا الذي سجل تكليف المسيح لبطرس يعود ليغمز بطرس بعبارات غامضة في مكانته وفي علاقته بالمسيح، فقد سأل المسيح بطرس ثلاث مرات هذا السؤال (أتحبني؟) وفي المرة الأولى أضاف (**أكثر من هؤلاء**) ومعنى هذه الإضافة أتحبني أكثر من حب هؤلاء لي، وفي تكرار السؤال

إيحاء بأن بطرس لم يكن يحب المسيح، وهذا ما نلحظه من موقف المسيح فقد كان يبادل تلميذاً آخر غير بطرس الحب (فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب) إن هذا التلميذ ليس بطرس، بل هو الذي أخبر بطرس بأنه الرب، ولك أن تخمن من هو هذا التلميذ، ولك أن تقول إن المسيح كان يحب تلاميذه كافة، وخاصة أسرعهم استجابة لدعوته، وأسبقهم إيماناً به، لكن ليس لك أن تعتقد أنه ﷺ ترك من يحبه ليسأل عن محبة مفقودة لدى بطرس.

غير أننا نرى أن القصة قد جزئت إلى قصص صغيرة ، وفهمت بمفاهيم مختلفة ، وما نراه حقيقة في هذا الموضوع هو أن بطرس بعدما قال للمسيح (لنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة) رد عليه المسيح قائلاً له: أتحبني يا بطرس أكثر من موسى وإيليا؟ قال له : نعم . قال له: إذاً عليك برعاية الخراف، إني الآن ذاهب مع موسى وإيليا.

إن حديث المسيح إلى بطرس وأمره برعاية الخراف ليس فيه غرابة ولا تناقض لو لم يحرك عن مناسبته، فلم يقل المسيح لبولس (**ارع خرافي**) بل حذر خرافه من الأنبياء الكذبة، وبين علامات هؤلاء الأنبياء (**حينئذٍ إن قال لكم أحدٌ هو ذا المسيح هنا أو هو ذا هناك فلا تصدقوا، لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضا. فانظروا أنتم، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم**

بكل شيء)[1] فمن كان يقصد المسيح بذلك ؟ إن المسيحيين لا يرون أحداً ينطبق عليه هذا النص أكثر من محمد، مع أن محمداً ﷺ لم يقل لهم **(هو ذا المسيح هنا ولا هو ذا هناك)** وإنما الذي قال لهم ذلك هو بولس[2]، وقد راجت فكرته لدى كتبة الأناجيل الذين لم يكونوا من الرسل ولا من التلاميذ، فاخترعوا قصة للمسيح بعد انتهاء قصته، ولهذا ينفرد يوحنا بذكر ما تجاهلته الأناجيل الثلاثة من موقف التجلي الذي حضره ثلاثة من الرسل، وهم: بطرس ويوحنا ويعقوب، ولا يعقل أن يودع المسيح هؤلاء الثلاثة دون أن يعهد إليهم بوصيته الأخيرة، ولكن عناصر القصة الواحدة تتوزع على الأناجيل الأربعة، فبينما تسجل الأناجيل الثلاثة الأولى الأفعال يسجل الإنجيل الرابع الأقوال، فقد كلف بطرس في وصيته الأخيرة برعاية خرافه، وبشرهم بالمعزي قبل أن يكون، حتى متى كان يؤمنون به، ثم تغيرت هيئته قدامهم ثم ودعهم وارتفع وهم يرونه، وهكذا تنتهي القصة في ثلاث جمل، ولكن الأناجيل فرقت هذه الجمل بعضها عن بعض، ومن ثم تحولت كل جملة منها إلى حكاية، وتحولت الحكاية إلى قصص وروايات، فالأناجيل الثلاثة أسقطت تكليف بطرس برعاية الخراف من مشهد التجلي، واكتفى يوحنا بنقله عن موضعه، فما معنى هذا التكليف ؟ هل معنى هذا أن المسيح كان يمتلك

---

(١) مرقص (١٣ : ٢١ ــ ٢٣).

(٣) في رسائل بولس نجد ترويج واضح لهذه الفكرة، فقد ظهر لأكثر من خمسمائة أخ كما يقول بولس في غلاطية .

قطيعاً من الأغنام ويود أن يعهد برعايته إلى بطرس ؟ إن الأمـــر لشـــبيه بذلك، إنه يود أن يقوم بطرس بدور راعي الغنم للمؤمنين به، فبطـــرس كان نائباً للمسيح في حياته، وخليفته على قومه من بعده، ولا يعقـــل أن يترك المسيح خرافه بلا راع، أو يترك خليفته بلا وصية، فقد قال المسيح لبطرس كما ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِـــعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

لكن النصارى تركوا راعيهم، وتفرقوا في الوديان إلى قطعان لا راعي لها، تركوا بطرس مثلما ترك اليهود هارون، ولهثوا خلف بولس مثلما لهث اليهود وراء السامري، ولقد كتبت الأناجيل جميعها بعد رحيـــل بـــولس بيقين، وما ظهرت قصة بولس ولا اسمه في إنجيل منها، كما لم يظهر اسم السامري في الأسفار الخمسة، ولهذا لم يكن أمامهم سوى الاعتماد علـــى ما عرف بالرسائل، ولا يزال القرآن الكريم يدعوهم إلى الاحتكام إلى ما أنزل الله في الإنجيل ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُـــمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُون﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية [[١٤٢]] .

(٢) سورة المائدة ، الآية [[٤٧]] .

خصوصية دعوة المسيح عليه السلام :

يؤكد القرآن الكريم على خصوصية رسالة المسيح عليه السلام ببني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [1] ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.. ﴾ .

أي إليكم دون سواكم، فلم تكن رسالته عليه السلام عامة كدعوة محمد ﷺ ففي حديثه ﷺ (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**) وعيسى عليه السلام هو أحد الأنبياء السابقين فلا يخرج عن هذا العموم، ولهذا تطلق كلمة ((**خراف**)) في الأناجيل على الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل .

ومن خلال الواقع التاريخي لدعوته عليه السلام لا تجد من بين تلاميذه من هو من غير اليهود، ولا يذكر إنجيل من الأناجيل الأربعة أن المسيح دعا غير اليهود، بينما تلاميذ بولس جميعهم باستثناء اثنين أو ثلاثة من غير اليهود.

وتختلف المسيحية التي أنشأها بولس عن تلك التي جاء بها المسيح في جنسها وفكرها، فالمسيح كان إسرائيلياً يعيش بين أحضان الكنعانيين (**الفلسطينيين**) إلا أنه ما رأي أن دعوتهم واجبة عليه، وحتى عندما تدعو الظروف إلى ذلك، فقد «**انصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : " ارحمني يا سيد**

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية [[٤٩]] .

يا ابن داود[1]. ابنتي مجنونة جداً " فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : " اصرفها؛ لأنها تصيح وراءنا " فأجاب وقال : " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[2] .

فهذا نص صريح، ولكن تأمل ماذا فعل بولس ؟ لقد ترك فلسطين بما فيها من يهود وكنعانيين، سامريين وعبرانيين، وانطلق إلى الرومان ليعرض عليهم ما لا يمكن تصديقه ولا قبوله في فلسطين .

---

(١) وهذا من غرائب القول حيث إن امرأة كنعانية تعرف أن المسيح من نسل داود، وهو ما لم يقدر علماء اليهود ولا كتاب الأناجيل أنفسهم أن يبرهنوا عليه، راجع شجرتي النسب في متى ولوقا.

(٢) متى (٢٥: ٣٢ ـــ ٣٤) ، ويذكر إنجيل متى (٨ : ١٣) أنه عليه السلام شفى خادم في حاشية الملك، وهو كما نعلم من الرومان ولكن يبدو أن هذا الرجل كان من اليهود الذين يوظفون في العمل مع الرومان مثلما كان متى جابياً للضرائب.

مهمة الرسل :

وإذا كان المسيح قد اقتصر في دعوته على بني إسرائيل فقد أوصى رسله أن لا يخرجوا عن هذا النهج، وهذا ما نلمسه من خلال تحذيره لحوارييه بأن لا يدعوا أحداً خارج بيت إسرائيل [١] ، وحتى السامريين وهم طائفة من اليهود لم يأمر المسيح رسله بدعوتهم، بل نهاهم عن ذلك بقوله: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات) [٢].

والمعنى: لا تقصدوا الطرق التي تؤدي إلى الأمم الوثنية، ولا تبشروا في مدينة يقطنها السامريون، وكان السامريون قد سكنوا في المنطقة الواقعة بين اليهودية والجليل، وهي التي تسمى بالسامرة، وقد تجنبهم اليهود، وأمر المسيح أتباعه بعدم دعوتهم مع أنه مكلف بالرسالة إلى بني إسرائيل. ولهذا لم تكن رسالته عليه السلام خاصة ببني إسرائيل فحسب، بل بعشيرته الأقربين من بني إسرائيل. و لم تدم أكثر من ثلاث سنوات؟

أما مرقص فيحكي أنه عليه السلام بعث برسله اثنين اثنين، وزودهم بالتعليمات اللازمة لنجاح مهمتهم، دون أن يبين الجهة التي يقصدونها

---

(١) وحكمة ذلك أن فترة دعوته عليه السلام كانت قصيرة جداً فلو حدث أن توسعت دعوته في المدة القصيرة فإنها سوف تتشكل وتتغير طبقاً لعقائد الناس ولن تتمكن من المحافظة على ذاتيتها .

(٢) متى (١٠: ٥ — ٧) .

(ودعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين. وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة. وأوصاهم أن لا يحملوا شيئا للطريق غير عصا فقط. لا مزودا ولا خبزا ولا نحاسا في المنطقة. بل يكونوا مشدودين بنعال ولا يلبسوا ثوبين.

وقال لهم حيثما دخلتم بيتا فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك. وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة. فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا. وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم) [١] .

ولا يشير لوقا هو الآخر إلى الجهة التي سيتوجهون إليها، وهو يختلف عن مرقص في بعض الأمور، فبينما يذكر مرقص أن المسيح أوصاهم بحمل العصا فقط، يصر لوقا على أنه قال لهم **(لا تحملوا شيئا للطريق لا عصا ولا مزودا ولا خبزا ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان)** [٢] .

وربما أكون محقاً عندما أفهم أن أمر المسيح لرسله قد شمل يهوذا الخائن، فقد قسمهم إلى مجموعات تضم كل مجموعة اثنين من الرسل. وطبقاً لهذا يصبح العدد ست مجموعات، ولنختلف على يهوذا ولكن لا خلاف على

---

(١) مرقص (٦: ٧ — ١٣) .

(٢) لوقا (٩: ١ — ٦) .

الإطلاق في أن بولس لم يخرج مع رسل المسيح. غير أن عدم تحديد وجهة المسير جاء مراعاة لاتجاه الرسول الغائب. وهو يشير إلى أن الكاتب لا ينتمي إلى مدرسة الحواريين التي تؤمن بأن المسيح حتى انتهاء دعوته لم يأمر أتباعه بالتوجه إلى الأمم.

ومن هذا نخلص إلى أن المسيحية لم تكن طائفة واحدة، بل طائفتين مسيحية يهودية وأخرى رومانية، وقد جاء كتاب الأناجيل يحرفون النصوص لخدمة المسيحية الموحدة، وفي سبيل هذا اتفقوا على أن المسيح بعد صلبه قام من قبره وكلف الرسل وغير الرسل بدعوة اليهود وغير اليهود، وفي هذا الموقف استدرك متى ومرقص غياب يهوذا فحسبوا الرسل أحد عشر، ولم يتفطنوا إلى إضافة متياس، يقول متى (**وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكّوا. فتقدم يسوع وكلمهم قائلا. دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر. آمين**)[1] .

وأما مرقص فيذكر أنه (**ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقسوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذي نظروه قد قام. وقال لهم**

---

(١) متى (٢٨: ١٦ ــ ٢٠) .

اذهبوا إلي العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن)[١] .

وأما لوقا فيركز على تحققهم من أنه يسوع بلحمه وعظمه[٢] **(وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبى. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي)**[٣].

إنه هنا لا يأمرهم بالانطلاق المباشر بالدعوة ولكن يحضهم على المكوث في أورشليم إلى أن تلبسهم القوة الروحية التي ستهبط عليهم من الأعالي. ولكن سفر الأعمال يذكر أن القوم سألوه عن عودة الملك إلى بني إسرائيل: **(أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل. فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه. لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض)** .

---

(١) مرقص (١٦: ١٤ ــ ١٨).

(٢) وهذا يعطينا بعض الدلائل على تأخر تدوين نجيل لوقا على متى ومرقص.

(٣) لوقا (٢٤: ٣٦ ــ ٤٩).

وطبقاً لهذه الروايات المختلفة في التفاصيل يؤمن المسيحيون بأن ديانتهم عالمية وتقوم جمعيات التنصير التي يدفعها هذا التحليل المتأخر بدعوة أمم الأرض كافة، ويعلق مفكرو المسيحية بأن ديانتهم أضحت عالمية بعد القيامة، ويرون أن الرسل والتلاميذ شرعوا يمارسون نشاطهم خارج اليهودية، وطبقاً لذلك يفترضون الكثير من الافتراضات، وطبقاً لهذه الافتراضات سوف يحولون بطرس إلى رسول عالمي، لكن رسالته ستظل بلا مضمون، وسرعان ما ينتهي دوره بخبر قيامة المسيح من بين الأموات، فلم يعد ثمة دور لبطرس ولا للحواريين بعد أن عاد الراعي إلى قطعانه[1] وأصبح الذي يتلقى منه التعاليم من كان بالأمس عدواً له. وأما هؤلاء الذين قضى معهم ثلاث سنوات فما عاد لهم دور بعد أن تركهم (**كخراف لا راعي لها**)[2].

وإذا كان المسيح قد حذر الحواريين من دعوة السامريين فمن اليوم سوف يذهب الحواريون الجدد لا إلى السامرة فقط، ولكن إلى كل أنحاء المعمورة. فتحققت النبوءة قبل أن يسجلها لوقا، يقول جون لوريمر: «وفي هذه الأثناء أيضاً حدث شيء بالغ الأهمية في تاريخ الكنيسة، هو تحول بطرس الرسول إلى مرسل متجول، فذهب إلى السامرة، ثم إلى لدة وأخيراً إلى يافا حيث جرت على يديه قوات وعجائب في المدينتين، في يافا مكث عند رجل دباغ اسمه سمعان، أما الحادثة التي كانت نقطة تحول

---

(١) عبرانيين (١٣: ٢٠).

(٢) متى (٦: ٣٤).

في حياة بطرس وحياة الكنيسة كلها، فكان تبشير كرنيليوس قائد المائة الروماني، لقد دعاه (**الرب**) بواسطة الرؤيا السماوية وهو فوق سطح بيت سمعان الدباغ، لأن يختلط بكل الناس من كل جنس وأمة، وأن يقدم الإنجيل حتى إلى الأمم.

وهكذا حدث فذهب إلى بيت كرنيليوس وبشره مع أهل بيته وعمده، وكان ذلك مبعث دهشة لليهود المسيحيين الذين كانوا معه، ولكنه عندما رجع إلى أورشليم واجهته عاصفة من الانتقاد من جانب أهل الختان (**ويلوح أن هذه القضية كانت قد أوجدت انقساماً في الكنيسة**) ولكنه أخبرهم بكل ما حدث بكل قوة منهياً خطابه بقوله (فمن أنا ؟ أقادر أن أمنع الله ؟ [1] فلم يستطع معارضوه أن يجيبوه، وهكذا نقض الحجاب بين اليهود والأمم، وعرف المسيحيون الأوائل المدى الواسع لإرساليتهم التي ينبغي أن تمتد أبعد بعيداً عن حدود بيت إسرائيل»[2].

ويميل الفهم ببعض المسيحيين إلى أن الدعوة في الأساس كانت محلية ثم اتجهت بعد ذلك إلى نطاق العالمية، لكن الواقع أن التكليف المحلي لا قيمة له، إذ لم تضح الحقيقة التاريخية للمسيح إلا بعد ظهور الاتجاه الثاني، فالإرسالية الأولى لم تكن كاملة، وبماذا كانوا يبشرون إن قلنا إن حقيقة المسيح لم تكشف بعد؟. أو إن قلنا بأن المسيح جعل أعداءه هم من يلوون أمر الدين ؟

---

(١) أعمال (١١: ١٧) .

(٢) تاريخ الكنيسة جون لوريمر جـ ١ صـ ٥٦، ٥٧ .



الفَصْلُ الثّانِي

رسائل من أمـــير الرســل

الفصل الثاني
رسائل من أمير الرسل

العهد الجديد :

لم يظهر العهد الجديد دفعة واحدة، ولم يظهر في القرن الأول من ميلاد المسيح ﷺ، ولم يدون أي سفر من أسفاره والمسيح ﷺ على ظهر الأرض، ولم يسجل أمير الرسل اسمه على إنجيل من أناجيله، بل يجمع الباحثون على أن أول ما دون من أسفاره كان رسائل بولس، فبولس آخر خلق الله اعتناقاً للمسيحية هو أسبقهم تأليفاً وكتابة فيها.

من الغريب أن يكون الأمر كذلك، من الغريب أن يأتي تدوين رسائل بولس قبل تدوين الإنجيل الذي نطق به المسيح، من الغريب أن يأتي تدوين أول سفر من أسفار العهد الجديد بعد رفع المسيح بعشرين سنة.

إن أول رسالة كتبت كما يعتقد دكتور حنا الخضري كانت رسالة كورنثوس حوالي (٥٢ م) ، وآخر تاريخ لكتابة الرسائل كان سنة (٦٥م) إذ يتفق المسيحيون على قتل بولس في هذا التاريخ. وبعد هذا التاريخ تبدأ مرحلة تدوين الأناجيل الأربعة، لقد كان على النصارى أن يظلوا تائهين أكثر من الفترة التي قضاها بنو إسرائيل في البرية حتى يروا الأناجيل التي تحمل أقوال المسيح، ومائة سنة أخرى حتى تحصل تلك الأناجيل على ختم اعتراف الكنيسة.

ففي هذه الفترة التي يصفها حبيب سعيد بأنها فترة غامضة من التاريخ المسيحي «**كتبت بشائر الإنجيل، ويبدو لنا أنه في تاريخ مبكر كانت مجموعة من أقوال المسيح متداولة بين المسيحيين، وربما حوالي(٧٥ – ٨٠ م) ظهرت بشارة مرقص على ما تقول التقاليد الأولى في كنيسة رومية، ومن أقوال مرقص ومجموعات أخرى من الأقوال والحوادث كتبت بشارتا متى ولوقا، ربما بين سنتي (٨٠ — ٩٥م) والأولى كتبت في إنطاكية على أرجح الأقوال .**

أما بشارة يوحنا فكان وضعها فريداً، ويقول ثقاة المؤرخين إنها كتبت في أفسس في الفترة من (٩٥ — ١١٠م) وكانت هناك بشائر أخرى لم تبق منها إلا مقتطفات مبعثرة، ولكنها لم تبلغ في علو القدر ما بلغته البشائر الأربع، التي تألف منها الإنجيل، والتي حسبتها الكنيسة قانونية رسمية أصلية، وهناك ذكريات وأقوال للمسيح لم تدمج في بشائر الإنجيل القانونية» [1] .

لم تستوعب الأناجيل القانونية إذن كافة أقواله ﷺ. ولم يكن أمام النصارى سوى الانتظار إلى عام (١٧٠م) حتى تكتسب أناجيلهم صفة الأدب المعترف به، فالمسيحية وجدت أولاً بلا أناجيل، ثم صيغت الأناجيل المعبرة عنها بعد ذلك بالتتابع، فقد ظهر كل إنجيل من الأناجيل

---

(١) تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) حبيب سعيد صـ ٤٨ دار الثقافة ، ويشير حبيب سعيد في الهامش إلى كتاب صدر عن دار الثقافة بعنوان (أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الإنجيل).

تلبية لحاجات زمنية ومكانية، ويُخطئ «**من يعتقد أن الأناجيل شكلت، بمجرد تحريرها الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة وأنه قد اعتمد عليها مثلما كان يعتمد على العهد القديم، لقد كانت السلطة السائدة في ذلك الوقت للتراث الشفهي**[1] .

إن أول الكتابات المتداولة وأول ما ساد منها قبل الأناجيل هو رسائل بولس: ألم تكن قد كتبت قبل ذلك بعشرات من السنوات؟

وقد رأينا أنه قبل عام (١٤٠م) لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية، على عكس مما يكتب بعض المعلقين حتى اليوم.

في تلك العصور المسيحية الأولى، كان هناك تداول كثير من الكتابات المنسوبة إلى المسيح، غير أنه لم يعتد بها ككتابات جديرة بصفة الصحة، كما أوصت الكنيسة بإخفائها، ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة، ولقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها (كانت تتمتع بالتقدير العام) على ما تقول لنا الترجمة المسكونية، ومن هذه رسالة برنابا، ولكن هناك نصوصاً أخرى قد (استبعدت بشكل أكثر عنفاً) ولم يتبق منها إلا بعض أجزاء. ولأنها كانت تعتبر

---

(١) يريد أن يقول إن فترة العشرين سنة التي تلت رفع المسيح كانت الكنيسة تعتمد على التراث الشفهي، مع أن الكنيسة قد أصدرت قرارات حرمان ضد كثير من الأناجيل والرسائل التي كانت متداولة في تلك الفترة. و هذه العبارة في نظري مغالطة .

ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين. برغم ذلك فهناك من المؤلفات، مثل أناجيل الناصريين، وأناجيل العبرانيين، وأناجيل المصريين، التي عرفت بفضل تنويهات آباء الكنيسة ما كان يشبه عن قرب الأناجيل المعترف بها كنسياً. ونفس الأمر ينطبق على إنجيل توما وإنجيل برنابا.

وبعض هذه الكتابات المزورة يحتوي على تفاصيل خرافية أنتجها الخيال الشعبي، وعلى ذلك فبعض مؤلفي دراسات عن الأناجيل المزورة يذكرون برضا شديد الوضوح مقاطع من هذه التفاصيل تدعو حقاً للسخرية. لكن من الممكن أن نجد مثل هذه الفقرات في كل الأناجيل. ولنذكر فقط الوصف الوهمي للأحداث التي يدعي متى أنها قد وقعت عند موت المسيح[1] يمكن إذاً أن نجد فقرات تفتقر إلى الجدية في كل كتابات العصور الأولى المسيحية: وعلى المعلقين أن يتحلوا بشرف الاعتراف بهذا.

لقد قادت وفرة الروايات عن المسيحية في مرحلة انتظامها إلى إجراء استبعاد لكثير من المؤلفات. وربما كان ما حذف مائة إنجيل !

---

(١) يقصد بوكاي أن يشير إلى انشقاق الهيكل وخروج الموتى يمشون في شوارع أورشليم التي يذكرها متى في إنجيله (٢٧ : ٥١ ــ ٥٣٠) .

لقد احتفظ فقط بأربعة من الأناجيل لتدخل في قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتي تشكل ما يسمى الكتب المعترف بها كنسياً» [١].

وأطلقوا اسم (أبو كريفا) على مجموعة الكتابات التي لم يعترفوا بها.

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ص ٩٩ ط / دار المعارف .

موقف الكنيسة من كتابات أمير الرسل :

إن الباحثين وغير الباحثين لا يجدون حرجاً في الإقرار بوجود كتابات غير المعترف كنسياً، فهل كان لأمير الرسل نصيب من تلك الكتابات ؟ نعم . لأمير الرسل العديد من الرسائل، وله أيضاً العديد من الأناجيل، ما تنكره الكنيسة منها وصفته بالتزوير، وما تعترف به منها تهمله. والـدليل على ذلك أنك تجد في كتب آباء الكنيسة إشارات كـثيرة إلى أناجيـل ورسائل منسوبة إلى بطرس، وبالتأكيد ليست كلها صحيحة، وليسـت كلها كذلك باطلة، والكنيسة لم تعزل الأصيل عن الدخيل، فقضت على هذه قبل تلك، ولم يبق إلا إشارات مؤرخي الكنيسة إلى بعـض تلـك الكتب ومنها:

إنجيـل بطـرس :

فقد ذكر يوسابيوس أن إنجيلاً يسـمى إنجيل بطرس كان مستخدماً في كنيسة مدينة روسوس في ولاية إنطاكية في نهاية القرن الثاني، وقد ثـار الجدل حوله، وبعد الفحص الدقيق حكم عليه سرابيون أسقف إنطاكيـة (١٩٠ ــ ٢٠٣م) بالهرطقة الدوسيتية [1].

وينسب أوريجانوس في تعليقه على (مت ١٠: ١٧) إلى هذا الإنجيل أنه قال: يوجد البعض من اخوة يسوع، أبناء يوسف من زوجة سابقة عاشت معه قبل مريم.

---

(١) التي تنكر أن جسد المسيح كان جسداً حقيقياً.

ويذكر يوسابيوس إنجيل بطرس بين الأناجيل الهرطوقية المزيفة.

ويقول ثيودوريت أحد مؤرخي الكنيسة اليونانيين (٣٩٠ ــ ٤٥٩م) إن الناصريين استخدموا إنجيلاً اسمه: بحسب بطرس. كما يشير إليه جــيروم أيضاً. وقد حكم بزيف هذا الإنجيل في المرسوم الجلاسياني (٤٩٦م) .

ويقول سلمون (**١٨٨٥م**) إنه لا توجد أجزاء كثيرة من هذا الإنجيل، وواضح أنه لم يكن واسع الانتشار، ولكن في السنة التالية عثرت البعثــة الفرنسية الأركيولوجية في صعيد مصر ــ في قبر يظن أنــه قــبر أحــد الرهبان في أخميم ــ على رقوق مكتوب عليها أجزاء من ثلاثة مؤلفــات مسيحية مفقودة هي: سفر أخنوخ، وإنجيل بطــرس، ورؤيــا بطــرس، فنشرت في (١٨٩٢م) وأثارت جدلاً كثيراً.

ونشر علماء مبرزون صوراً طبق الأصل من الإنجيل، وقدروا أن هــذه الرقوق تحتوي على حوالي نصف الإنجيل الأصلي، فهي تبدأ من منتصف قصة الآلام بعد أن غسل بيلاطس يديه من كل مســئولية، وتنتــهي في منتصف جملة، عندما كان التلاميذ في نهاية عيد الفطــير ينصــرفون إلى بيوتهم: لكن أنا (**سمعان بطرس الكاتب المزعوم**) واندراوس أخي أخذنا شباكنا وذهبنا إلى البحر، وكان معنا لاوي بن حلفــى ...) ويــذكر هارناك حوالي ثلاثين إضافة في إنجيل بطرس لقصة الآلام والدفن (وهــي موجودة بالتفصيل في مجلد عن الكتابات ما قبل نيقية باسم المخطوطــات المكتشفة حديثاً ــ أدنبرة ١٨٩٧) لكن دكتور سويت (**إنجيل بطرس ــ لندن ــ ١٨٩٣م**) يقول: إنه حتى التفاصيل التي تبدو جديدة تمامــاً أو

التي تتعارض مباشرة مع الأناجيل القانونية، يمكن أن تكون مأخوذة عنها، ثم يختم بالقول: إنه بالرغم من كثرة الجديد فيه فليس هناك ما يضطرنا لافتراض استخدام مصادر خارجة عن الأناجيل القانونية.

أما بروفسور أور فيقول إن الأصل الغنوسي لهذا الإنجيل يبدو واضحاً في قصة القيامة والمعالم الدوسيتية فيها ـ أي أنها صادرة عن الذين يعتقدون أن المسيح لم يكن له إلا شبه جسد ـ من القول بأن يسوع على الصليب كان صامتاً كمن لا يشعر بألم، ومن صرخة الاحتضار على الصليب: قوتي، قوتي، لقد فارقتني بما يعني أن المسيح السماوي قد انطلق قبل الصلب[1].

والبعض يرجع بالإنجيل إلى الربع الأول من القرن الثاني والبعض الآخر إلى الربع الثالث من نفس القرن[2].

وإذا كانت الكنيسة قد اختارت أربعة أناجيل فلماذا لم تجعلهم خمسة وتضيف إنجيلاً لبطرس ؟ أم أن كل أناجيل بطرس كانت مزورة ؟

يبدو أن كل إنجيل كان وراءه قصة، والقصة تدور حول كنيسة تدافع عن هذا الإنجيل أو ذاك وتنتهي القصة عندما تكلل جهود الكنيسة بالنجاح ويعترف بقانونية هذا الإنجيل أو ذاك.

ولم يكن لإنجيل بطرس سوى الكنائس اليهودية، وبعض الكنائس التي ظهرت مؤخراً مثل كنيسة مدينة روسوس في ولاية إنطاكية، وهي كنائس

---

(١) مما يعني أن الصلب لم يقع على المسيح .

(٢) ارجع إلى دائرة المعارف الكتابية مادة بطرس ، ومادة أبوكريفا . س .

ظلت حتى نهاية القرن الثاني تعتز بإنجيل بطرس، ولكن إنجيلها لم يقبل مع الأناجيل الأربعة لضعف نفوذها، فالكنائس التي آمنت بالأناجيل الأربعة أصبحت تشكل نفوذاً يعلن أن ساعة ميلاد المسيحية الرومانية قد حانت، فقد أصبح وجود تحالف ضد المسيحية اليهودية ظاهراً للعيان، كما وصفت أناجيل الرسل بالهرطقة، وحوصرت بفتاوى التحريم، مما انتهى ببعض الكنائس إلى تغيير ولاءها من بطرس إلى بولس أو إلى أبولوس، أو من إنجيل الختان إلى إنجيل النعمة، أو بالأحرى من بشارة اليهود إلى بشارة الأمم.

رؤيا بطرس :

ويشير إليها ثاوفيلس الأنطاكي، ويقتبس منها اكليمندس الإسكندري، ويسجل سوزومين في القرن الخامس أنها كانت مازالت تقرأ في الكنائس سنوياً في يوم جمعة الصلب. وقد لاقت بعض الاعتبار سواء وقتياً أو محلياً في بعض الجهات. وقد ورد ذكرها في الوثيقة الموراتورية مع التعليق عليها بأن البعض لا يؤيدون قراءتها في الكنيسة.

وهكذا أوشك هذا السفر على تخطى عقبة الاعتراف لو لم ينسب إلى بطرس، فقد علا صوت المعارضين، ورفضه يوسابيوس مع غيره من الكتب الأبوكريفية عن بطرس. ومع ذلك لقي الكتاب رواجاً في الشرق والغرب، وانتقلت الأفكار التي به إلى غيره من المؤلفات مثل الأقوال السبيليانية ورؤيا بولس ورؤيا توما حتى عصر دانتي وكوميدياه الإلهية.

ويستدل من كتابات الآباء على أن الكتاب يرجع إلى القرن الثـــاني، ويحتمل أنه يرجع إلى النصف الأول منه.

لقد عرف النص منذ (**١٨٨٦م**) عندما اكتشـــفت في أخمـــيم جـــزازة باليونانية مع جزء من إنجيل بطرس.

وفي عام (**١٩١٠م**) اكتشفت نسخة باللغة الحبشية، وثبت أنها هـــي رؤيا بطرس من مقارنتها بما جاء بكتابات الآباء من اقتباسات منها. كما توجد أيضاً جزازتان أصغر من هذه.

والنسخة الحبشية تكاد تتفق في طولها مع ما ذكره أنيسفورس والفهرس في المخطوطة الكلارومونتانية، ولعلها تقدم لنا المحتويات الأصـــلية لهـــذه الرؤيا، ولو أنه من الواضح أن النص قد عاني من نقص معرفـــة المتـــرجم باللغة اليونانية والجزازة الأخميمية أقصر جداً وتسرد المعلومات في ترتيب مختلف.

وحسب النسخة الحبشية: سأل التلاميذ يسوع على جبل الزيتون عن علامات مجيئه وانقضاء الدهر، وبعد أن حذرهم من المضلين، ذكر لهـــم مثل شجرة التين، وفسره لهم بناء على التماس بطرس. ويبدأ الجزء الثالث بالقول: **«وأراني في يمينه صورة لما سيحدث في اليوم الأخير»** .

وإذ رأي كيف سينوح الخطاة في شقائهم، يذكر (بطرس) القـــول:

« كان خيراً لهم لو لم يولدوا) ثم بعد ذلك وصف موجز لنصيب الأبرار (الإصحاحان ١٣، ١٤) ويعقبهما فصل مقابل لقصة التجلي كما جاءت في الأناجيل (تحولت في الجزازة الأخميمية إلى وصف للفردوس ».

وبعد صدور الصوت (**مت ١٧: ٥**) أخذت سحابة يسوع وموسى وإيليا إلى السماء (**وهذا الجزء الأخير غير موجود في اليونانية**) ثم نزل التلاميذ من الجبل وهم يمجدون الله [1].

أعمال بطرس :

أول من أشار إلى هذا المؤلف هو يوسابيوس (**المجلد الثالث ٣: ٢**) بقوله:

«إن أعمال بطرس وإنجيله وكرازته ورؤياه لم تعتبر بين الكتابات الجامعة.أنه لم يستشهد بها أي كاتب كنسي قديم أو حديث. وتحوم الشكوك القوية حول الإشارات الأسبق عهداً.

ويوجد جزء كبير (**حوالي الثلثين**) منه محفوظاً باللغة اللاتينية، يطلق عليه (**أعمال فرسيلي**) نسبة إلى مدينة فرسيلي في بيدمونت حيث توجد المخطوطة في مكتبة كنيستها.

---

(١) نزل التلاميذ من غير يسوع طبعاً، كما سبق أن استنتجنا..

كما اكتشف جزء منها بالقبطية ونشره في (**١٩٠٣م**) س. شميدت تحت عنوان (**أعمال بطرس**) ويرى شميدت أنها جزء من كتاب أخذت منه أعمال فرسيلي، ولكن هذا الأمر موضع شك. وهذا الجزء يتعلق بحادثة حدثت في أثناء خدمة بطرس في أورشليم، بينما (**أعمال فرسيلي**) تروي قصة الصراع بين بطرس وسيمون الساحر، واستشهاد بطرس في رومية. وما ذكره عنها كتاب الكنيسة (**فيلاستريوس من برسكيا، وإيزادور من بلوزيوم وفوتيوس**) يؤكد أن (**أعمال فرسيلي**) هي جزء من أعمال بطرس التي حرمت في مرسوم أنوسنت الأول (**٤٠٥م**) وفي المرسوم الجلاسياني (**٤٩٦م**) .

أعمال بطرس وأندراوس :

وهي امتداد لأعمال أندراوس ومتياس، وتحوير أوسع لأعمال أندراوس. ويوجد هذا المؤلف في اليونانية والسلافية، لأعمال أندراوس. ويوجد في الحبشية (**مع تعديل أندراوس إلى تداوس**).

ويبدأ الكتاب بعودة أندراوس من مدينة آكلي لحوم البشر، فتحمله سحابة من نور إلى الجبل حيث كان يجلس بطرس ومتياس وألكسندر وروفس، فيطلب منه بطرس أن يستريح من أتعابه، ولكن يسوع يظهر في صورة طفل، ويرسلهم إلى مدينة البرابرة.

وعندما يقتربون منها، يستطلع بطرس الأحوال بأن يطلب خبزاً من رجل عجوز، وعندما يذهب الرجل لإحضار الخبز، يقوم الرسل بالعمل في الحقل نيابة عنه، فيعود الرجل ويجد المحصول ناضجاً للحصاد. ويحاول رؤساء المدينة منعهم من دخولها بوضع عاهر عارية في بوابة المدينة، ولكن بلا جدوى.

ويهاجم أينسيفورس الغني أندراوس، ولكن بطرس يتدخل، ويسرع بالنطق بما جاء في إنجيل متى:

(وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله) فيتحدونه أن يفعل هذه المعجزة، فيضطرب بطرس، ولكنه يتشدد بظهور يسوع له في صورة طفل في الثانية عشرة من عمره. ويأتون له بجمل وإبرة ذات ثقب ضيق كطلب بطرس.

وبناء على كلمة بطرس يتسع ثقب الإبرة حتى يصبح كالبوابة فيمر الجمل منه[1] فيصر أينسيفورس على إحضار إبرة وجمل بمعرفته في محاولة لتعجيز بطرس، ولكن بطرس ينجح مرة أخري في إجراء المعجزة.

وعندئذ يعد أينسيفورس بإعطاء كل أمواله للفقراء، وإطلاق كل عبيده أحراراً، إذا أذن له بطرس في أجراء المعجزة بنفسه، فيساور بطرس الشك، ولكن صوتاً يأمره بأن يدع أينسيفورس يفعل ما يريد.

---

(١) ولا شك في أن هذا استخفافا ببطرس (ارجع إلى المقدمة) .

وفي هذه المرة يدخل الجمل حتى عنقه فقط، فيكتفي أينسيفورس بذلك، وقد علل بطرس الأمر بأن أينسيفورس لم يتعمد بعد. وكانت النتيجة اعتماد ألف نفس في تلك الليلة. وفي اليوم التالي، تعطي العاهر ـــ التي كانت على البوابة ـــ كل أموالها للفقراء وتجعل من بيتها ديراً للعذارى.

أعمال بطرس وبولس :

وهو مجموعة روايات باليونانية، البعض منها مأخوذ عن أعمال بطرس. وتبدأ بارتحال بولس من جزيرة جواد ومليت إلى روما، فيستنجد اليهود بنيرون ليوقفه عند حده، فيأمر نيرون بذلك، فيقبض على ديوسفورس ربّان السفينة ـــ ظناً منه أنه بولس ـــ ويقطع رأسه في بوطيولي. وتزخرف القصة ببعض الأساطير المحلية، ثم تتبع القصة بعد ذلك النص (المارسلياني) في رواية الخدمات المشتركة للرسولين في روما، وتعاملهما مع سيمون الساحر.

هذه هي بعض الكتب المنسوبة إلى بطرس[1]، والتي لم تعترف بها الكنيسة، وإن كانت لا زالت تنسب إليها الكثير من الخرافات، وتتخذ ذلك دليلا على صواب رفضها، غير أن هذه الكتب كان يمكن أن تبين الكثير مما لم يرد في الأناجيل الرسمية، وكنا نود لو أبقت الكنيسة هذه الكتب لتظل سنداً لحكمها عليها.

---

(١) دائرة المعارف الكتابية راجع مادة بطرس ومادة أبوكريفا.

اعتراف الكنيسة ببطرس :

لم يأت هذا الاعتراف قبل قرنين من ميلاد المسيح، و لم يأت هذا الاعتراف إلا على رسالتين فقط، ورغم صغر حجم هاتين الرسالتين إلا أنهما يشبهان بيضة الديك، وقد قبلتهما الكنيسة لأسباب كانت هي نفسها الدافعة لكتابتهما، فجاءت الرسالتان معبرتان عن موقف الكنيسة فإحداهما تقر بالصلب والأخرى لا تنفيه، فقبلتهما الكنيسة التي رفضت بطرس قبل أن تسمع عن كتاباته، الصحيحة وغير الصحيحة.

ولربما جاء قبول رسالتي بطرس كمحاولة متأخرة لكسب أو لإسكات أصوات كثيراً ما أظهرت الميول اليهودية، فلا شك في أن قبول هاتين الرسالتين ووضعهما ضمن أسفار العهد الجديد قد جاء لأسباب محددة ومعروفة في وقتها، فقد ظلت الرغبة في معرفة رأي المنتمين إلى مدرسة المسيح في ظل تعدد الآراء والمذاهب، واتساع هوة الخلاف بين الكنائس هي شغل القاعدة العريضة من الناس، لقد أصبح الكل يسأل عن موقف مدرسة الرسل، وما كانت الكنيسة لتعطي أهمية لهذه الرسائل لو كانت تحمل اسماً غير بطرس، فقد قبلتهما بعد أن رفضت العشرات من الأناجيل والرسائل، وبعد أن شعرت بأن أحداً لم يقتنع بأن ما في سفر الأعمال يعبر عن رأي بطرس، فكانت هاتين الرسالتين بمثابة جبر لخاطر الكنيسة التي نشأت مكسورة الجناحين والرجلين لعدم صلة لوقا بكنيسة أورشليم.

ولا شك أن بطرس هو الشخصية الرئيسية في المسيحية، فهو راعي الكنيسة الأول بعد المسيح، لكن العجيب أن تتعرض كتاباته للإقرار

والحذف، وممن؟ من أناس دخلاء على دين المسيح. وفي الوقت الـذي لم يتوقف فيه هؤلاء أمام رسالة واحدة لبولس، فإنهم يتوقفون أمام كل كلمة تنسب إلى بطرس. ألا يثير تباطؤ الكنيسة في الاعتراف ببعض الرسـائل المنسوبة إلى بطرس تساؤلات عديدة؟ فلماذا تقدم بطرس على الحواريين كافة وتأخرت كتاباته حتى عن غير الحواريين؟

لقد تشكلت البداية على هيئة اعتراف متبادل بين الكنائس الكبرى، فكل كنيسة تعترف بما لدى الأخرى في مقابل أن تعترف الأخرى بما لديها من أسفار، وما كانت كنيسة أورشليم لتمد يدها إلى المحرفين، ومـا كـان المحرفون ليقبلوها بفكرها المناقض لما هم عليه، مما أدى إلى فرض العزلـة على كنيسة أورشليم والكنائس التابعة لها، واتحدت الكنائس الواقعـة في أعماق الإمبراطورية الرومانية لتتمخض تلك الوحدة عن ميلاد (العهـد الجديد).

۞ **الرسالة الأولى: إلى المشتتين في أقصى الأرض** :

جاءت الرسالة الأولى المنسوبة إلى بطرس لتـثير العديـد مـن التساؤلات دون أن تقضي على مشكلة ما، فمن هو بطرس الذي يكتب؟ إنه رسول يسوع المسيح، ولمن تتوجه الرسالة؟ إلى المتغربين من شـتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وأسيا وبيثينية المختارين.

إن كلمة المتغربين تشير إلى شعب يعيش بعيداً عن بلاده نـزيلاً في أرض غربية .

فهل حدثت هجرة في حياة بطرس إلى تلك الأماكن البعيدة ؟

وهل اتباع المسيح طبقاً للأناجيل كانوا يشكلون في هذا الوقت جماعة يمكن أن يترح منهم عدد يتوزع على الأماكن الخمسة ويستقر فيها في حياة بطرس ؟

ألم يكن الأمر في حاجة إلى مائة سنة على الأقل ليتم ذلك ؟

وإذ نجد لبولس أربع عشرة رسالة لا نرى لبطرس غير رسالتين.

فهل كتابة رسالة أو اثنتين يشهد بأن أمير الرسل قد أدى الدور الذي كلفه به المسيح أم أنه كان أمامه أكثر من هدف، وأكثر من جبهة، وكان الأمر في حاجة إلى أكثر من إنجيل وأكثر من رسالة لتوضيح العقيدة الأصلية ؟ ألم يكن أمير الرسل يعلم أنه مسئول عن رعيته؟ فهل غاب الراعي وتفرقت الرعية ؟ أليس إصلاح فساد الراعي خيراً من إصلاح فساد الرعية ؟ هل هو بطرس الذي يكتب ؟ وما علاقته بهؤلاء، أليست دعوته أساساً لأهل الختان ؟

وإذ تجد رسائل بولس موجهة إلى جماعة محددة فإن هذه الرسالة موجهة إلى أناس مشتتين، ومعرفة هؤلاء المشتتين هو أحد الأسرار التي قد لا يريح رجال اللاهوت الكشف عنها، وجهابذة التفسير منهم يدعون أن هذه الرسالة تتبع قائمة الرسائل المعروفة باسم الرسائل الجامعة أو العامة، ويقولون في سر تلك التسمية أن هذه الرسائل موجهة إلى الكنيسة بصفة عامة تمييزاً لها عن رسائل بولس التي كانت موجهة إلى كنيسة محددة أو شخص محدد.

ويبدو أن هذا التعميم في المرسل إليهم والمكان الذي انطلقت منه الرسالة قد أريد به أن يكون لوناً من التعمية والتزوير، فلا يعرف القارئ من أين خرجت ولا إلى أين تتجه هذه الرسائل. وقد ضاعت حدود المدن واختلف مدلولها وتاهت معالمها. وما عاد الأمر يشغل بال أحد من المسيحيين، كما لم تعد معرفة من كتب هذا السفر أو ذاك تشغل سوى طائفة قليلة من الدارسين والباحثين الذين إن سمح وقتهم بالبحث فلن يجدوا إجابة عما يبحثون.

الرسالة في الميزان :

الرسالة الأولى لبطرس لم تنل اهتماماً يذكر من رجال الكنيسة. ويبدو أن الانقسام بشأنها لم ينته بعد، فلا زال هناك موقفان داخل الكنيسة يعبران بوضوح عن الاستخفاف بالرسالة، فأصحاب التقليد المعترفون بها لا يرون أنه يتوقف على إثباتها أو نفيها كبير فائدة، وبعضهم يرفض إضاعة الوقت في البحث بشأنها، ونحن نستعرض الموقفين الرافض والقابل للرسالة وكاتبها.

الموقف الأول: موقف أصحاب التقليد:

يظل التقليديون يصرون على أن كل الكتاب موحى به من عند الله. إنهم يشكلون الجمهور العريض من أتباع الكنائس الثلاثة من الوعاظ والقساوسة الذين يقطعون بنسبة الرسالة إلى بطرس. والأدلة على صحة الرسالة وسلامتها لديهم قوية راسخة، وهي كما يصورها باركلي تنقسم إلى داخلية وخارجية.

الأدلة الخارجية:

حيث يذكرها بوليكاريوس ـ تلميذ يوحنا، والذي استشهد في سنة ١٥٦م وهو في السادسة والثمانين من عمره أو أكثر ـ بعبارات واضحة لا لبس فيها.

كما أن ايريناوس ـ الذي يمكن أن يقال عنه إنه يمثل الشرق والغرب، والذي كان تلميذاً لبوليكاريوس ـ يقتبس منها الكثير على وجه التحديد.

وكذلك أكليمندس الإسكندري ــ المولود في حوالي (١٥٠م) والمتوفى في حوالي (٢١٦م) ــ يقتبس أيضاً كثيراً، ويكرر اقتباسه للعدد الثامن من الإصحاح الرابع عشر مرات على وجه الحصر.

ويلخص يوسابيوس شهادة الكنيسة الأولى فيضع الرسالة بين الأسفار التي لم يثر حولها أي جدل، ولم يحم حولها أي شك في أي جزء من أجزاء الكنيسة الجامعة كما يقول بروفسور لامبي في تفسيره للكتاب المقدس.

الأدلة الداخلية:

والأدلة الداخلية على صحة الرسالة قاطعة أيضاً مثل الأدلة الخارجية. فكاتب الرسالة عارف تماماً بتعليم المسيح ويستخدمه لتوضيح وتدعيم أقواله. فما أكثر الإشارات إليها كما هو في الأناجيل الأربعة. كما أنه عارف بالرسائل الأخرى وبخاصة يعقوب ورومية وأفسس.

ولكن أعظم ما يسترعى الانتباه هو المشابهة القوية في الفكرة واللغة، بين الرسالة وبين أقوال بطرس المسجلة في سفر الأعمال. فعندما تقارن بين :

ابط ١: ١٧ مع أ ع ١٠: ٣٤ .

و١: ٢١ مع الأعمال ٢: ٣٢ ــ ٣٦ .

١٠: ٤٠، ٤١، ٢: ٧، ٨ مع الأعمال ٤: ١٠، ١١ .

و٢: ١٧ مع الأعمال ١٠: ٢٨ .

و٣: ١٨ مع الأعمال ٣: ١٤، تلحظ الشبه الشديد بنيهما.

ويتضح من كل هذه الحقائق أن رسالة بطرس الرسول الأولى في الفكر والعبارات تنتمي إلى نفس الفترة، وتتناول نفس الحقائق، مثلها في ذلك مثل سائر أسفار العهد الجديد، فالكاتب رسول، وهو على وجه التحديد سمعان بطرس.

ومما يكسب هذا الرأي شهرة داخل الكنيسة أن غير الباحثين يفضلون الاعتماد على آراء المتمسكين بنظرية عصمة الكتاب المقدس.

وتبلغ السعادة بهم ذروتها عندما يخرج عليهم باحث يثبت صحة عقيدتهم، فيفضلون تلك الدراسة التي قام بها أ. ج. سيلوين حيث أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن العقائد اللاهوتية في رسالة بطرس الأولى هي نفس العقائد اللاهوتية التي نجدها في مواعظ بطرس المدونة في الإصحاحات الأولى من سفر الأعمال)[1].

وهكذا يعتمد النصارى على من يخلطون بين عقيدة الكنيسة الأولى وسفر الأعمال، فمن قال إن عقيدة الكنيسة الأولى هي ما سجله سفر الأعمال؟ وأي فرق بين سفر الأعمال ورسالتي بطرس؟ فأحدهما كُتب مع أو قبل الآخر، لكن كليهما منقطع الصلة إلى بطرس، وعلى هؤلاء أن يعرفوا أن الكنيسة لم تؤخر قبول رسالتي بطرس فحسب، بل وترددت كثيراً في قبولهما، إن كل جهد يبذل بهدف الربط بين أفكار الرسالة

(١) باركلي تفسير رسالة بطرس الأولى. وعلى فرض وقوع التشابه بين سفر الأعمال ورسالة بطرس الأولى فإن هذا يدل على أن كاتب الرسالة ينتمي إلى مدرسة لوقا وليس هو بالضرورة بطرس .

الأولى لبطرس وبين عقيدة الكنيسة الأولى يضيع سدى، ولقـد حـاول كثيرون ولا زالت محاولاتهم مستمرة، ولا زال الخيط مقطوعاً بين الكنيسة الأولى وبين المسيحية القائمة الآن بما فيها من سـفر الأعمـال وسـفر الأقوال. ولأجل هذه المآخذ ظهر تيار يميل بقوة إلى نفي الرسـالة عـن بطرس .

❁ **الموقف الثاني**: **موقف الأحرار**:

وأكثرهم من مسيحي الغرب الذين يتسلحون بالجرأة، ولا يخشون بأس رجال الدين، وهؤلاء ينفون نسبة الرسالة إلى بطرس، ومن حججهم مـا يلي:

١ــ إن أقدم قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد تعرف باسـم (لائحـة موراتوري) نسبة إلى الكردينال موراتوري الذي اكتشـفها وهـي القائمة الرسمية التي قبلتها الكنيسة في روما حوالي سنة (١٧٠م) ومن أغرب الحقائق أن رسالة بطرس الأولى غير موجودة بتلك القائمـة على الإطلاق.

٢ــ إن رسالة بطرس الأولى لم ترد في العهد الجديد في الكنيسة السورية حتى عملت الطبعة السريانية للعهد الجديد والمعروفة باسـم بيشـيتو حوالي (٤٠٠م) وقد أصبحت الطبعة المعروفة باسم (البيشيتو) هـي الطبعة السريانية الرسمية للعهد الجديد، ولكن قبل ذلك لم تكن رسالة بطرس الأولى جزءاً من العهد الجديد السرياني، ونحن نعلم ــ كما

يقول براكلي ــ أن (**تاتيان**) هو الذي أتى بأسفار العهد الجديد إلى الكنيسة السريانية، فقد جاء بها من روما إلى سوريا عند ذهابه إلى أديسه وتأسيسه للكنيسة هناك سنة (**١٧٢م**) وعلى هذا الأساس فيمكن القول بأن لائحة (**موراتوري**) التي تحت أيدينا صحيحة، وأن رسالة بطرس الأولى لم تكن ضمن العهد الجديد للكنيسة الرومانية حتى سنة (**١٧٠م**).

٣- وإن هذا أمر يثير الدهشة خاصة إذا كان بطرس كتب الرسالة وفي روما بالذات .

وعندما نضع أمامنا كل تلك الحقائق معاً فإنه يبدو لنا أن هناك صمتاً غريباً حيال رسالة بطرس الأولى، وأن كل ما يقال في جانبها ليس مبنياً على أساس متين كما هو شائع [1] .

إن موقف الكاتب لا يكشف إلا عن شخصية عادية، فهو يقول عن نفسه (**أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد**) يقول باركلي «**وعندما نتجه بأنظارنا للكنيسة المسيحية نجد أن وظيفة الشيخ وظيفة أساسية، فكانت عادة بولس أن يعين شيوخاً في كل كنيسة في أول رحلة تبشيرية**»[2] .

---

(١) تفسير العهد الجديد (لباركلي) رسالة بطرس الأولى .

(٢) أعمال (١٤: ٢٣).

فالكاتب هنا يتحدث عن وظيفة أحدثها بولس، ولا يتحدث عن أحد الرسل أو التلاميذ، والشيخ الذي يقبل تلك الوظيفة هو كمن يقبل العضوية في كنيسة ما ولا يصح أن يكون أحد الرسل، ولا يصح من باب أولى أن يكون هو أمير الرسل، إن أهم ما يميز عمل الراعي هو اهتمامه المتزايد بالرعية، والقيام على التضحية لأجل الخراف، ولا يصح أن يتحول الراعي إلى رعية، وإن كان البعض ينظر إلى أن هذا الشيخ يتحدث عن ذكرياته مع المسيح، فأن هذه الذكريات ليست إلا كلمة بلا مضمون، إذ لم يذكرهم بقول واحد من أقوال المسيح عليه السلام.

۞الموقف الثالث: موقف المشككين :

وهم طوائف، بعضهم يرجح نسبة الرسالة إلى بطرس، وبعضهم يقترح أسماء غير بطرس. وهناك من يعتقد أن مقدمة الرسالة والتحية الختامية قد أضيفتا مؤخراً، وأنهما لم يكونا ضمن صلب الرسالة.

وهناك أيضاً من يظن أن الرسالة كما هي عليه الآن مكونة من جزأين منفصلين عن بعضهما، ففي (٤: ١١) نجد ترنيمة شكر وأفضل مكان لها هو النهاية. ونحن هنا نعرض عليك بعض هذه المواقف.

۞ أولاً: اقتراح أسماء غير بطرس :

وإذا لم يكن بطرس هو كاتب الرسالة فهل يمكننا أن نفترض اسماً آخر غير بطرس، وبمعنى آخر هل هناك من تتوفر فيه الشروط المتناسبة مع ظروف كتابة الرسالة؟

إن بابياس أسقف هيرابوليس حوالي سنة (١٧٠م) الذي قضى حياته يجمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى يخبرنا عن مصادره وطرقه في جمع المعلومات فيقول: «**إني لا أتردد في أن أقدم لكم بعناية كل ما تعلمته من الشيوخ واثقاً أنه الحق .. فإن جاء أحد وكان من أتباع الشيوخ فإني أسأله عن أقوال الشيوخ، وأيضاً عما قاله أرستيون أو الشيخ يوحنا تلميذ الرب لأني أعتقد أن الكتب لا تفيدني كالأقوال التي فاه بها أناس كانت أصواتهم تنبض حية أمامنا..**» .

فأمامنا هنا إذن شيخ اسمه أرستيون، فأرستيون كان شيخا، وكان تلميذاً للمسيح، ومن ثم شاهداً لآلامه. فهل له علاقة بالرسالة ؟

يجيب باركلي: عندما نقرأ «**القوانين الرسولية**» نجد أن أرستيون كان من الأساقفة الأوائل لسميرنا ــ وهو نفس اسم (**أرستيون**) ــ من أكثرهم اقتباساً لرسالة بطرس الأولى .. فهل من الجائز أن تكون الرسالة عبارة عن عظة عن المعمودية ورسالة رعوية كتبها أرستيون أسقف سميرنا؟ [1] .

هناك من يتحلى بالشجاعة فيعلن أن اسم بطرس هو اسم مستعار، يقول ف. و. بيير «**ليس هناك أي شك في احتمال أن يكون بطرس**

---

(١) تفسير العهد الجديد وليم باركلي شرح بطرس الأولى ، وأما أرستيون وبوليكاربوس فليسا من العبرانيين وكلاهما كان أسقفاً لكنيسة سميرنا، وكلاهما يقتبس من رسالة بطرس الأولى، ولنا أن نعتقد أن هذه الرسالة خرجت من كنيسة سميرنا ولم تخرج من أورشليم

مجرد اسم مستعار، أي أن بيير لا يشك في أن شخصاً قد كتب الرسالة تحت اسم بطرس» [١].

فهذا رأي كاتب يعتقد أن رسالة بطرس الأولى عبارة عن عظة معمدانية ورسالة رعوية كتبها أرستيون أسقف سميرنا، وقد كتبت تلك الرسالة الرعوية لتقوية وتعزية شعب سميرنا سنة (٩٠ م) عندما كان الاضطهاد المذكور في سفر الرؤيا يهدد الكنيسة، وقد صارت كتابات أرستيون تراثاً تعبدياً تقدسه كنيسة سميرنا وتعتز به، وبعد حوالي عشرين سنة نشب اضطهاد أوسع نطاقاً وأشد حدة في بيثينية، وانتشر في شمال أسيا الصغرى فتذكر أحدهم رسالة وعظة أرستيون وشعر أنهما لازمتان للكنيسة في وقت محنتها، فأرسلهما تحت اسم بطرس الرسول العظيم [٢].

ولا شك عندنا أن بيير هذا يستند على ما يجعله يوقن فيما يشك غيره فيه. فالعقائد اللاهوتية الواردة في الرسالة لا يمكن أن تكون هي ذات العقائد التي آمنت بها كنيسة أورشليم، وإذا كان ثمة من يظن أن افتراض اسم أرستيون قد يحل المشكلة، فإن هذا الاسم لا تجده في الكتاب المقدس بعهديه، كما أنك لن تعثر عليه ضمن أسماء العبرانيين، فكيف شهد آلام المسيح ؟.

---

(١) باركلي شرح رسالة بطرس الأولى .

(٢) تفسير العهد الجديد وليم باركلي شرح بطرس الأولى .

❁ **ثانيا: ترجيح نسبة الرسالة إلى بطرس :**

ومن الذين يكتفون بترجيح نسبة الرسالة إلى بطرس القس فهيم عزيز، فقد انتهى إلى ترجيح نسبة الرسالة إلى بطرس، وقد جاءت حجج النافين ورد القس عليها على النحو التالي:

أ ـ رأي كثير من العلماء أن هناك تشابهاً بين هذه الرسالة ورسالة اكليمندس الروماني إلى كورنثوس. ويعتقدون أن اكليمندس قد اقتبس منها، ومع ذلك فلا يذكر أنه يقتبس، ولا يذكر اسم كتاب يقتبس منه.

ب ـ بدأ الآباء يقتبسون منها ـ وهذا أمر مؤكد ـ منذ عصر إيريناوس، وكانوا يذكرون أنهم يقتبسون من رسالة الرسول بطرس. ولعل أسماء مشهورة كترتليان واكليمندس الإسكندري وثاوفيلس الأنطاكي كافية على أنها تعطي شهادة قوية لصحة نسبة هذه الرسالة.

ومع ذلك فإننا نقابل شهادة نفي قوية وذلك في قائمة الموراتوري من الكنيسة الغربية، فالرسالة غير موجودة في هذه الوثيقة الهامة، ولكن الرد على ذلك هو أن هذه القائمة لا تحتوي على الرسالة الثانية، ولا الرسالة إلى العبرانيين، ولا رسالة يعقوب. ويلوح أن نهاية هذه القائمة قد هرأت[1] فلم تظهر فيها هذه الرسائل.

---

(١) هرأ اللحم من باب قطع، أجاد إنضاجه حتى سقط عن العظم (مختار الصحاح) .

ومن هذه الأمور نستطيع أن نستنتج أن شهادة التاريخ الكنسي يرجح نسبة هذه الرسالة إلى بطرس الرسول، وهذا تقليد قوي.

والقس عزيز إذ يخرج منتشياً بهذا الرد يعود ليعرض بعض الصعوبات ومنها:

أ. **المشكلة اللغوية :**

حيث تشهد لغة الرسالة وأسلوبها على أن كاتبها كان رجلاً ضليعاً في اليونانية، بحيث يكتبها مثل أحد أبنائها. وهناك تشابه كبير بينهما وبين الترجمة السبعينية مما يدل على أن الكاتب قد تأثر بها في صياغة العبارات والجمل، واقتبس منها اقتباساً مباشراً، وإلى جانب ذلك فإنه يتميز بغزارة مفرداته وسهولة تعبيره، وصحة لغته من حيث القواعد والتراكيب، حتى أن أسلوبها اعتبر أكثر سهولة ويسراً من أسلوب الرسول بولس نفسه.

هذا الأسلوب لا يمكن أن يصدر عن شخص جليلي كبطرس عرف عنه أنه عامي (**أعمال ٤: ١٣**) ويشهد عنه التقليد الكنسي الذي يسجله يوسابيوس أنه كان يحتاج إلى مترجم في أحاديثه وقد كان مرقص يقوم بهذه المهمة.

ويرد القس فهيم عزيز بأن هذا الاعتراض ليس قاطعاً، فالرسالة نفسها تشهد بأن الرسول قد استعان بسلوانس الأخ الأمين (٥: ١٢) ويظن النصارى أن سلوانس هو نفسه (**سيلا**) رفيق الرسول بولس الذي كان ضليعاً في اللغة اليونانية.

ب. المشكلة العقائدية:

إذ تعكس الرسالة جزءاً كبيراً من أفكار ولاهوت بولس، فهناك مثلاً تشابه بين افتتاحيتها وافتتاحية الرسالة إلى أهل أفسس، وهناك الأهمية الخاصة التي للصليب في هذه الرسالة كما هو موجود في رسائل بولس وتحتوي أيضاً على بعض الاصطلاحات التي يستخدمها الرسول بولس مثل تشبيه الكنيسة بالبناء وتسميتها (**بأهل بيت الله**). وغير ذلك مما يجعل الدارس يشك في أن الرسول بطرس هو الذي كتبها، لكن واحداً من تلاميذ الرسول بولس كان يعكس تفكير مدرسه ومعلمه العظيم.

وعند القس فهيم عزيز العديد من الشواهد التي تقف ضد هذا الاتجاه منها: أن هناك أفكاراً هامة جداً وأساسية عند الرسول بولس لم تظهر في هذه الرسالة، ويعتبر عدم ظهورها مستغرباً جداً لو كان كاتبها أحد تلاميذ مدرسة الرسول بولس مثل التبرير بالإيمان، الحرية من الناموس، الحياة في الروح. ومنها أيضاً ظهور أفكار في هذه الرسالة لم يشر إليها الرسول بولس بالمرة مثل طاعة العهد، الكنيسة ككهنوت ملوكي، تبشير المسيح للأرواح التي في السجن وغير ذلك.

أما وجود بعض التشابه فهو أمر لا يستغرب خاصة وأن الرسول بطرس قد استعان بمرقص وسلوانس رفيق الرسول بولس. ومع ذلك فإن طابع هذه الرسالة يدل على عقل خلاق ومفكر أصيل مثل الرسول بطرس.

هذا كله يرجح الرأي التقليدي الذي يؤكد أن الرسول بطرس هو الذي كتب هذه الرسالة. أ. هـ .

ج. المشكلة التاريخية :

وفي الحقيقة هناك مشاكل عديدة نقتصر منها على أهم اثنتين:

ــ **الأولى:** تختص بالاضطهادات التي يشير إليها الكاتب، ولا شك أن المكتوب إليهم كانوا يجوزون في أتعاب كثيرة ومريرة، وهذه نتيجة الاضطهادات التي كانت تقع عليهم لأنهم مسيحيون، وهو يصفها مرة بأنها بلوى محرقة (٤: ١٢) ونستخلص من هذه الرسالة أن المسيحية كلها كانت تجوز في هذه البلوى (٥ :٩) ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان الاضطهاد اضطهاداً رسمياً بمعنى أن الإمبراطورية أو أجزاءً منها كانت ضالعة فيه رسمياً، وتاريخ المسيحية يذكر أن هذه الاضطهادات الرسمية المبكرة كانت في عهد نيرون (٦٥م) ودومتيان (٨١ ــ ٩٦م) وتراجان (٩٨ ــ ١١٧م) فهل هذا الذي تصفه الرسالة يشير إلى واحد من هذه ؟

إنه لم يكن في عهد نيرون، وهذا أمر مقطوع به؛ لأن اضطهاد هذا الطاغية لم يتعد روما، في حين أن هذه الرسالة كتبت إلى (**المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وبيثينية وأسيا**) فالاضطهاد المقصود هنا ــ إذا كان حقاً اضطهاداً ــ كان أوسع مدى من الاضطهاد الذي شنه نيرون. ولهذا فلا بد وأن الرسالة كانت تقصد اضطهاداً متأخراً عن

عهد نيرون الذي يظن أن بطرس الرسول قتل فيه، وهذا يدل على أنه لم يكتب هذه الرسالة.

ويرد القس فهيم عزيز بأن هذا الاعتراض التاريخي ليس له ما يسنده في الرسالة نفسها، فالمسيحيون يتألمون ويجوزون في تغييرات وأتعاب من أجل أنهم كذلك منذ أيامها الأولى (**أعمال ٤: ٢ و ١٧.. الخ**) [١].

في حين أنه لا يوجد في الرسالة أن هذا الألم نتيجة اضطهاد رسمي منظم، والبلوى المحرقة قد تكون إحدى الحوادث الفردية التي مني بها المسيحيون في مكان ما نتيجة لكراهية الناس لهم، إذا لم يعودوا يشاركونهم في أعيادهم وعبادتهم الوثنية، وعاداتهم القبيحة، واعتبروهم بذلك مصدراً لعدم الراحة والقلق.

---

(١) لكن محرري دائرة المعارف الكتابية يسلكون طريقاً آخر، فيرون أن كل ما في الرسالة يشير إلى عصر نيرون (٦٤م) وليس إلى عصر دومتيان أو عصر تراجان، بل ولا إلى عصر تيطس. ففي روما قتلت أعداد غفيرة من المسيحيين بطرق بالغة الوحشية كما يروي ذلك تاسيتوس .

ولكن هذا المؤرخ نفسه يؤكد أن هناك تقريراً مشئوماً بأن نيرون نفسه هو الذي حرض على حرق المدينة (١٩ يوليو ٦٤م) وأنه (نيرون) وجه الاتهام إلى فئة من الشعب كان الرعاع يدعونهم مسيحيين، والذين كانوا مكروهين للأمور المقيتة التي كانوا يمارسونها. وتتضح جملة حقائق من قول تاسيتوس، منها أنه في ذلك الوقت تميزَّ المسيحيون كفئة خاصة، وأنهم تعرضوا لآلام رهيبة وقعت عليهم لأنهم مسيحيون، وإن الاضطهادات وقعت عليهم بتحريض من الإمبراطور الطاغية لطبيعته الدموية وخشيته منهم .

ـــ **المشكلة الثانية**: وهي تتعلق بصلة الرسول بطرس بهذه الكنائس التي وجهت إليها هذه الرسالة. فالرسول لم يكن له أية علاقة بها، فهي كنائس نشأت وقويت بفضل تبشير بولس ومجهوده، فكيف يكتب إليهم الرسول بطرس ؟

وهذا أيضاً ـــ من وجهة نظر فهيم عزيز ـــ اعتراض ضعيف، ولا يمكن أن يكون قاطعاً، لأنه ليس يستبعد أن يكتب الرسول إليهم معزياً وخاصة بعد أن فقدوا رسولهم العظيم بولس، وإذا لم يفعل بطرس الرسول ذلك فمن ذا الذي يفعل وهو الشخصية المرموقة المعروفة في الكنيسة كلها؟

ويرى القس فهيم عزيز أن تحديد تاريخ كتابة الرسالة يتوقف على تحديد الاضطهاد الذي يجري وصفه في الرسالة. هناك بعض الشواهد التي تظهر في الرسالة تؤيد تاريخها المبكر دون أن ترتبط بأي تاريخ للاضطهادات، ومنها النظام الكنسي الذي تظهره الرسالة. فأي قارئ لا يستطيع أن يلمح أي تطور متسع في التنظيم الكنسي أو في وظائفها مثلما ظهر في أواخر القرن الأول، بل كان التنظيم بسيطاً يتفق مع التاريخ المقترح للرسالة أي حوالي (٦٠م) .

ولكن الرسالة تعكس صدى حادث ضخم جعل المسيحيين يهربون هنا وهناك. فيسميهم الرسول **«المتغربين من شتات. بنتس وغلاطية وكبدوكية وبيثينية وأسيا»** ويعتقد بعض العلماء أن ذلك الحادث هو قتل يعقوب أخي الرب بيد اليهود، وهو أمر حدث قبل خراب الهيكل

سنة (٧٠م) أي أنه يقارب الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة بحسب الرأي السابق .

وهناك شاهد ثالث يدل على أن التاريخ الذي كتبت فيه الرسالة كان مبكراً وهو موقف الرسول من الدولة إذ يقول **«فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر والمدح لفاعلي الخير»**

(٢:١٣، ١٤) بط ٢

هذا الموقف كان مقبولاً لكل الكنيسة والرسل إلى سنة ٦٤م حتى بدأ نيرون اضطهاده المرير. وعلى هذا فيمكننا أن نرجح التاريخ المبكر للرسالة أي في أوائل الستينات الميلادية [١] .

❁❁❁

۞ مناقشة هذا الرأي :

إن القس فهيم عزيز يرى أن رسالة بطرس الرسول الأولى لها تاريخ طويل وراءها في الكنيسة، ويحاول أن يصور مواقف العلماء، ولكنه ليس محايداً في ذلك ، كما أنه يضع مواقف الآخرين في صورة احتمالات ليخرج منها واحداً بعد الآخر، فلم يقدم أدلة تقطع الاعتراضات، أو تسند ما يضعه من افتراضات، ثم هو في النهاية يرجح الرأي التقليدي، وكنا بودنا لو استطاع أن يبطل الرأي غير التقليدي .

---

(١) من صفحة (٧٢٨ ــ ٧٣٢) كتاب المدخل إلى العهد الجديد القس فهيم عزيز ط / دار الثقافة .

فهو يذكر من حجج التقليديين أن بعض آباء الكنيسة قد اقتبسوا من تلك الرسالة مع أن الاقتباس في حد ذاته ليس دليلاً على نسبة الرسالة إلى بطرس، والأسماء المشهورة أمثال ترتليان واكليمندس الأسكندري وثاوفيلس الأنطاكي أسماء يونانية ولا تنتمي إلى نفس الكنيسة التي ينتمي إليها بطرس، وهي في كل الأحوال لا تزيد عن كاتب سفر الأعمال الذي ينقل بعض الأقوال المنسوبة إلى بطرس، ومع ذلك فهو لا ينتمي إلى نفس الكنيسة التي كان يرأسها بطرس وهي كنيسة أورشليم .

والغريب أن القس عزيز يرد على (**قائمة الموراتوري**) بأن هذه القائمة لا تحتوي على الرسالة الثانية، ولا الرسالة إلى العبرانيين، ولا رسالة يعقوب.

ويأخذ من ذلك دليلاً على أن هذه القائمة تقطعت فلماذا لا يكون العكس وهو أن هذه القائمة لم تتهرأ وخاصة إذا كانت رسائل بولس جميعها قد حفظتها تلك القائمة المتقطعة.

ثم يسرد العديد من الاعتراضات اللغوية والتاريخية والعقائدية.. ولا تمكنه مهارته من تجاوز تلك الاعتراضات، أما الاعتراضات اللغوية فإنه يرد بأن الرسالة نفسها تشهد بأن الرسول قد استعان بسلوانس الأخ الأمين.

ولكن.. أليس الأولى أن يكتب مرقص الرسالة بدلاً من سلوانس ؟ أليس سلوانس هذا هو أحد تلاميذ بولس؟ ألم يكن يونانياً وضليعاً في

لغته؟ ألا يثبت القس نقيض ما يدعيه عندما يقول إن أحد تلامذة بولس هو الذي كتب رسالة بطرس ؟.

كم ستكون سعادتنا لو أن الأناجيل صيغت بأسلوب كاتب تلك الرسالة الذي فاق أقرانه من رجال اللاهوت والأدب، فبطرس كان عبرانياً صياداً، و لم يكن يونانيا ولا لاهوتياً، وأما كاتب هذه الرسالة فيجمع بين معرفته غير العادية لليونانية ومعرفته لتعاليم بولس. إن كثيرين من العلماء يعتقدون استحالة صدور تلك الرسالة عن رجل صياد. يقول ف. و. بيير **«واضح أن كاتب الرسالة رجل أدب، ماهر في استخدام الألفاظ، وقادر على إيراد كلمات تنم عن سعة الاطلاع والمقدرة اللغوية، فهو متمكن من أسلوبه حتى إنه لا يعد كاتباً عادياً، وتعتبر اللغة التي يكتب بها من أفضل ما كتب باليونانية في العهد الجديد، وتعد أسلس وأكثر علماً من أسلوب بولس ذي الثقافة العالية»** [1] .

وأما المشاكل العقائدية فيجيب عنها القس فهيم عزيز بأن الرسالة لم تظهر فيها أفكار أساسية لبولس، مثل التبرير بالإيمان، الحرية من الناموس، الحياة في الروح. ولكن هذه الأفكار قد لا توجد في بعض رسائل بولس نفسها، ومن هنا يجوز أن تظهر أفكار في هذه الرسالة لم يشر إليها الرسول بولس بالمرة في رسائله مثل طاعة العهد، الكنيسة كهنوت ملوكي، تبشير المسيح للأرواح التي في السجن وغير ذلك.

---

(١) باركلي شرح الرسالة الأولى لبطرس .

وطبقاً للمعطيات التي لدينا من سفر الأعمال ورسائل بولس نجـد أن بطرس كان يصرّ على أن رسالة المسيح لا يصح أن تتخطى اليهـود. والكاتب هنا ينهج عكس ذلك، فهو يكتب إلى كنائس مختلفة. ليبرهن بما عندهم على خلاف لا صلة لهم به، ولهذا يبدأ بالحديث عن الروح القدس ورشّ دم يسوع المسيح. ثم يتحدث عن الولادة ثانية وقيامة يسوع مـن بين الأموات، والهدف من الموت والقيامة هو أن يصـل المسـيحيون إلى الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. وهذه كلها اصطلاحات خاصة ببولس، يقول بولس في كورنثوس الثانية **«إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة»** .

وكذلك فإن موضوع الميلاد الثاني يتعلق بعمل الروح القدس، الـذي استطاع لوقا أن يسد بافتراض نزوله على التلاميذ ثغرة العـودة الثانيـة للمسيح، ومن ثم اعترف لوقا بألوهية الروح القدس كما اعترف بـولس بألوهية المسيح، أليس الهدف من الرسالة إذن هو تحديـد أن الخـلاص بالنعمة؟

إن بطرس لم يكن ليقول بتلك الفكرة، بل كان يصر علـى الختـان والتمسك بأحكام الناموس. وبطرس لم تكن له صلة بهذه الكنائس الـتي وجهت إليها هذه الرسالة. فهي كنائس نشأت وقويت بفعل تبشير بولس وبجهوده، فلماذا لم يرسل بولس إليها برسالة أو أكثر ؟ ربمـا لأن هـذه الكنائس لم تكن موجودة أصلاً. ونعلم من رسائل بولس أنه كان حريصاً

على أن لا يبني على أساس غيره، فهل يفعل بطرس ما استنكف بولس عن فعله.؟ أو بالأحرى هل يبني كبير الحواريين على أساس غير متين ؟

وأما المشاكل التاريخية فإن القس يجملها في أمرين الاضطهادات وصلة بطرس بالكناس المشار إليها في الرسالة، فالرسالة كتبت في زمن اضطهاد وبلوى كبيرة وعامة، وتاريخ المسيحية يذكر أن هذه الاضطهادات الرسمية المبكرة كانت في عهد نيرون (٦٥ م) ودومتيان (٨١ ــ ٩٦م) وتراجان (٩٨ ــ ١١٧م) فهل الاضطهاد الذي تصفه الرسالة يشير إلى واحد من هذه ؟ يستبعد القس عزيز عهد نيرون؛ لأن اضطهاده لم يتعد روما، في حين أن الرسالة إلى **«المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وبيثينية وأسيا»** .

فالرسالة إذاً مكتوبة بعد عهد نيرون، والتقليد المسيحي يذهب إلى أن بطرس قد قتل في اضطهاد نيرون، فالرسالة إذا مكتوبة بعد بطرس فمن الذي كتبها؟

إننا لو نظرنا إلى المدن التي كان يسكنها المضطهدون، وقد شملها الاضطهاد في أوائل القرن الثاني الميلادي، فسنرى بثينية إحداها **«ومن أولى الوثائق التي تصور لنا بداية عهد المسيحيين بالاضطهاد، تلك الرسالة التي أرسلها بليني الصغير حاكم بيثينية إلى الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م) يفيده فيها بأنه عفا عن جميع المشكوك في أمرهم بعد أن قبلوا تقديم القرابين لتمثال الإمبراطور في حين أعدم الذين امتنعوا**

عن فعل ذلك، وقد أجاب الإمبراطور تراجان معبراً عـن استحسـانه لتصرفه» [1] .

ولدينا العديد من القرائن التي تؤكد أن زمن كتابة الرسالة لا يمكن أن يسبق هذا التاريخ، فهل عاش بطرس إلى هذا العصر ليكتب تلك الرسالة؟

بعض الباحثين لأسباب عقائدية يحاولون إرجاع تاريخ الاضطهاد إلى وقت مبكر، لكنهم لا يجدون وخاصة في تلك المناطق جو الاضـطهاد، وبعض الباحثين يحاولون إطالة عمر بطرس إلى وقت متأخر يمكنهم مـن القول بأن المسيحية قد وصلت إلى بنتس وغلاطية وكبدوكيـة وبيثينيـة وأسيا.

والبعض حائر بين الأمرين، فيظن أن بطرس كتبها معزيـاً في وفـاة بولس، وطبقاً للتقليد لا يمكن أن يعزي ميت في ميت؟ ولو حدث هـل يكتب القتيل لأتباعه قائلاً لهم (**اكرموا الملك**) فمن هو هذا الملك الـذي يستحق التكريم؟ أليس هو القاتل؟

والبعض يظن أن الاضطهاد كان وقت قتل يعقوب (**أخي الرب**) بيد اليهود، فماذا كان بأيدي المشتتين ليفعلوه.؟ ولماذا لم يكتب عندما قتـل اسطفانوس؟ وهل كنا نتوقع أن نقرأ تلك الرسالة لو لم يقتل يعقوب؟ .

---

(١) أوربا العصور الوسطى د : سعيد عبد الفتاح عاشور الجزء السياسي صـــ ٥١ ، ٥٢ نشر / الأنجلو المصرية الطبعة التاسعة ١٩٨٣م .

دلائل في الرسالة :

يقول كاتب الرسالة: إن المسيح ذهب وكرز للأرواح التي في السجن، وفي العدد السادس من الإصحاح الرابع يقول إن الموتى قد بشروا، وقد اختلف المفكرون في تفسير هذه العقيدة :

- بعض المفكرين لا يؤمنون بهذه العقيدة أساساً .
- بعضهم يعتقدون أن يسوع ذهب للهادس وكرز هناك ولكنه لم يكرز لكل سكان هادس .
- وهناك من يظن أن المسيح قد بشر بالإنجيل في مقر الموتى في الفترة بين موته وقيامته، أي أنه بشر بالإنجيل لأولئك الذين لم يستمعوا طيلة حياتهم له، وهنا نجد أن عمل المسيح غير محدود في مداه، وأنه ما من إنسان دب على الأرض يعتبر محروماً من نعمة وإنجيل الله.

هذا كلام الوعاظ قد تستريح عليه أعصاب السكارى والمتسكعين، وإن كان مما يقلل من رجائهم تحليلات بعض المفكرين للنص الأصلي، فيقول باركلي: يجب أن نلاحظ أولاً أن هذه العبارة غير دقيقة، فالفكرة التي نجدها في العهد الجديد ليست أن يسوع نزل إلى الجحيم بل إلى **(هادس)** ثم يفسر هادس بأنها المكان الذي يجتمع فيه الموتى، وليس مكان عذابهم المعروف بالجحيم. وعلى هذا أصبح كثيرون ممن يهتمون بعقيدة (النزول إلى الجحيم) يعتبرون العبارة خالية من أي معنى لهم، ولذا فقد فضلوا تركها جانباً ونسيانها، ويعلق باركلي **«وقد يحسن أن نفكر فيها**

كصورة شعرية جميلة أكثر من أن تكون تعليماً لاهوتيـــاً، وجميـــل أن تكون العقيدة غذاء للقلب من أن تكون عقيدة يؤمن بها العقل».

❁❁❁

❁ تحيـة ختــاميــة :

تقول التحية الختامية: «**بيد سلوانس الأخ الأمين كما أظن كتبـــت إليكم بكلمات قليلة واعظاً وشاهدا أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون. تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقص ابـــني. سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة. سلام لكم جمـــيعكم الـــذين في المسيح**» .

مع أن هذه الخاتمة تبدو سهلةً إلا أن بها الكثير من الغموض، فكم تثير من تساؤلات؟ فمن هو سلوانس الذي كتبها ؟ وما هي بابل ؟ ومن هي المختارة؟ ومن هو مرقص؟ كل هذه الأسئلة ليست الإجابة عليها إلا من قبيل الظن والتخمين .

❁❁❁

❖ السؤال الأول: من هو سلوانس الأخ الأمين ؟

لا تدعو الفقرة السابقة لافتراض أن سلوانس اشترك في كتابة الرسالة، فالعبارة ــ في اليونانية ــ تدل على حامل الرسالة أكثر مما على كاتـــب الرسالة (**أي السكرتير**). هذه مشكلة لغوية، وهناك مشكلة من نوع آخر حيث كان سلوانس رفيقاً لبولس في خدمته في كنائس أسيا، فهل تقابـــل بطرس معه في مكان ما ؟

لا بد من افتراض ذلك قبل إطالة التفسيرات وبناء الأحكام. وبعد قبول هذا الفرض تظهر أكثر من مشكلة، وأهم مشكلة هي في مكان اللقاء ؟

وإذا علمنا معنى الوحي عند المسيحيين زال كل استغراب، فالوحي يتوقف على شيئين: عقل باحث وإعلان روح الله، وطبقاً لكلام باركلي يستطيع العقل أن يخترع ديناً، والله يحاسب هذا العقل طبقاً لما اخترعه من دين، فما عليه إلا أن يفكر، وكل فكرة تخطر بباله تصبح وحياً إليه، وعلى هذا يختلط أفلاطون بالرسول بولس، والدين بالفلسفة، وسلوانس ببطرس.

❁❁❁

❖ **السؤال الثاني: ما هي بابل الواردة هنا ؟.**

يتخبط النصارى في الإجابة على هذا السؤال، وأمامنا ثلاثة تخرصات:

- **الأول**: يظن أنها بابل المصرية، فقد كان هناك مدينتان بهذا الاسم في العصر الرسولي، إحداهما بابل المعروفة في العراق، والأخرى بابليون المصرية (**مصر القديمة الآن**) ويذكر التاريخ أنها كانت مدينة غير قليلة الأهمية، ويطلق عليها إبيفانوس لقب بابل العظيمة. ولكن عدم وجود أي إشارة في كل الكتابات القديمة بأن المقصود ببابل في الرسالة هو بابل مصر (بابليون) ينفي أن تكون هي المقصودة.

- **الثاني**: ويرى أصحابه أن المقصود بها هي بابل المعروفة على نهر الفرات، فقد كان عدد كبير من اليهود مازال مقيماً بها، رغم مقتل الآلاف منهم في زمن كلوديوس، وهروب جموع غفيرة منهم إلى أقطار أخرى. ويمكن أن يقال الكثير لتأييد أنها هي بابل المقصودة في الرسالة، ولكن عدم وجود أي إشارة أيضاً في الكتابات القديمة، إلى ذلك، يشكل صعوبة بالغة [1] .
- **الثالث**: وفي سبيل حل هذه المشكلة يلجأ بعضهم إلى فكرة الرمز، فيرى أن بابل هنا ترمز إلى (**روما**) يقول القس فهيم عزيز: **«ولعله بهذا يكشف أنه يكتب لهم من بابل، والتي تسلم عليهم هي الكنيسة هناك، فليست بابل الحرفية، أي تلك التي تقع فيما بين النهرين، لأننا لم نسمع عن أي تقليد يؤكد أو حتى يشير إلى أن الرسول بطرس ذهب إلى هناك. وقد قيل إنه يقصد مكاناً في مصر اسمه بابليون، ولكن كنيسة الإسكندرية لم تشر بتاتاً إلى هذا الأمر، ولم تظهر فيها أية إشارة على أن الرسول بطرس قد زارها أو سكن هناك، وهذا حدث لا يمكن أن نسكت عليه أو نخفيه.**

---

(١) انظر باركلي في شرح رسالة بطرس الأولى .

إن الغالبية العظمى من العلماء توافق على أن الرسول كتبها من روما أما اسم بابل فقد كان اسماً شائعاً عنها بين المسيحين، كما يظهر ذلك في سفر الرؤيا، ويلوح أنه أطلق عليها كرمز إما لأن الكاتب أراد أن يتجنب أي زيادة في توتر الناس وإثارتهم ضد المسيحيين، أي من قبيل الأمان واتقاء ثورة الشعب أو الدولة، أو لأن بابل هي رمز السبي والتغريب، والرسول يكتب إلى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية.

وهناك تقليد قوي عن استشهاد الرسول بطرس يؤكد أنه حدث في هذه المدينة، ولعله بقي هناك إلى أن استشهد بعد انفجار الاضطهاد ضد الكنيسة في أيام نيرون الطاغية في وسط الستينات» [(١)] .

وهذا الاقتراح يحتاج إلى نصوص واضحة تثبت أن روما كانت تسمى ببابل في عصر بطرس، ولهذا فكثيرون يرفضونه، ومنهم ناشد حنا الذي كتب يقول: **«يقولون إنه في سفر الرؤيا يقول** (بابل) **عن الكنيسة الاسمية، لكن سفر الرؤيا كتب بعد رسالة بطرس بثلاثين سنة، وعندما يتكلم عن بلد لا يذكر صفتها الروحية بل اسمها الحقيقي الذي تعرف به»** [(٢)] .

وسفر الرؤيا أيضا يصف بابل بأنها الزانية التي سكرت بدم القديسين والشهداء، فهي المرأة التي لها ملك على ملوك الأرض (رؤيا ١٧: ١٨)

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد صـ ٧٣٣، ٧٣٤ .

(٢) رسالتا بطرس ناشد حنا صـ ١٣ ط / ثانية كنيسة الأخوة ١٩٩٨م .

ومن غير المحتمل أن رجلاً مثل بطرس — في بساطة أسلوبه — يقحم مثل هذه الاستعارة الغريبة في وسط تحياته دون أن ينوه عما يقصده منها.

❁❁❁

❖ **السؤال الثالث: من هي المختارة؟**

تقول الطبعة الأصلية **«الكنيسة التي في بابل المختارة معكم تسلم عليكم»** ولكن عبارة (**الكنيسة**) مكتوبة بحروف صغيرة مما يعني أنها لم ترد في اليونانية، بل وردت فقط عبارة (**المختارة معكم في بابل**) ولكون العبارة في صيغة المؤنث ظهر هناك احتمالان:

- **الأول**: أن الطبعة الأصلية صحيحة، وهذا هو رأي موفات حين يترجم العبارة هكذا (**أختكم الكنيسة في بابل**) فيمكن تفسير العبارة على أنها تعني أن (**عروس المسيح**) هي التي تسلم عليهم.
- **الثاني**: بما أن كلمة (**كنيسة**) لم ترد في اليونانية، فإن هذا قد يشير إلى سيدة مسيحية معروفة جداً. فإن كان الأمر كذلك، فإن أفضل اقتراح هو أن الإشارة هنا إلى زوجة بطرس.

❁❁❁

❖ **السؤال الرابع والأخير: من هو مرقص بن بطرس.؟**

لو اعتبرنا أن المختارة هي زوجة بطرس فإن مرقص قد يكون ابن بطرس[1] ، ولكن في هذه الحالة يبقى السؤال: هل هو مرقص الذي كتب

---

(١) شرح رسالة بطرس الأولى لباركلي .

الإنجيل فالتقليد دائماً يربط بين بطرس ومرقص، ويشير إلى أن بطرس له صلة بإنجيل مرقص.

ولكون هذا الفقرة تربط مرقص ببطرس يهلل النصارى فرحاً، فهم يودون لو حصل لهم الاقتناع الداخلي بموافقة أمير الرسل على إنجيل من الأناجيل الأربعة، ولهذا يعلق ناشد حنا على وجود اسم مرقص في رسالة منسوبة إلى بطرس بما يفيد أن نصراً تحقق لعقيدتهم: **«ما أعجب كلمة الله وارتباطها وتأييدها بعضها لبعض، ليس لبطرس شهادة ولبولس شهادة أخرى، ليس لرسول الختان شهادة ولرسول الأمم شهادة، ولكن شهادة واحدة بإرشاد الروح القدس الواجد»** [1].

---

(١) رسالتا بطرس صـ ١٣ ، ١٤.

رسالة بطرس الثانية :

كثيرون من النصارى يشكون في رسالة بطرس الثانية. هناك من ينسبها إلى العصر الرسولي، وعلى استحياء أحياناً إلى أمير الرسل، وهناك أيضاً من ينسبها إلي عصر ما بعد الرسل. لا شك أن خلو قائمة محرري العهد الجديد من اسم بطرس لن يكون بالأمر المقبول لدى المسيحيين، ومن الممكن أن يكون عهداً جديداً للباحثين فيما لو فكروا بجدية فيما حدث للأسفار المقدسة.

إن رسالة بطرس الثانية تمنحنا نموذجاً واضحاً يبين كيف ظهرت أسفار العهد الجديد، فما حدث لهذه الرسالة حدث لبقية أسفار العهد الجديد، فالطريقة التي ظهرت بها الرسائل كالطريقة التي ظهرت بها الأناجيل، والطريقة التي قبلت بها الرسائل أيضاً كالطريقة التي قبلت بها الأناجيل، والفرق بين سفر وآخر هو بالأسبقية الزمنية فحسب، وآخر الأسفار في سلسلة التتابع ما نسب إلى أمير الحواريين، لقد اجتازت رسالة بطرس الثانية طريقاً صعباً عبر القرون، وكان دخولها ضمن الأسفار القانونية مشكوكاً فيه إلى أقصى درجة، فحتى عهد الإصلاح الكنسي كانت تعتبر من أسفار الدرجة الثانية في نظر لوثر، ورفضها إرازموس، ونظر إليها كالفن بتردد، و لم يجد علماء العصر الحديث حرجاً في أن يعترفوا علناً بما حدث للرسالة، يقول فهيم عزيز في كتابة المدخل إلى العهد الجديد ص ٧٤٣ **«هذه الرسالة الثانية التي تنسب إلى الرسول بطرس واجهت من**

المعارضة ما لم يواجه أي سفر آخر، في العهد الجديد، فنادراً ما يظهر دارس بروتستانتي يوافق على نسبتها إلى الرسول» .

ولا تزال إلى عصرنا هذا تمثل أحد الأركان الغامضة أمام الدارسين والباحثين من النصارى، وهذا ما يؤكده باركلي بقوله: «**تكاد تكون رسالة بطرس الثانية أحد الأركان الغامضة في العهد الجديد حتى لا تكاد تستخدم في الوعظ، كما كثرت الأصوات المنادية بشطبها من قائمة الأسفار المقدسة**» .

ومع أن باركلي نقل ما يشبه الإجماع على كون الرسالة مزيفة إلا أنه كلما شرح كلمة من كلماتها لم ينس أن يذكرنا بعباراته الجذابة من نحو (**فالرسول بطرس يقصد .. والرسول بهذا يعني .. الخ**) فالرسالة بهذه التأكيدات كتبها بطرس، والرسالة في عبارته الموجزة تمثل: (**السفر المهمل**) «**قد يحق لنا القول إن رسالة بطرس الثانية هي أحد الأسفار المهملة في العهد الجديد، فقليلون يقرؤونه بتدقيق، وأقل القليل من يدرسه بالتفصيل، ويقول سكوت: إن رسالة بطرس الثانية أقل شأناً من رسالة بطرس الأولى، من كل الوجوه**» ويذهب إلى حد القول «**إنها أقل شأناً من كل كتب العهد الجديد، وقد أدرجت بصعوبة ضمن أسفار العهد الجديد، وظلت الكنيسة لمدة طويلة تجهل عنها كل شيء**» ولقد كان ينظر إلى هذه الرسالة بعين الشك وعدم الاكتراث لفترة طويلة، وإننا لا نجد لها أثراً حتى بعد سنة (٢٠٠م) ولا نجدها مدرجة

ضمن لائحة موراتوري التي يرجع تاريخها إلى سنة (٧٠م) والتي كانت تعتبر أول قائمة رسمية بأسماء أسفار العهد الجديد،ولم يرد ذكرها أيضاً في الطبعة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس ولا في العهد الجديد للكنيسة الأولى.

ومع أن الرسالة تمثل سفراً مهملاً وتمثل أيضاً أحد الأركان الغامضة في العهد الجديد إلا أنه ليس هناك ما يمنعنا أن نقرأها بتمعن، وأن نفكر ونحن نقرأ في الإجابة على هذا السؤال: من يا ترى كتب أو أملى هذه الرسالة؟.

الرسالة في الميزان :

سوف أعتمد في عرض الآراء هنا بالأساس على ما قام به السيد باركلي في شرحه لتلك الرسالة، وعلى ما كتبه أيضاً محررو دائرة المعارف الكتابية وعلى كتاب (**المدخل إلى العهد الجديد**) .

وفي البداية نكرر السؤال: من يا ترى كتب الرسالة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست واحدة لدى المسيحيين، فباستطاعتك أن تحصل على إجابات بعدد أقانيم الثالوث المبارك.

الجواب الأول: **إثبات الرسالة إلى بطرس الرسول** :

ويأتي من قبل دائرة واسعة من علماء الكنيسة الكاثوليكية وقليل من المحافظين البروتستانت، وهؤلاء يؤكدون على أن الرسول بطرس هو الذي كتب هذه الرسالة ويؤيدون رأيهم بمجموعة من الأدلة، من خارج الرسالة ومن داخلها.

❁❁❁

أولاً: **الأدلة من خارج الرسالة** :

وتتمثل في قرارات المجامع الكنسية، وفي شهادة بعض العلماء قدماء ومحدثين حيث لم تكن شهادتهم جازمة في نفي نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس.

أما المجامع الكنسية فقد أقر مجمعان كنسيان في القرن الرابع بصحة الرسالة وهما «**مجمع لاودكية في (٣٧٢م) ومجمع قرطجنة في ٣٩٧م**» ووضعاها بين الأسفار القانونية على قدم المساواة مع سائر أسفار العهد الجديد.

والأهم هنا هو أن هذه المجامع نفسها قد رفضت (**رسالة برنابا**) و(**سفر كليمنت الأول**) اللتين طالما تليتا في الكنائس إلى جانب الأسفار القانونية إذ لم يكن لهما أصل رسولي، ومنذ ذلك الحين احتفظت بطرس الثانية بموقعها في الكتاب المقدس بلا منازع حتى جاء عصر الإصلاح[١] فأنكرها إرازمس، أما لوثر فيبدو أنه لم يشك مطلقاً في صحتها، أما كلفن فيبدو أنه تردد في قبولها بسبب الاختلافات بينها وبين الرسالة الأولى.

وأما شهادة القدماء فإننا نجد من هؤلاء أوريجانوس وجيروم وغيرهما، فأول كاتب ذكر هذه الرسالة بالاسم هو أوريجانوس ٢٢٠م .. ولكن أوريجانوس حرص على القول بأن هناك بعض الشك فيما يتعلق بها: «**لقد ترك بطرس رسالة معترف بها، وربما رسالة ثانية، فهي موضع الجدل**».

فأوريجانوس يعلن أن بعض الناس يشكون في صحة نسبتها إلى الرسول ولكنه هو لم يؤيد ولم ينف هذا الشك، لأنه لم يقطع برأيه[٢].

وكان يوسابيوس أسقف قيصرية يضعها بين الكتب التي يدور حولها الجدل. ومع أن جيروم كان يعرف الشكوك التي تساور الكثيرين من جهة الرسالة، إلا أنه ضمها بعد تردد في «**الفولجاتا**»[٣].

---

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس رسالتا بطرس الثانية ويهوذا بقلم مايكل جرين ترجمة بهيج يوسف صـ ١٢ ، ١٣ ط / دار الثقافة .

(٢) يفسرون الشك لصالح الإثبات ولا يفسرونه لصالح النفي .

(٣) الترجمة التي قام بها للكتاب المقدس .

وسبب تردد جيروم، هو كما يقول «**اختلاف أسلوبها عن أسلوب رسالة بطرس الأولى**» ويقترح جيروم نظرية (**أن الكاتب في الرسالتين مختلف**) وهو رأي طالما تمسك به أولئك الذين يؤيدون اعتماد الرسالة[١] .

وهناك سببان آخران للتردد حيالها في الكنيسة القديمة يحتمل أن يكونا:

أ ــ المدى الذي وصل إليه استغلال اسم بطرس للحصول على رواج بعض الكتب ذات التعاليم غير المستقيمة، ومعظمها ذات طبيعة غنوسية .

ب ــ حقيقة أن هذه الرسالة لم تكن معروفة إلا في أماكن محدودة فقط في القرنين الأولين.

وقد تركزت معظم الشكوك في بطرس الثانية في سوريا حيث لم تكن ضمن البشيتا عام (**٤١١م**) التي احتوت رسالة بطرس الأولى ويعقوب ويوحنا الأولى فقط من الرسائل الجامعة، و لم تضم باقي الرسائل الجامعة إلا عند الفحص الذي أجراه فيلوكنيان عام (**٥٠٨م**)، بما فيها بطرس الثانية، وبذلك وجدت مكاناً آمناً (**قبل ميلاد محمد ﷺ بما يزيد قليلاً على ستين سنة**) .

ويبدو أن الرسائل الجامعة وسفر الرؤيا لم تكن أساساً معتبرة ضمن أسفار الوحي، وكان هناك سبب خاص للتعامل مع رسالتي بطرس الثانية

---

(١) على أساس إرجاع الاختلاف اللغوي بين الرسالتين إلى أن بطرس استعان بأكثر من كاتب .

ويهوذا بتحفظ في سوريا حيث كان للتطرف اليهودي في عقيدة الملائكة سمعة سيئة حيث تقتبس رسالة يهوذا بصراحة وبطرس ضمناً من (**سفر افتراضات موسى**) و (**سفر أخنوخ**) وهما سفران من الأسفار غير القانونية مملوءان من التصورات عن الملائكة، على أن الرسالتين شقتا طريقهما حتى في سوريا.

وبالإضافة إلى أوريجانوس ويوسابيوس وجيروم، فإن معلمين عظام أمثال أثناسيوس وأوغسطينوس وإبيفانوس وروفنيوس وكيرلس قد أقروا بصحتها.

وأما شهادة علماء العصر الحديث فيعتقد سلمون وورفيلد وزاهن وغيرهم اعتقاداً جازماً بوجود إشارات إليها في كتابات القرن الثاني وربما في مرجع أو مرجعين من القرن الأول، فهم يصرون على اقتناعهم بأن إيريناوس ويوستنيوس والديداك (**كتاب تعليم الرسل**) وأكليمندس الروماني كانوا جميعهم يعرفون الرسالة وقد ألمحوا إليها في كتاباتهم.

وإذا فحصنا كل هذه الأقوال بأمانة، فلابد أن نخلص إلي أن هذا الدليل دليل قوى حاسم.

❁❁❁

ثانياً: الأدلة من داخل الرسالة:

ويقصد بها ما حوته الرسالة من دلائل وإشارات تدل على أن كاتبها هو الرسول بطرس، وتأتي هذه الدلائل عن طريق الأسلوب أو الأفكار.

فاختلاف الأسلوب بين الرسالتين المنسوبتين لبطرس الرسول، يعتبر سبباً قوياً للشك في صحة الرسالة الثانية، فعلى هذا الأساس بنى جيروم وكلفن ترددهما في قبولها.

لقد كان الاختلاف (**المزعوم**) بينها وبين الرسالة الأولى في لغتها وتركيبها، وإلى حد ما في محتوياتها، هو السبب (**الوحيد**) في التردد في قبولها. ومع الاعتراف بوجود أساس مادي لهذا النقد، إلا أنه توجد أمثلة كثيرة لوجود كلمات مشتركة في الرسالتين، يندر وجودها في سائر أسفار الكتاب المقدس.

وعلاوة على ذلك، توجد وجوه شبه قوية كثيرة في الفكر واللغة بين الرسالتين. وهناك مثالان واضحان لذلك:

ففي الرسالة الأولى يوصف المؤمنون بالمختارين (ا: ا) والمدعوين (**٢: ٢١**) وفي الرسالة الثانية يجمع بين الكلمتين **«دعوتكم واختياركم»** (١: ١٠).

وكل هذا يدل على أن كاتب الرسالة الثانية كان يعرف جيداً العبارات المستخدمة في الرسالة الأولى، وأنه استخدم — عن قصد — العبارات التي تنفرد بها. فلو أن كاتب الرسالة الثانية شخص آخر غير الرسول بطرس، فمعنى هذا أنه نجح إلى أبعد الحدود في تقليد أسلوبه، وهو الأمر المستبعد جداً.

إن ما بين الرسالتين من اختلافات إنما جاءت أساساً من اختلاف الموضوعات التي تعالجها كل من الرسالتين، والهدف الذي جعله الكاتب نصب عينيه في كل منهما. ففي الرسالة الأولى كان هدفه الأول هو أن يعزي ويشدد ويسند اخوته المضطهدين. أما في الرسالة الثانية، فكان كل همه أن يحذرهم من الأخطار التي كان عليهم أن يخشوها أكثر من الآلام التي يوقعها بهم العالم المعادي.

كما أن الفرق الشاسع بين هذه الرسالة وبين الكتب الأخرى التي نسبت إلى الرسول مثل (**أعمال بطرس**) و(**إنجيل بطرس**) و(**رؤيا بطرس**) وغيرها في الأسلوب والروح المسيحية والمعلومات المطابقة للأناجيل والتقليد الكنسي الأول يدل على أن كاتبها لم يكن بعيداً عن الأحداث، ولهذا السبب وجدت قبولاً ضخماً من الكنيسة حتى وإن كان قد جاء متأخراً.

هذا الفرق وهذا القبول الكنسي وضمها إلى الكتب القانونية يؤيد الشهادة أن كاتبها هو الرسول بطرس. أ. هـ .

كذلك فإن استخدام الاسم العبري القديم (**سمعان**) في مفتتح الرسالة أمر له أهميته، فلو أن مزيفاً كتب باسم بطرس لبدأ رسالته بتقليد افتتاحية الرسالة الأولى تماماً: «**بطرس رسول يسوع المسيح**».

ولاحظ أيضاً أن كلمة (**عبد**) تذكر في الرسالة الثانية ولكنها لا تذكر في الأولي، فهو يصف نفسه بأنه عبد ورسول يسوع المسيح. ومع أن عدداً كبيراً من الكتابات المزيفة قد ظهرت في العصر المسيحي الأول، إلا أنه لا توجد أي وثيقة ــ ذات أهمية ــ يدعُّي مزيفهاً أنه رسول (**كما يقول دودز**).

وإذا حملنا هذه العبارة القوية محمل الجد، لانتهي كل نزاع حول قضية كاتب الرسالة، فهو يفتتحها بالقول بأنه «**عبد يسوع المسيح ورسوله**».

ثم يذكر أن هذه الرسالة هي الرسالة الثانية التي يكتبها لهم، مشيراً بذلك إلى رسالته الأولى (**٣ :١**) وأخيراً ينسب لنفسه أرفع المراكز في الكنيسة – وهو مركز الرسولية، وبهذا المنطق يتكلم عن الرسول بولس على أنه (**أخونا الحبيب**) ٣ :١ ويدافع عن رسائله ويوبخ الكثيرين الذين يسيئون فهمها .

وبالإضافة إلى ذلك يذكر الكاتب بعض لمحات من حياة الرسول بطرس، ومن تاريخه الشخصي. فهو مثلاً يتكلم عن (**خلع مسكنه وهو كناية عن موته كما أعلن له ربه يسوع المسيح أيضاً**) (١: ١٣، ١٤) والإشارة هنا كما يرى النصارى هي إلي ما جاء في إنجيل يوحنا (١٣: ٣٦، ٢١: ١٨و ١٩).

كل هذه وغيرها كثير من التعاليم الصافية النقية، تدل على أصل الرسالة الرسولي، مما يدل على صحتها وأصالتها.

❁❁❁

❁ **الجواب الثاني: أن الرسالة بنيت على أقوال بطرس الرسول :**

وهو لجماعة تدرك أهمية وجود اسم بطرس على سفر أو أكثر من أسفار العهد الجديد، فهي لا تريد أن تفرط في القيمة التي يمثلها اسم بطرس ولا ترغب أيضاً أن تستهين بما هو موجه إلى الرسالة من نقد، فتحاول مسك العصا من وسطها، ففي الوقت الذي تقبل بما في الرسالة تعترف بوجاهة الاعتراضات على هذه الرسالة، وفي سبيل توضيح ذلك يعتبرون أن كاتب هذه الرسالة شخص آخر غير بطرس وفي الوقت نفسه يزعمون أنها بنيت على أقوال الرسول، فغالباً كان الكاتب تلميذاً لبطرس، سمعه وتعلم منه، مثله في ذلك مثل مرقص الإنجيلي، وكتب هذه الرسالة مستخدماً تعاليم الرسول ووصيته وذلك بعد أن استشهد الرسول بوقت كاف يفسر ما في الرسالة من شواهد تدل على تأخر وقت كتابتها [١].

ولا شك أن هذا الرأي لا يغلق باب النقاش، ولهذا تتوالى الآراء التي تطرح الحلول وتقدم الاقتراحات، وفي الآونة الأخيرة ظهرت آراء تقترح حلولاً دون أن تتمكن من القطع بحل معين، فمنهم من يقترح أن يكون الإصحاح ١ و ٣ هما الرسالة الأصلية التي دُمج فيها الإصحاح (٢) في وقت لاحق، ومنهم من يزعم أن كل إصحاح وُزّع بمفرده في بداية الأمر،

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد صـ ٧٥٠ وما قبلها .

فالإصحاح (١) هو الرسالة الأولى المشار إليها في ٣: ١ والإصحاح (٣) هو المذّكر الموعود به في ١: ١٣ مضافاً إليهما كذلك الإصحاح (٢) .

بينما حاول بعضهم أن يفصل الأقسام الصحيحة النسبة إلى بطرس في الرسالة على زعمه، ومن ثم يعتبر المادة الباقية أضافها كاتب لاحق.

على أن هناك عاملين يضادان هذه النظريات، فـلا أثـر لـدليل في المخطوطات القديمة من أن أي جزء من الرسالة وزع مستقلاً في أي وقت من الأوقات، وليس ثمة تفسير لوحدة الأسلوب الموجودة في الإصحاحات الثلاثة الأولى[1] .



(١) تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين جـ ٦ / ٦٥٥ .

❁ **الجواب الثالث: إنكار نسبة الرسالة إلى بطرس :**

ويجيء من الغالبية العظمى من العلماء البروتستانت وبعض علماء الكاثوليك، ويتلخص في أن هذه الرسالة لا صلة لها بالرسول بطرس، ولكن كاتبها شخص آخر غير معروف جاء في وقت لاحق بعد موت الرسول، ولذلك لم يكتب اسمه عليها بل نسبها إلى نفسه، وهذا إجراء كان شائعاً في تلك العصور و لم تكن هناك غضاضة عليه. ويبني هؤلاء العلماء رأيهم على الشواهد التالية .

ـ الإشارات المتعددة التي يذكر فيها الكاتب أنه هو سمعان بطرس، وتعديد بعض الحوادث التي حدثت في حياة الرسول، ليست شهادة لصحة نسب الرسالة إلى الرسول بطرس بل على العكس من ذلك دليل قوي على أن كاتبها شخص آخر جاء متأخراً عن عصر الرسول ونسب هذه الرسالة إليه. إنه يحاول جاهداً، عن طريق ذكر هذه الإشارات أن يدفع القارئ إلى تصديق زعمه هذا. و لم يكن هذا الكاتب وحيداً في ذلك بل كانت تلك هي العادة المتبعة عندما يكتب آخر كتاباً وينسبه إلى شخص عظيم سبقه في الوقت .

ـ أما السبب الآخر لرفض نسبة الرسالة إلى الرسول بطرس فهو موضوع الرسالة نفسه، إن هذه الرسالة كتبت أساساً لتحارب الإنكار الذي أعلنه جماعة من الكنيسة ضد المجيء الثاني للمسيح، ولعل ما أورده الرافضون من حديث يبين الوقت الذي يرجح أن الرسالة كتبت فيه.

فهم يقولون **«أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة»** .

هذا النوع من الربط لم يظهر في مكان آخر في العهد الجديد، ولا يمكن أن يكون قد ظهر قبل خراب أورشليم ، إذ من المحتمل جداً أن يكون خراب أورشليم سنة (٧٠م) وعدم مجيء المسيح في ذلك العصر شكلا سبباً قوياً لهذا الإنكار، ولا يوجد في الكتابات المسيحية المبكرة ما يعكس هذا الإنكار أو يحاربه سوى رسالة اكليمندس الروماني، ويذكر عبارة قد تكون اقتباساً من هذه الرسالة، أو قد يكون ترديداً لقول شائع يذكره الاثنان دون أن يقتبس أحدهما من الآخر، تقول رسالة اكليمندس: **«لقد سمعنا هذا حتى من أيام آبائنا وها نحن قد تقدمنا في الأيام ولكن شيئاً من هذا لم يحدث»** والمقصود بالآباء سواء في هذه الرسالة أو في رسالة أخرى المسيحيون من الجيل الأول، الذين رقدوا منذ مدة طويلة، وهنا يلاحظ أن التلاميذ لم يطلق عليهم لقب الآباء إلا بعد مدة طويلة من انتقالهم[1] ، وهكذا يرى الدارس إنكاراً واضحاً للمجيء الثاني نظراً لمرور وقت طويل دون أن يحدث شيء، هذا بينما يظهر في الرسالة الأولى نوع من الانتظار والتطلع على هذا الحادث المرتقب دون أن يخطر على بال

---

(١) تلحظ عدم توافق بين رقود الآباء وبين كلام كاتب الرسالة عن (خلع مسكنه وهو كناية عن موته كما أعلن له ربه يسوع المسيح أيضاً " (١ : ١٣، ١٤) فهل رقد الآباء وظل بطرس على قيد الحياة يخبر الأجيال الصاعدة بأن أجله قريب؟ ومن هم الآباء إذ لم يكن من بينهم بطرس ؟ .

أحد من الكنيسة، هذا الإنكار الواضح الذي يظهر في الرسالة الثانية، وهنا يحق التساؤل: هل يعقل أن يحدث هذا التغيير الجذري من الانتظار الواثق إلى الإنكار الشديد في مدة وجيزة كهذه التي تفصل بين كتابة الرسالة الأولى ٦٤ م وبين استشهاد الرسول بطرس. هذا يدل على أن هذه الرسالة كتبت متأخراً عن ذلك الوقت.

وهل من المعقول أن تكون رسالتي بطرس الأولى والثانية قد صدرتا عن نفس الكاتب ؟ لو كانت الرسالة الثانية حقاً من نتاج بطرس، لما ترددت الكنيسة في قبولها، والترحيب بها منذ البدء، ولكن ما حدث كان على عكس ذلك، فلم يرد أي استشهاد بالرسالة في أي مناسبة لمدة القرنين الأولين، ثم نظر إليها بعين الشك والريبة طوال قرن آخر، و لم تقبل سوى في أواخر القرن الرابع [1] .

وهناك مسائل لم يتعرض لها كاتب الرسالة مثل (**تحريم الختان وإباحة لحم الخنزير**) وبمنظار النصارى نجد أن محتويات الرسالة لا تجعل من السهل الاعتقاد بأن بطرس هو كاتبها. فلم يرد فيها ذكر آلام المسيح أو قيامته أو صعوده، ولا ذكر للكنيسة، و لم يذكر شيئاً عن الروح القدس أو الصلاة أو المعمودية أو دعوة الناس بإلحاح أن يتبعوا المثال المقدم لهم في شخص يسوع المسيح، كل تلك الأمور التي لو انتزعت من رسالة بطرس الأولى لما تبقى شيء يذكر عنها في الرسالة الثانية.

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، فهيم عزيز صـ ٧٥٠ .

وبناء على ذلك اتجه رأي قوي جداً في المسيحية إلى اعتبار الرسالة الثانية المنسوبة إلى الرسول بطرس رسالة كتبها شخص آخر ونسبها إلى الرسول حتى يمكن قبولها في الكنيسة كلها، و لم يكن ذلك التصرف معيباً في عصره .

- ومن الأدلة التي يبني عليها الرافضون رفضهم لغة الرسالة وتاريخ كتابتها، وحديثها عن الملائكة، وصلتها برسالة يهوذا، وكذلك إشارتها إلى رسائل (**الأخ الحبيب بولس**) .

إن هذه الأمور تشير بوضوح إلى أن أمير الرسل لم يكتب الرسالة و لم يكن حاضراً وقت كتابتها لأنه كان قد رقد مع الآباء.

لغة الرسالة :

تختلف لغة الرسالتين **(والأغرب أهما تختلفان حتى في الأصل اليوناني)** كما أن الأفكار فيهما أيضاً تختلف اختلافاً كبيراً مما يقطع بأن كاتب الاثنين ليس واحداً، فالرسالتان تختلفان في عدد الاقتباسات من العهد القديم، فبينما تقتبس الرسالة الأولى(٣١)اقتباساً، لا يظهر في الرسالة الثانية سوى (٥) اقتباسات .

وتختلف كذلك في الكلمات، ففي الرسالة الأولى (٤٦٩) كلمة، وفي الثانية (٣٣٠) كلمة، ولكن لا تشترك الرسالتان إلا في (١٠٠) كلمة أي أقل من سبع عدد الكلمات. وعلى هذا توجد (٣٦٩) كلمة في رسالة بطرس الأولى لم ترد في رسالته الثانية، كما أنه يوجد (٢٣٠) كلمة في الرسالة الثانية لم ترد في الرسالة الأولى.

إن هذا ليس مجرد اختلاف في الأسلوب، فالكاتب قد يغير أسلوبه ومفرداته بسبب اختلاف المستمعين واختلاف المناسبة، ولكن الاختلاف بين الرسالتين هو اختلاف جوهري وشامل، حتى أنه من غير المحتمل أن يكون شخص واحد كتب الرسالتين .

وإلى جانب ذلك فالرسالتان كثيراً ما تعبران باللفظ الواحد عن معنيين مختلفين، فكلمة **(الفُلْك)** في الرسالة الأولى ترمز إلى المعمودية (١بط ٣: ٢١، ٢٢) أما في الثانية فتعني الطوفان والموت (٢ بط ٣،٥:٢: ٥ – ٧).

وعلى هذا يميل المعلقون **«إلى تعنيف الكاتب على البلاغة المصطنعة ومحاولة الكتابة بأسلوب يتجاوز حدود إمكاناته الأدبية. فاللغة اليونانية**

في بطرس الأولى معقولة، حضارية محددة، وتعتبر من أحسن ما في العهد الجديد، بينما نجد اليونانية في بطرس الثانية تكاد تكون غريبة في تدفقها، فقد كثرت فيها الكلمات المتحذلقة والجمل الرشيقة، واختفت فيها تقريباً التشكيلة الفنية من أدوات الربط التي هي إحدى معالم بطرس الأولى، كما أن الكثير من الكلمات المفضلة التي استخدمت في بطرس الأولى قد اختفت، واستبدل بها في بطرس الثانية مرادفات أخرى، وإذا علمنا أن عدداً من الكلمات الواردة في بطرس الثانية لم ترد في أي مكان آخر عدا أشعار هوميروس، وإن مؤلف الرسالة لديه ميل غريب للانزلاق إلى الإيقاع الشعري، واستخدم لغة تفوح منها رائحة الطقوس السرية الوثنية، عندئذ لن يكون من الصعب أن نتعاطف مع إحجام جيروم عن نسبة الرسالتين إلى نفس الكاتب»[1] .

لقد كان جيروم يقول: «إن سمعان بطرس كتب رسالتين تسميان بالعامتين أو الجامعتين، وأن كثيرين ينكرون صحة نسبة الرسالة الثانية إلى بطرس بسبب اختلاف أسلوبها عن الرسالة الأولى» وأن اليونانية التي كتبت بها الرسالة صعبة جداً. فيصف كلوح هذا الأسلوب الذي دونت به الرسالة بأنه متكلف وغامض .

---

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس رسالتا بطرس الثانية ويهوذا بقلم مايكل جرين ترجمة بهيج يوسف صـ ١٤ ، ١٥ ط / دار الثقافة .

ويقول أيضاً: «**إن الرسالة هي السفر الوحيد في العهد الجديد الـــذي يتحسن أسلوبه بالترجمة**» .

كتب الأسقف شيز يقول: «**إن الرسالة يغلب عليها طابع البلاغـــة المتكلفة والمصطنعة، ومحاولة التظاهر بالفصاحة، فالكاتب يبدو طموحاً في كتابة أسلوب يفوق قدرته الأدبية**» واستنتج من ذلك أنه من الصعب الاقتناع بأن بطرس هو كاتب هذه الرسالة، ويقول موفات: «**إن رسالة بطرس الثانية أكثر طموحاً وملاءمة لروح العصر من رســـالة بطـــرس الأولى، ولكن أسلوبها يتميز بالغموض وعدم وضوح الفكرة يجعلها في مكانة أقل من رسالة بطرس الأولى**» .

تاريخ ظهور الرسالة :

يعتقد بعض علماء الكاثوليك أن رسالة بطرس الثانية كتبت سنة (٨٠م)؛ لأن إنكار المجيء الثاني لم يظهر إلا بعد خراب أورشليم سنة (٧٠م) ولا بد أن يمر وقت طويل حتى يبدأ الناس في فقد الأمل في المجيء الثاني كلية.

ثم نجد الحديث عن الرسل كرجال الماضي (٣: ٢) والآباء – وهم مؤسسو الإيمان المسيحي – لم يكونوا في زمن الرسالة سوى ذكريات شاحبة عن الماضي البعيد، فقد مرت أجيال بين كتابة الرسالة وبين بدء ظهور الإيمان المسيحي (٣: ٤) .

أما علماء البروتستانت فإنهم يبنون تكهناتهم على جمع رسائل بولس وعلى تقنين أسفار الكتاب المقدس وعلى صفة الجماعة التي تحاربها الرسالة، ويعطون تاريخاً يتراوح ما بين (١٢٠ـ ١٨٠م)[1] وما يؤيد ذلك أنك لا تجد «**في القرنين الأول والثاني أي آثار لاقتباسات من الرسالة في أي من كتب آباء ذلك العصر، سوى في كتابين مرفوضين ومنسوبين أيضاً إلى الرسول بطرس وهما (أعمال بطرس) ثم (رؤيا بطرس) الأول كتب في سنة (٢٠٠ م) والثاني ظهر في النصف الأول**

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز ص ٧٥٠ ـ ٧٥١ .

من القرن الثاني، أما الشخص الأول الذي اقتبس منها وسماها باسمها فهو أوريجانوس المصري» [١].

ومع ذلك أعلن أن كثيراً من المسيحيين لا يقبلونها ولهذا فلن تقبلها كنيسة الإسكندرية ككتاب قانوني إلا حوالي سنة (٢٠٠م) وقيل إن اكليمندس الإسكندري كتب تفسيراً لها ولكن لم يعثر له على أثر .

أما يوسابيوس فيضعها في قائمة الكتب المشكوك فيها، ورأيه الشخصي أنها ليست ضمن كتابات الرسول بطرس. ورفضتها كذلك مدرسة إنطاكية والقسطنطينية، واستمر الحال كذلك إلى سنة (٤٠٠م) ولكن ذلك كان موقفهم تجاه كل الرسائل الجامعة، أما المدرسة الغربية فلم تعتبرها قانونية إلا حوالي سنة (٣٦٠م) ولهذا السبب لا تظهر في قائمة الموراتوري ولا يشير إليها إيريناوس ولا ترتليان ولا كبريانوس .

من هذا كله يتضح أن تاريخها الكنسي ضعيف ولا يشجع الدارسين على قبول نسبتها إلى الرسول بطرس، وبدلاً من ذلك فإنهم يتجهون اتجاهاً قوياً إلى اعتبارها رسالة كتبها شخص غير معروف، نسبها إلى الرسول العظيم، وكان هذا الأمر شائعاً في ذلك العصر، و لم يكن هناك من يعترض عليه.

---

(١) بداية القرن الثالث .

وعلق ديديموس على الرسالة، ولكنه ختم مؤلفه بالقول: «**لا يجب أن يغيب عن بالنا أن هذه الرسالة مشكوك في صحتها، قد تقرأ أمام الناس، ولكنها ليست ضمن أسفار الكتاب القانونية**».

وقال أيوسيبس (**يوسابيوس**) عالم قيصرية العظيم، والذي قام بإجراء بحوث قيمة في الأدب المسيحي في عصره: «**إن رسالة بطرس المعروفة بالرسالة الأولى معترف بها من الجميع، وقد استشهد بها كثير من الشيوخ القدامى في كتاباتهم، وهذا لا يدع مجالاً للشك في صحتها، ولكن الرسالة المعروفة باسم رسالة بطرس الثانية فنحن نعرف حسبما تسلمناه أنها غير قانونية، هذا بالرغم من أن بها فائدة كبيرة للكثيرين، وأنها تقرأ دائماً جنباً إلى جنب مع الأسفار الأخرى للكتاب المقدس** ».

إن الأدلة كلها تكاد تجمع على أن رسالة بطرس الثانية كتبت في وقت متأخر، وأنه لم يستشهد بها حتى القرن الثالث، ولم تدرج ضمن أسفار العهد الجديد حتى القرن الرابع. وأن علماء الكنيسة الأولى العظام لم ينسبوها إلى بطرس، هذا مع أنهم لم يشكوا مطلقاً في أهميتها. والرسالة نفسها أيضاً بها إشارات تحتاج لوقت طويل حتى يمكن تفسيرها. وأن أهم ما يميزها هو أنها آخر سفر كتب في العهد الجديد، وأخر سفر أيضاً أدرج ضمن أسفار العهد الجديد.

۞ ولكن كيف ارتبطت الرسالة باسم بطرس ؟

يجيب باركلي: لقد ارتبطت به عن قصد، قد يبدو ذلك غريباً، ولكننا يجب أن نتذكر أن تلك كانت عادة شائعة وطبيعية قديمة.

وقد كتبت كتب كثيرة في فترة ما بين العهدين القديم والجديد تحمل أسماء كسليمان وإشعياء وموسى وباروخ وعزرا وأخنوخ وكثيرون غيرهم.

وفي زمن العهد الجديد، يوجد أدب بكامله يحمل اسم بطرس، فهناك إنجيل بطرس، وعظات بطرس، ورؤيا بطرس . هناك حقيقة واضحة ـــ في عين باركلي ـــ تفسر هذا التقليد المتبع في الكتابة، وتجعلها معقولة، فقد كان الهراطقة أنفسهم يكتبون كتباً مضللة وملحدة، وتحمل أسماء الرسل العظام، وقد ادعوا أن تلك الكتب هي التعاليم السرية لمؤسسي الكنيسة العظام وأنهم تسلموها منهم شفاهاً. وقد ردت الكنيسة بالمثل على هذه الكتب، وأصدرت كتباً أبرز فيها رجالها التعاليم التي كان لا بد أن يقولها الرسل في مواجهة ذلك. فليس هناك أي وجه غرابة بالنسبة لكتاب يحمل اسم بطرس، مع أن بطرس لم يكتبه، فإن يكتب أحد المعلمين المجهولين كتاباً كهذا كان يعد عملاً لا غضاضة فيه في ذلك العصر، قد يكون ذلك الشخص متواضعاً إذ يقدم الرسالة التي أعطاها له

الروح القدس تحت اسم بطرس؛ لأنه يحس أن اسمه غير جدير أن ينسب إلى الرسالة»[1] .

سقوط الملائكة :

ليس ثمة فكرة يمكن أن تسمعها في كتاب مقدس لدى جماعة أكثر غرابة من تلك الفقرة الموجودة في رسالة بطرس الثانية: «**لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطئوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء. ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحا ثامنا كارزاً للبر إذ جلب طوفانا على عالم الفجار**» .

هذه الفقرة تجمع بين الغرابة والغموض، إن قصة سقوط الملائكة قصة تضرب بجذور عميقة في التراث اليهودي، وقد أصابها كثير من التعديل بمضي الزمن، إن القصة الأصلية مذكورة في سفر التكوين (٦: ١ — ٥) وهنا نجد الملائكة يدعون أبناء الله حيث جرت العادة دائماً في العهد القديم، وفي سفر أيوب نجد «**أن بنو الله جاءوا ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم**» (أيوب ١: ٦، ٢: ١ ٣٨: ٧) ويتحدث المزمور (٨٩) عن أبناء الله.

وقد جاء هؤلاء الملائكة وأغروا النساء الأرضيات وكانت ثمرة هذه الشهوة إنجاب جنس من العمالقة، وقد أتى هؤلاء بالشر على الأرض،

---

(١) هذا هو ما كتبه وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو ، وكأنه يرى أن الكتاب مقدس سواء كتبه بطرس أو غيره .

يقول باركلي: " واضح أن هذه القصة قديمة جداً تعود إلى الوقت الذي كان الجنس البشري فيه في المهد، إننا نجد هذه القصة كاملة في (**سفر أخنوخ**) وقد استعار من زعموا أنه بطرس هذه القصة من هذا السفر ".

والملائكة في سفر أخنوخ كانوا يسمون بـ (**المراقبين**) ويسمى قائدهم (**سيمجازا**) أو (**عزازيل**) وبناءً على أوامره نزلوا إلى جبل (**هرمون**) في أيام يارد أبو أخنوخ، واتخذوا زوجات من الأرض، ولقنوهن فن السحر، وبعض الفنون الأخرى التي منحتهن قوة، وأنجبوا نسلاً من الجبابرة (النفيليم) أي الجبابرة الذين سكنوا أرض كنعان، والذين كان الشعب يخافهم (عدد ١٣: ٣٣) وقد أصبح هؤلاء الجبابرة من أكلة لحوم البشر، وقد انغمسوا في كل أنواع الشهوات والجرائم، وخاصة التعالي على الله والبشر، وتوجد إشارات عديدة إلى هؤلاء الجبابرة وكبريائهم في الأدب (**الأبوكريفي**) ففي سفر الحكمة (**١٤: ٦**) نجد كيف هلك هؤلاء الجبابرة، وفي سفر حكمة يشوع (**١٦: ٧**) نجد كيف سقط هؤلاء الملائكة بحماقتهم. فلم تكن عندهم حكمة، ولذا فإنهم هلكوا في غباوتهم (**باروخ ٣: ٢٦ ــ ٢٨**). ويقول يوسيفوس عنهم : إنهم كانوا مغرورين، ويحتقرون كل ما هو صالح، وأيوب يقول: إن الله ينسب للملائكة حماقة (**أيوب ٤: ١٨**) .

إن هذه القصة العتيقة لها أثرها أيضا في رسائل بولس، ففي كورنثوس الأولى يقول بولس «**إن النساء يجب أن يغطين رؤوسهن من أجل الملائكة**» إن هذه العبارة الغريبة مرجعها الاعتقاد بأن جمال شعر النساء

الطويل في الأيام الغابرة قد أغرى الملائكة، وبولس هنا يحض على عـــدم تكرار ذلك من جانب النساء حتى لا يغوين الملائكة، وقد كان نتيجـــة خطأ هؤلاء الملائكة أن انتشر الألم والبؤس والقسوة في الأرض على يـــد هؤلاء العمالقة، فأرسل الله رؤساء ملائكته، فقيد رافائيل عزازيل من يديه ورجليه وطرحه في الظلام، وذبح جبرائيل الجبابرة وألقى بـــالمراقبين (**أي الملائكة الساقطين**) في مهاوي الظلام في أسافل الجبال لمدة سبعين قرناً، ثم قيدوا إلى الأبد في نار أبدية أ. هـ

وبعد أن سرد باركلي هذه القصة زعم أنها كانت تجول بخاطر بطرس!

صلة الرسالة بيهوذا :

هناك سبب آخر يبني عليه الرافضون رفضهم وهو صلة هذه الرسالة برسالة يهوذا، فمن يقرأ هذه الرسالة يجدها تحتوي على غالبية رسالة يهوذا، خصوصاً الإصحاح الثاني، فمن بين أعداد رسالة يهوذا الخمسة والعشرين يوجد (١٩) عدداً في الإصحاح الثاني من رسالة بطرس، وبنفس الفكرة ونفس الترتيب، ومعظم الألفاظ المستخدمة، وهذا لا يقتصر على الإصحاح الثاني فقط، بل يتعداه إلى الإصحاح الأول والثالث الذين يشتركان مع رسالة يهوذا في بعض الأفكار والعبارات، هذا كله يقطع بأن إحدى الرسالتين تعتمد كثيراً على الأخرى، فهل تظن أن يهوذا اقتطع الإصحاح الثاني من رسالة بطرس وبنى عليه رسالته هذه، أم أن العكس هو الذي حدث ؟

هنا تظهر ثلاث نظريات يمكن إيجازها فيما يلي:

(أ) أولية يهوذا :

حيث يستند هذا الرأي إلى حقيقة أن بطرس يضيف مواداً أخرى كثيرة في رسالته، لو كتب بطرس أولاً لأضاف يهوذا بعض الأعداد إلى ما كان متداولاً قبلاً، وهذا لا يشكل اعتراضاً إذا أخذنا بعين الاعتبار إمكانية أن يهوذا أو جزء من مخطوطة موجودة من قبل لسد حاجات الكنائس التي لم ترسل إليها المخطوطة الأولى، ويرى آخرون أن بطرس خفف من حدة لهجة يهوذا وقلص استعاراته وشطب إشاراته الأبوكريفية الخ ..

وكل من هذه الحجج يمكن قلبها بحيث يفهم عندئذ أن يهوذا أعاد كتابة القسم الملائم من رسالة بطرس متعمداً زيادة حدة اللهجة، ومعدلاً الاستعارات غير المناسبة، وداعماً حجته بشواهد من الأبوكريفا.

۞۞۞

(ب) أولية بطرس :

يدافع (زاهن) عن أسبقية رسالة بطرس، وأن يهوذا هو الذي اقتبس منه. وليس العكس، ونوجز هنا نقاط هذا الدفاع :

١ـ يقتبس يهوذا من كتب خارج أسفار الكتاب المقدس مثل كتاب (**أخنوخ**) الأبوكريفي، ويحتمل أنه اقتبس أيضاً من كتاب (**صعود موسى**) أما بطرس فلا يقتبس من مصادر خارج الكتاب المقدس، فالأرجح أن يهوذا هو الذي اقتبس من رسالة بطرس الرسول الثانية (**٢ـ ٣: ٢**)، وليس بطرس من يهوذا (**٤: ١٦**) .

٢ ـ يتنبأ بطرس عن ظهور المعلمين الكذبة (**٢: ١**) وأفعالهم في صيغة المستقبل (**٢: ١، ٢، ٣، ١٢**). إنه يستخدم صيغة المضارع في وصف أخلاق وتصرفات أولئك الفجار، أما ظهورهم وتعليمهم فيتكلم عنهما بصيغة المستقبل (**٢: ١٣و ١٤و ١٧و ١٨**). عندما كتب بطرس الرسالة كانت الجرثومة المميتة موجودة وسرعان ما يستشري عملها.

أما يهوذا ـــ فعلى النقيض من ذلك ـــ يتكلم في كل الرسالة عن نفس هؤلاء المفسدين باعتبارهم موجودين فعلاً ويعملون عملهم المميت.

٣ - يشير يهوذا مرتين إلى بعض المصادر التي استقى منها المعلومات عن أولئك الأعداء، والتي كانت ولاشك معروفة عند قرائه، والتي كان الهدف منها تحذيرهم من الخطر قبل وقوعه وحمايتهم منه، وهذان المصدران هما:

- **الأول** مرجع تكلم عن «**أناس فجار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح** »(عدد ٤).
- **وثانيهما** نبوة بطرس: «**إنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم**» (٢ بط ٣: ٣).. ويطلب يهوذا ممن يخاطبهم أن يذكروا الأقوال التي قالها سابقاً رسل ربه يسوع المسيح، ثم ينقل نبوة بطرس بنفس الألفاظ تقريبا: «**إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات فجورهم**» (يهوذا ١٧، ١٨) .

وهكذا طبق النبوة على أولئك الفجار الموجودين في أيامه واصفاً إياهم بالقول «**هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم**» (عدد ١٩). والنتيجة الحتمية هي أن يهوذا قد اقتبس من بطرس.

٤ - إن التاريخ يؤيد أسبقية بطرس، فالرسول بطرس استشهد فيما بين (**٦٣ـ ٦٨**) والأرجح في (**٦٤**)، بينما يرجع السواد الأعظم من مفسري العصر الحاضر، برسالة يهوذا إلى الفترة ما بين (**٧٥ – ٨٠**)، فليس ثمة شك في أنها كتبت بعد خراب أورشليم في (**٧٠م**) وبذلك تكون قد كتبت بعد موت بطرس بخمس إلي عشر سنوات.

فيهوذا إذاً اقتبس من بطرس، وفي هذا دليل على إقراره بأن رسالة بطرس الثانية هي رسالة صحيحة قانونية لأنه اقتبس منها من أقوال الرسل الذين كانت فيهم روح النبوة. أ. هـ دائرة المعارف الكتابية مادة بطرس.

❁❁❁

(جـ) مرجع مشترك لكليهما :

أدت المعضلات المتعلقة بكل من الرأيين السابقين إلى صياغة افتراض بديل، وفي حين أن هذا الافتراض يحل بعضاً من المشكلات المذكورة فإنه يترك مشكلة واحدة دون حل وهي السؤال عن الأمر الذي حدا بيهوذا أن يكتب رسالته وأن يعمد إلى تكرار الكثير من الموجود في المصدر الأصلي، إن الافتراض بأنه لخص رسالة بطرس الثانية لسد الحاجات الخاصة التي واجهها هو أكثر معقولية من ذلك.

يجب الاعتراف بصدق أنه لا يوجد حل نهائي لمشكلة الأولوية بين بطرس ويهوذا، وهناك أيضاً أوجه شبه ملحوظة بين رسالة بطرس الثانية وبعض الأقسام الأخرى من العهد الجديد [1] .

---

(١) تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسس داندس وشارح رسالتي بطرس هو (دايفد هـ . هويتن. الجزء السادس صـ ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ نشر / دار منشورات النفير الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

العلاقة بين بطرس وبولس:

يعتبر جون كلفن أنه من المستحيل أن يتحدث بطرس عن بولس كما تتحدث هذه الرسالة عنه، إنه يقول «**واحسبوا أناة ربنا خلاصاً. كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضا بحسب الحكمة المعطاة له. كما في الرسائل كلها أيضا متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضا لهلاك أنفسهم**» (١) .

إن الغريب هنا هو أن يستشهد بطرس ببولس، وإن كان النصارى لا يرون غرابة في ذلك، فقد يكون الاستشهاد على أن الحياة التقوية المقدسة ضرورية إزاء قرب المجيء الثاني للمسيح، والأمر الأكثر احتمالاً ــ عندهم ــ هو أن بولس يوافق على أن الله يتأنى ليس عن تباطؤ وعدم اكتراث بوعده، بل ليعطي الفرصة للناس للتوبة والإيمان بالإنجيل وقبول المسيح يسوع، فبولس يتحدث عن أولئك الذين يستهينون بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته ناسين أن هذا اللطف يقتادهم للتوبة، ويضيف باركلي: «**تعتبر هذه الفقرة من أكثر الفقرات صعوبة في العهد الجديد، لأنها مثار لكثير من المشاكل إذ أنها تشير إلى بولس ولكن بشيء من النقد، وهذا ما دعا جون كلفن إلى التأكيد على أن بطرس نفسه لم يكتب**

---

(١) الإصحاح : ٣ عددي ١٥ ، ١٦ من الرسالة .

الرسالة الثانية المسماة باسمه، لأنه يقول إن بطرس لا يمكن أن يكتب هذا عن بولس.

إن رسائل بولس كانت وقتئذ منتشرة في كل أنحاء الكنيسة، فما كتب عنها في هذه الفقرة يوحي بأنها قد جمعت ونشرت وكانت شائعة وسهلة التداول في كل مكان، إننا واثقون من أن هذا لم يحدث قبل سنة (٩٠ م) ففي تلك السنة جمعت رسائل بولس ونشرت في أفسس، وهذا يعني أن هذه الرسالة المسماة باسم رسالة بطرس الثانية لم تكتب قبل ذلك التاريخ، ولهذا فإنها لا يمكن أن تكون قد كتبت بيد بطرس.

إن هذه الفقرة تدل على أن رسائل بولس كانت في هذا الوقت موجودة ومعترف بها، فبعض الناس كانوا يحرفونها كما كانوا يحرفون الكتب الأخرى. وهذا يثبت أيضاً أن رسالة بطرس الثانية ترجع لوقت متأخر من تاريخ الكنيسة الأولى، لأن اعتبار رسائل بولس من الكتب الموحى بها جنباً إلى جنب مع أسفار العهد القديم كان يتطلب زمناً طويلاً.

وبعض كتاب المسيحية العظام يحتارون في فهم موقف الرسالة من بولس، فبولس قد كتب (بحسب الحكمة المعطاة له) يقول (بج) معلقاً على ذلك: إن هذه العبارة قد تعني المديح أو التحذير، فالحق أن بولس كان له نقاد كما كان لعظماء الرجال، فمن يقول الحق بشجاعة ويقره بلا تردد لا بد أن يواجه نفس المصير، فهناك نفر من الناس كان يعتبر بولس عظيماً ولكن بنوع من التحفظ.

ولا يقول بطرس إن في الرسالة أشياء عسرة الفهم فقط، بل إن بها أشياء يحرفها بعض الناس لهلاك أنفسهم، ما هي الأشياء التي في فكر بولس وتعاليمه والتي يمكن تحريفها إلى أشياء مخالفة للعقيدة الدينية؟[1].

ورغم أن الإشارة إلى (أخونا الحبيب بولس) تطرب الكثيرين من النصارى، إلا أن البعض اتخذها على أنها الإثبات النهائي على أن الرسالة ليست من تأليف بطرس، وهؤلاء هم الذين ينظرون إلى العهد الجديد بمنظار (توبنجن) فيرون في كل مكان علامات انفصال راديكالي بين المسيحية اليهودية برئاسة بطرس ومسيحية الأمم بقيادة بولس، وبموجب هذه النظرية يجب أن يؤخذ هذا العدد مثله مثل كل سفر الأعمال والرسائل على أنه محاولة تمت في منتصف القرن الثاني الميلادي لترميم الشقوق، واستعادة الكنيسة الجامعة إلى ما كانت عليه في القرن الأول، إلا أن وجهة النظر هذه في نظر مايكل جرين لا يمكن أن تقوم لها قائمة الآن، وقد حاول سفر الأعمال إظهار نقاط التماثل بين بطرس وبولس، فهو يظهر بطرس وهو يؤيد رفض بولس للقول بضرورة ختان الأمم (أعمال ١٥: ٧ـ ١١) كما تبرز نفس صورة المودة بينهما في رسالة (غلاطية ٢: ٨ ـ ١٠) والخلاف الوحيد الذي حدث بينهما يبدو أنه كان قصير الأجل عندما قاوم الرسول بولس الرسول بطرس جهاراً لعدم تمسكه بمبادئه عند الأكل مع أهل غلاطية (غلا ٢: ١٤)

---

(١) ارجع إلى شرح باركلي للرسالة .

لذا فافتراض أن هذا الشقاق كان مستديماً لا أساس له، كما أنه مضاد لكل تأكيد مسيحي على المحبة المسيحية والمسامحة» [٢] .

ومن أثر ذلك قد يحاول النصارى ربط نهاية بطرس بنهاية بولس، فيقول التقليد إن بطرس مات شهيداً في رومية حوالي (**٦٧م**) وهو في نحو الخامسة والسبعين من عمره. ويقال إنه استشهد فعلاً بالصلب في حكم نيرون، كما يقال إنه قد صلب منكس الرأس بناء على طلبه إذ حسب نفسه غير مستحق أن يشبه سيده في موته.

لكن يجب ملاحظة أن التقليد المختص بزيارته لروما، هو مجرد تقليد ولا أكثر من ذلك، وقد قام على خطأ في حسابات بعض الآباء الأولين الذين زعموا أنه ذهب إلى روما في عام (٤٢م) عقب نجاته من السجن (أ ع **١٢: ١٧**)، ولكن ـ كما يقول شاف ـ لا يمكن التوفيق بين هذا وصمت الكتاب المقدس، بل ومع حقيقة أن الرسول بولس كتب رسالته إلي رومية في (٥٨ م) دون أن يذكر كلمة واحدة عن سبق خدمة بطرس في تلك المدينة .

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس للعهد الجديد بطرس الثانية تأليف مايكل جرين ترجمة بهيج يوسف صـ ١٣٦ دار الثقافة .

علاوة على أن بولس كان محترصاً لئلا يبني (**على أساس لآخر**) لكن يبدو أن الكنيسة وهي بصدد رفع التراث اليهودي اضطرت إلى إسكات الآراء التي استمرت تطالبها بأن يكون لديها إنجيل كهذا الذي تفخر بـه كنيسة أورشليم، فأذنت بتدوين الأناجيل بعد أن ظلت تعتمد على رسائل بولس، وبعد أن كثرت الأناجيل لم تعترف الكنيسة الأممية إلا بأربعة منها ليس من بينها إنجيل بطرس، إذ يبدو أنها لم توفق مع بطرس فقـد كـان موقفه أوضح من أن يخترق بعملية تزوير كتلك التي جاءت بأسماء يوحنا ومتى ومرقص، ولهذا ظلت الكنيسة في حرج حتى ظهرت فكرة طبقت في الخفاء تعمل على وضع اسم بطرس على بعض الرسائل ضماناً لترويجها، وقد قبل رسالتان في العهد الجديد على هذا الأساس، فالاسم هو اسـم بطرس ولكن الفكر ليس بفكر بطرس، ولكون هذا الطرح قد جاء متأخراً جاء قبول الرسالتين متأخراً وبعد تردد وإرباك حصل في الكنيسة الأمميـة الجديدة.

فما كان يحدث في أيام كاتب رسالة بطرس الثانية هو أن بعض الناس كانوا يدعون النبوة، وكانوا يحضون الناس على الإيمان بأشياء لم يعلنـها لهم المسيح، وهم يدعون أنها تعاليمه، إنهم لم يعلنوا أنفسـهم مناهضـين لدعوة المسيح، بل على النقيض يعلنون أنهم رسل المسيح، منهم من يزعم أنه ظهر له في المنام، ومنهم من يخيل إليه أنه رآه في الظلام، أو آتاه يمشي على الماء، أو ظهر فوق رأسه في الطريق المؤدية إلى دمشق، فهـل كـان

بطرس يوجه الأنظار إلى هؤلاء الأنبياء؟ أم أن اتهام الغير بالكذب كان هو الموضة الرائجة لتبرئة من يبادر بتوجيه التهمة قبل أن توجه إليه من أخيه.

إن بولس يتحدث إلينا عبر أربعة عشر رسالة، بينما بطرس عبر رسالتين في ذيل القائمة. وهناك العديد من الدراسات التي أجريت حول تعاليم بولس اللاهوتية، ولن تفلح في العثور على كتاب يعالج فكر بطرس اللاهوتي .

وإن كان سفر الأعمال قد أبرز دور بطرس، حيث كانت كلمته موجهة أساساً إلى اليهود ومنحصرة في أورشليم، فقد رأى بطرس أن اليهود قد أخطئوا برفضهم المسيح عليه السلام.

وكانت كرازة بطرس تدور حول هذه النقطة طالباً منهم التوبة وتغيير فكرهم عن المسيح، فمعركة بطرس كانت مع اليهود، إنه كان يرى أن حدود دعوة المسيح لا تتجاوزهم. بينما رأى بولس أنه ينبغي أن توجه الرسالة إلى أمم الأرض، ولا يرى المسيحيون تعارضاً بين الموقفين، فقد مرت المسيحية بمرحلتين، المرحلة الأولى وهي التي يعبر عنها بموقف بطرس، وبظهور بولس أصبحت من أحاديث الماضي، كما تبدو في الخطوة الفاصلة في الإصحاح العاشر من سفر الأعمال، فإلى ذلك الوقت كان الإنجيل يقدم لليهود فقط، ولكنهم رفضوه ــ كأمة ــ وهكذا بلغت الأمور غايتها وبدأت المرحلة الثانية على يد بولس[1] .

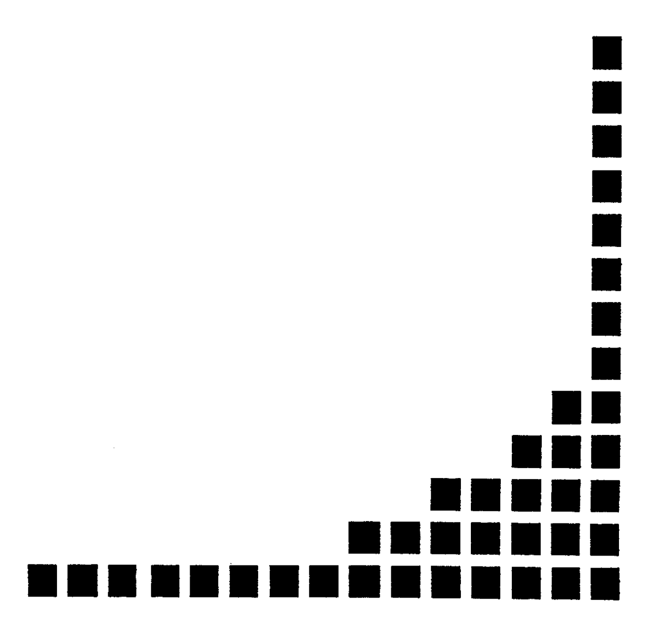
---

(١) أعمال الرسل (١٣ : ٤٤ ــ ٤٨).

إذاً نستطيع أن نفرق بسهولة بين الكنيسة الأولى والكنيسة الثانية، إن عقيدة الكنيسة الأولى كانت عقيدة بطرس والاثني عشر رسولاً، وعقيدة الكنيسة الثانية كانت عقيدة بولس والمجامع المقدسة، وتستطيع أن تتبين الفرق بين الكنيستين عن طريق موقف كل منهما من الختان ومن دعوة الأمم، فبولس يسمي برسول الأمم، وبطرس يسمى برسول اليهود، وقد نسخ العام منهما الخاص .

وهكذا يلحق المسيحيون بالعصر الرسولي من ليس من الرسل، ويخلطون بين بولس وبطرس، ومتى ولوقا، وبين المسيحية التي ذهبت والمسيحية التي أتت.





الفصل الثالث

الباب الحقيقي



الفصل الثالث

الباب الحقيقي

سيظل بطرس إماماً للحواريين في كل المناسبات، وسيظل المسيحيون يذكرون اسمه أولاً في كل قوائم، فكاتب الإنجيل الأول إن كان هو متى الحواري الجليل فإنه يؤخر نفسه ليقدم بطرس، ويضع بطرس على رأس القائمة، ولا يضع بولس حتى في ذيلها، وكتاب الأناجيل بصرف النظر عما بينهم من اختلاف يجمعون على تقديم بطرس على الرسل كافة. والسؤال الذي لم يطرحوه: هل دخل بولس تلك القائمة التي يرأسها بطرس أم لا؟

المسيحيون عامة اليوم لا يعرفون أن بولس لم يدخل قائمة الرسل في أي مرحلة من مراحلها، ولا دخل قائمة التلاميذ، فقد ظل خارج هذه وتلك، ولم يعترف الحواريون له بموطئ قدم في كنيستهم، وكتاب الأناجيل رغم أنهم دونوا أناجيلهم بعد ظهور بولس فقد نزهوا أقلامهم عن مجرد كتابة اسمه، وحتى لوقا يمتنع عن ذكر اسم أستاذه في الإنجيل، منشغلاً بسعادة العزيز ثاوفليس، وتمر الفرصة بعد الفرصة ولا يدخل التلميذ ولا أستاذه في قائمة الحواريين، وأول تلك الفرص كانت بعد فراغ مكان يهوذا الخائن، لكن لوقا في سفر الأعمال يسجل بفتور قصة اختيار متياس ولا يقدم لنا معلومات عن متياس غير ما تراه في هذا النص: (**ولما دخلوا صعدوا إلى العليّة التي كانوا يقيمون فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى**

وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب. ... فأقاموا اثنين يوسـف الـذي يدعى برسابا الملقب يوستس ومتياس. وصلّوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الاثنين أيا اخترته. ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه. ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا) .

لقد شكل الحواريون مجلساً لإدارة كنيستهم، وكانوا يجتمعون لتقـدير ما يتوجب عليهم عمله لأجل الحفاظ على مجتمعهم وعقيدتهم، وقائمـة أسمائهم هي قائمة متجددة، فإذا نقص عددها بموت أو استشهاد أُكمـل بطريقة آلية من التلاميذ، وقد يلجئون إلى القرعة إذا تساوت المـؤهلات، ولم تكن اجتماعاتهم إلا لتنظيم الصفوف والعمل من أجل مواصلة المسيرة والتصدي للحاقدين الذين يجلس على رأسهم بولس، ولئن كان الاجتماع من أجل اختيار أحد الرسل مكان أحد الخائنين أو أحد الراحلين فلابد فيه من رئيس، وقد تم اختيار متياس بفضل وقيادة بطرس، وهذا يشـير إلى مكانة بطرس، وصلاحيته للقيادة، فقد كان على قدر المسئولية، وكـان مهتماً بالأعمال التنظيمية.

ولم يكن من اللائق أن ينضم أحد إلى صفوف الرسل إلا بمثـل هـذا الإجراء، ولكي يتخطى كاتب سفر الأعمال هذا الطريقة المعقدة، فإنـه يلجأ إلى الروح القدس، وليتم اختار بولس بعيداً عن كنيسة أورشـليم، وبعيداً أيضاً عن الحواريين، فلئن كان الحواريون قد اختاروا متياس، فإن أحداً منهم لم يشهد اختيار بولس، الذي تم بعيداً عنهم في إنطاكية، حيث

كان (**في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما**)[١] .

إنك لا تجد واحداً من المذكورين هنا مسجلاً في قائمة الحواريين التي لها صلاحية اختيار الرسل، والتي اختارت متياس من قبل، ومع ذلك فإن الروح القدس لم يختر بولس ليحشره في قائمة الرسل، وإنما اختاره لمجرد العمل في التبشير وبمجرد أن يعتقد لوقا أن أهل إنطاكية لم يكونوا يتصرفون بإرادتهم وإنما تحركهم إرادة الروح القدس تنتهي كافة الاعتراضات على بولس وعلى لوقا أيضاً، فإذا كان (**الله الابن**) قد اختار بطرس لرعاية الخراف، فإن (**الله الروح القدس**) قد اختار بولس للقيام بحل كافة الألغاز المتعلقة بنهاية المسيح على الأرض، وإذا كان الروح القدس قد تدخل لاختيار بولس فإن القرعة هي الطريق الذي دخل به متياس في زمرة الحواريين، وعلى العاقل أن يفهم الفرق بين الأمرين .

وقد تسألني: لماذا لم يكسب الرسل بولس إلى صفوفهم فتهدأ نار العداوة، ويتوحد إنجيل الغرلة وإنجيل الختان؟ وأظن أن كل من يقرأ العهد الجديد يسأل هذا السؤال، فالكل يسأل وليس هناك ولا هنا من يجيب.

---

(١) أع (١٣: ١ — ٣).

وأعتقد أن الرسل لم يخطر وما كانوا ليفعلوا لو خطر ببالهم استمالة بولس بالمناصب، ويعتقد لوقا أن المانع كان في بولس ذاته، فقد كان حتى هذا التاريخ يقتل التلاميذ أو على الأقل غير معروف بالوجه لديهم، إنه كان منكباً على هدم ما يحاول الحواريون بناءه، وإذا كان الرسل ينقون أنفسهم من شوائب الخيانة والنفاق، فهل بعد خروج يهوذا يرحبون ببولس بينهم ؟ لا فرق بين الداخل والخارج، ولهذا لم يفتح الباب أمام بولس، ولم يصبح ضمن الحواريين، ولا ضمن التلاميذ السبعين، ولا معدوداً من أتباعهم، وإنما فرض نفسه بحكاية اختلقها، وفكرة روجها، تشبه إلى حد كبير ما يروجه بعض المصابين بالهوس حول الأطباق الطائرة التي يخيل لبعضهم أنها تنزل من السماء [1] ولا زال العلم عاجزاً عن إثبات دعاواهم التي دفعت بالكثيرين إلى صناعة أفلام الخيال العلمي .

وقد تكون فكرة كتلك هي التي دفعت بالبارودي إلى تأليف قصيدته الشهيرة (**طيف سميرة**) ولو ظهرت فكرة بولس تلك في عصرنا ما تبعه عليها عشرة رجال، لقد فكر بعض المنافقين في المدينة فيما فكر فيه بولس في فلسطين، لكن جهودهم باءت بالفشل. فإذا كان بولس قد أسس كنيسة جديدة، فهؤلاء أسسوا مسجداً جديداً، ودعوا الرسول لافتتاحه والصلاة فيها، حتى ينالوا شهادة بمشروعية عملهم، ولكن حدث ما لم

---

(١) وأثناء كتابة هذه السطور ٥ فبراير ٢٠٠٣ نشرت وكالات الأنبياء أن بعض الأستراليين باتوا يذهبون إلى مكان على شاطئ البحر في استراليا حيث تظهر لهم العذراء تحذرهم من الحرب على العراق المصدر / قناة الجزيرة / والغريب أن الذين يصدقون فرداً واحداً هم أنفسهم الذين يتهكمون على المئات من الأستراليين.

يتوقعوه، فقد نزل القرآن الكريم يكشف سترهم، ويفضح أمرهم، فقد أرادوا أن يقسموا المسلمين إلى طائفتين، وبمرور الزمن تقضي إحداهما على الأخرى.

لقد حذر المسيح أتباعه من المجهول الذي كان ينتظرهم، فالذئاب تحيط بهم من كل جانب، والثعالب الماكرة من اليهود تتربص بهم، وقد يندس في وسطهم من يمثل دور الراعي، ويؤكد المسيح عليه السلام على أن خرافه الحقيقيين سوف يكتشفون الدخيل على زمرتهم، وسوف يبعدونه عن حظيرتهم، ولكن يوحنا مع أنه كتب إنجيله متأثراً بالروح الجديدة فقد جعل من كلام المسيح إلى أصحابه طلاسم عسيرة الفهم، وهي كذلك على أهل الزيغ، الذين إذا قال لهم الآباء: هذا الصبح ليل، عميت أبصارهم عن رؤية الضياء، وبصائرهم عن رؤية الحق .

«الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف. لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته. وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء. هذا المثل قاله لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا ما هو الذي كان يكلمهم به، فقال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص.

ولكن الخراف لم تسمع لهم[1]. أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فـــيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى.

السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكـــون لهم حياة وليكون لهم أفضل. أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف. وأما الذي هو أجير وليس راعياً الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويهرب. فيخطف الذئب الخـــراف ويبددها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بالخراف. أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني. كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب. وأنا أضع نفسي عن الخراف. ولي خراف أخر ليست من هـــذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد» .

فلم يقل وتكون ثلاث كنائس وإنما هو راعٍ واحد ورعية واحدة، رعية تؤمن بأن المسيح عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـــه، هذا هو الباب الحقيقي الذي تدخل منه الخراف، وأما ما يدعى بكنـــائس كاثوليكية وأرثوذكسية وبروتستانتية، فتلك قطعان خارجة عـــن دائـــرة الخراف، تائهة في صحراء الضلال.

إن هذه فصائل أجمعت على مرجعية بولس وهو لم يكن من الحواريين. ألا ينبغي أن نشك في الخراف كما نشك في راعيها؟

---

(١) وحاشا لله أن يقول المسيح ذلك، فالمسيح يقول (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) متى (٥: ١٧) .

ينبغي أن نحتكم إلى الأناجيل، فالمسيح هو أول من يعرف خرافه، وقد أخبرهم بأنه سيقع تمييز بين الخراف الحقيقية والدخيلة، وذلك عندما يأتي محمد ﷺ **«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار»** [1].

فقد جاء محمد ﷺ ليفصل بين الأصيل والدخيل في رسالة المسيح، وليعزل المسيحية اليهودية عن الرومانية. فالأولى عن يمينه والأخرى عن يساره. جاء بكتاب يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، وفي كتابه أن الذين زعموا أن المسيح إله ليسوا من الخراف الحقيقية في شيء، فسورة المائدة تشهد بكفرهم في ثلاثة مواضع متكررة :

١ـ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

٢ـ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[3].

---

(١) متى (٢٥: ٣١ ـ ٣٣).
(٢) سورة المائدة ، الآية [[١٧]].
(٣) سورة المائدة ، الآية [[٧٢]].

٣ــ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(1).

جاء محمد مؤيداً بالملائكة من عند الله، ورأي الناس يدخلون في دين الله أفواجاً وهو جالس على كرسي مجده، وجمع دينه شعوب الأرض كافة، وميز المؤمنين عن الكافرين، كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره.

لقد ميز بين عقيدة الكنيسة الأولى والكنيسة الثانية، ومن العبث أن نعتقد أننا سوف نصل إلى حل لمسألة عقيدة الكنيسة الأولى دون أن نعثر على الوثائق التي كانت تعبر عن تلك الكنيسة، فقد تغير هذه الوثائق النظرة القائمة الآن، إن المسيحيين يظنون أن القرن الأول بكامله وما بعده إلى مجمع نقيه كان يشكل عقيدة الكنيسة الأولى، ولكن من يتروى يبصر أن الخمسين سنة الأولى من التاريخ المسيحي كانت مختلفة تماماً عما تلاها، ففي نحو منتصف القرن الأول من التاريخ المسيحي أخذ الحواريون طريقهم تباعاً إلى الدار الآخرة، وفي آخر أيام الرسل ظهر بولس الذي بدأ مرحلة جديدة، ركز فيها على نقل الدعوة إلى نطاق العالمية، فاليهود ما كان يروج بينهم فكرة تقبل بتمجيد المسيح وهم الذين ظلوا يصفونه بالكذب وما هدأ بالهم إلا بعد أن حسبوا أنفسهم قد صلبوه، ولكن بولس قبل مسألة الصلب التي يقول بها اليهود، وقبل أيضاً مسألة احترام المسيح التي يقول بها الرسل، وبالغ في الأولى كما بالغ في الثانية، وزاوج

(١) سورة المائدة ، الآية [[٧٣]].

بين الفكرتين باختراع فكرة ثالثة وهي فكرة القيامة ليخرج علينا بهذه العقيدة التي ساعده على إرسائها لوقا الذي كان مدركاً إدراكاً تاماً لفلسفة أستاذه، ولهذا اختص بولس برسم الخطوط العريضة، وترك لتلميذه البحث في التفاصيل، وإمداد الفكرة بما يناسبها من أقوال ونصوص في ما عرف بإنجيل ولوقا وسفر الأعمال .

وانطلاقاً من أساسيات بولس وتفاصيل لوقا يعتقد المسيحيون أن بطرس بدأ بعد ذلك بالكرازة أن المسيح الذي صلب حي ووبخ اليهود على الخطأ الذي ارتكبوه بصلبه، وحاول قادة اليهود منعه بالقوة من التبشير، ولكنه أصر أن يطيع الله قبل كل شيء .

هكذا قرر بولس هدم النصرانية عن طريق النصرانية، وكان الأمر كما اشتهى، فقد نجح في خلق جماعة منافسة للحواريين والتلاميذ، وسعى سعياً حثيثاً لخلط الجماعتين دون جدوى، وسرعان ما قامت العداوة بينهما، واستمرت ثلاثة قرون حتى قضت الجماعة التي تنتمي إلي بولس على تلك التي عجز عن القضاء عليها في حياته.

وما كان ذلك ليحدث في ظل رسالة الإسلام، وهي رسالة الدنيا من بعثة محمد ﷺ إلى قيام الساعة، فقد وعد الله بحفظ دينه فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجر ، الآية [[٥]] .

ومن حسن حظ بولس أو من سوء حظ الإنسانية أن الوحي انقطع برفع المسيح، فما عاد هناك من مصدر يخبرهم بما يضمره عدوهم، لكن القرآن الكريم استمر يترل أكثر من عشرين عاماً يصحح لأهل الضلال ضلالهم، ويكشف لأهل النفاق نفاقهم، فقد أراد المنافقون في المدينة بما ظاهره عمل صالح هدم البناء من أساسه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (1).

وكثيراً ما يحاول الحاقدون هدم المبادئ والعقائد بإقامة مؤسسات خيرية، مؤسسات أعمدها النفاق، ألم تسمع عن البهائية والقديانية ؟ إنها مذاهب مشابهة لما صنعه بولس، بيد أن وعد الله بحفظ كتابه أفشل محاولات أصحاب هذه المذاهب، وهو وعد ضمني بحفظ العرب الناطقين بلغة القرآن الكريم، وبحفظ الإسلام الذي يدين به المسلمون.

ولا يتوقف أمر القرآن الكريم على فضح النفاق الحديث، بل إنه يأتي ليرشد أهل الإنجيل إلى المعالم الرئيسية لدعوة المسيح عليه السلام، فقد دعا المسيح عليه السلام إلى عبادة الله دون سواه، ودعا اليهود دون غيرهم فانقسموا إلى طائفتين، آمنت الأولى وكفرت الثانية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ

(١) سورة التوبة ، الآيات [[١٠٧ ــ ١٠٨]].

نَحْنُ أنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[1] .

ولم يكن بولس من الطائفة التي آمنت، وما ادعى ذلك، بل حكي عن نفسه أنه كان مضطهداً ومحارباً لتلك الطائفة. ولك أن تشك انطلاقاً من تلك الخلفية في نواه ولك أيضاً أن تتساءل: لماذا لا تأتي رسالة المسيح إلا عن طريق بولس؟ والسؤال الأهم هل صدق الحواريون دعواه ؟ .

لقد عرفوا عداوته الظاهرة والباطنة، إنه لم يأتهم من الباب الحقيقي، بل من الباب الذي مكنه من السطو على عقيدتهم، وتغيير اتجاه سفينتهم، لقد جاء يحاول الجلوس على رؤوسهم، وإذ يجد نفسه يفشل في أول خطوة يخطوها تجاه هذا الطريق فإنه يتجه صوب أوربا، فما وجد أحداً ينافسه على ما ادعاه، وكان الأمر كما اشتهاه.

لقد ترك اليهود وجدالهم، والحواريين وإصرارهم، واتجه صوب أوربا ليعرض على الرومان واليونانيين مهارته الفكرية، وفي النهاية صدق الرومان بما كذب به اليهود. فقد وقعوا في دائرة حب الاستطلاع لمعرفة التفاصيل الشيقة في قصة المسيح بعد أن وصل إليهم ما وصل من أخبارها، فلم يجد هؤلاء أمامهم غير هذا اليهودي الذي حفزهم إلى معرفة العجائب، ووطد صلته بهم، واختار تلامذته من بينهم، وهكذا خُدِع الناس لأنهم لم يصل إليهم غير فكره، ولم يسمعوا في هذا المجال سوى

---

(١) سورة الصف ، الآية [[١٤]] .

اسمه، لقد استمر يراسلهم بالخطابات، ويبعث إليهم بالتحيات، ويضع لهم التفسيرات، لم يتحدث عن معجزات المسيح، ولا عن تعاليمه، وانصب تفكيره حول تحليل جزئية واحدة تدور حول نهاية المسيح، وإذا كان بولس انطلاقاً من تلك الجزئية قد أثار الخلاف حول شخص المسيح، فقد جاءت المجامع وحسمت هذا الخلاف.

لماذا تضطهدني ؟

هذا السؤال يضعه بولس على لسان من ظن أنه المسيح، كأنه عتاب رقيق من قبل الإله لعبده، وكأن المستكبر الذي انقلب فجأة إلى مقام العبودية رأى أنه لا فائدة من الاضطهاد، فليكن علاج الأمر على نحو آخر، ولتكن الرحمة واللين مكان القسوة والشدة، ولنبدأ صفحة جديدة، ولنجرب وسائل مختلفة، ولنرى ما تأتي به الأيام.

ويدور التخمين حول السنة العاشرة ميلادية كتاريخ مقترح لميلاد صاحب هذه العقلية الفريدة، ففي مدينة طرسوس ومن أبوين يهوديين ولد رسول الأمم. وفي أورشليم درس الفلسفة والشريعة اليهودية على المعلم الشهير جملائيل. وهو حبر يهودي استطاع أن يربي تلميذه على الكره الشديد للمسيح وأتباعه، ولهذا نشأ التلميذ يمقت ويضطهد كل مَن يخالف شريعة آبائه. واستمر يلاحق الحواريين وأتباعهم، وأول ما يظهر شاول على صفحات العهد الجديد يظهر في هذا الدور، فقد شارك في رجم استفانوس، ولم يكن هذا السلوك مثيراً للدهشة، بل إن المثير للغرابة هو ما حدث بعد ذلك، فقد انقلب هذا العدو إلى حمل وديع، وأصبح راعياً للمسيحية ومتحدثاً باسم المسيح. هذا هو العهد الجديد، عهد النعمة التي تجلت بموت يسوع على الصليب، وأما ما كان يمثله تيار الحواريين فأصبح في نظر الطلائع الجديدة عهداً قديماً، ينتمي إلى التوراة وكتب اليهود .

وتقول الرواية التي سجلها لوقا: إن شاول فيما هو ماضٍ إلى (**دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له: شاول شاول لماذا تضطهدني ؟**

فقال : من أنت يا سيد. فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس.

فقال:وَهو مرتعد ومتحيّر : يا رب ماذا تريد أن أفعل.

فقال : له الرب : قم وادخل المدينة ، فيقال لك : ماذا ينبغي أن تفعل؟

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً. فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب) [1] .

هذا هو كل ما لدى المسيحيين من أدلة وبراهين قاطعة على رسولية شاول، ولسوف يختفي من الآن الحديث عن حواري المسيح ليظهر تلاميذ بولس مبشرين لا بالله وحده، ولكن بـ (**الرب يسوع**) الذي صلب لخلاص الناس من خطيئة آدم، ويظهر من هؤلاء تيموثاوس، ولسوف ينطلق بولس بصحبة سيلا ولوقا إلى آسيا الصغرى وغلاطية وتراوس وسائر بلاد اليونان. ولسوف يأتي إلى كورنثوس حيث يتراءى له ما دعاه

---

(١) أعمال الرسل (٩ / ١ ــ ١٠) .

بـ (**الربّ يسوع**) ولسوف يشجع (**الإله يسوع**) عبده بولس ويجـرى على يده آيات يصفها المسيحيون بأنها باهرة.

وما كان لليهود أن يقبلوا ألوهية المسيح وهم الذين مـا رضـوا بـه رسولاً، ولهذا صموا آذانهم، وصمموا على قتل مخترع الفكرة التي تبالغ في رفع من يبالغون في احتقاره. ولكن شاول نجا من محاولة بعد أخرى.

وبتحليل هذه النقلة من حياة شاول يظهر أمامنا بعض الأمور :

- **أولاً**: ذكر سفر الأعمال ثلاث روايات مختلفة لهذه الحادثة، فبينمـا يقول إن (**الرجال المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً**)[1] يقول بولس نفسه عنهم : إنهم نظروا النور (**والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الـذي كلمني**) (**أعمال ٢٢ : ٩**) .

وفي الإصحاح السادس والعشرين يبين بولس للملك أغريباس أنـه لم يكن معانداً للرؤيا التي رآها، وأن جميع الذين كانوا معه سـقطوا علـى الأرض (**عدد ١٤**) فكيف سقطوا على الأرض وقد وقفـوا صـامتين لا ينظرون أحداً ؟ وكيف نظروا النور في الحالتين؟ وكيف ارتعبوا وقد وقفوا صامتين يسمعون الصوت؟ وما هو الكلام الذي سمعوه ؟ ومن هم الرجال الذين سمعوا؟ .

---

(١) أعمال (٩ : ٧) .

أما المسيحيون فلا يبالون بكون شهود الحكاية معروفين أم غير معروفين ؟ سقطوا أم استمروا صامدين، والمهم هو أن رسولهم قام بسلام، لقد تمرغ أمام أعينهم على الأرض، فلما رفعوه حكى لهم ما لم يسمعوه وما لم يبصروه ؟ .

■ **ثانياً**: فيما يتعلق بوقت تكليف بولس بالكرازة للأمم. يعطينا سفر الأعمال ثلاث إجابات، ففي الإصحاح التاسع نفهم أن حنانيا الذي أرسله (**يسوع**) لبولس ليفسر له معنى الرؤيا التي رآها في الطريق إلى دمشق، هو الذي أخبر بولس بإرساله إلى الأمم.

ولكن في الإصحاح الثاني والعشرين نجد أن تكليف بولس قد جاءه بينما كان يصلي في الهيكل في أورشليم، فقد رأى رؤية لم تؤيد رسوليته للأمم فحسب، بل وجاءه الأمر بأن يسرع ويخرج عاجلا من أورشليم).

وفي الإصحاح السادس والعشرين أنه أرسل بينما كان في طريقه إلى دمشق .

أما المسيحيون فلا يبدو أن لديهم مشكلة في فهم ما نختار في فهمه، وما عليهم إلا أن يقولوا: إن هذه تأكيدات، مباشرة وغير مباشرة، وهي بالنسبة لبولس كانت دافعاً قوياً ليتحمل أعباء الرسالة. ويستبعدون في الوقت نفسه أن تكون تعاليم بولس عن المسيحية قد أتته من اتصاله بالمسيحيين، أو من خلال دراسته في أورشليم.

- **ثالثاً:** في نهاية مدة إقامته في دمشق، اضطر بولس أن يهرب متدليا من طاقة في زنبيل من السور [١].

فهل سمعت عن رسول من رسل الله يهرب من أعدائه بهذه الطريقة ؟
من الواضح أن لوقا لم يكن يعنى بكثير من الأمور عند كتابته لتاريخه، كما لم يكن بولس يعتني بالمثل إلا بما يؤدي إلى انسجام فكرته [٢] .

ويظن البعض أن الكثير من رسائل بولس التي بين أيدينا، قد كتبت في أثناء سجنه في قيصرية، ولكن الأدلة في الرسائل نفسها تضع أمامنا أكثر من احتمال. ففي أورشليم لم يكن الجو هادئاً، وما صدق رسل المسيح بما ادعاه، ولقد تعرض للقتل من قبلهم على ما يبدو، فمنع قائد الجند خصومه وخاطبهم بالعبرانية مبيناً عن اهتدائه. فصرخوا قائلين: ارفعه، اصلبه، فإرضاءً لهم أراد الوالي أن يجلده، فاعترض بولس بأنه ذو جنسية رومانية. فأرسل إلى مركز الولاية الرومانية في قيصرية، حيث مكث سنتين. ولكنه لو لم يكن رفع دعواه إلى قيصر في رومية لأطلق الملك اغريباس سراحه، فأقلع بولس مع أسرى آخرين إلى روما بصحبة لوقا رفيقة الأمين واسترخوس المكدوني.

---

(١) أ ع (٩: ٢٣ — ٢٥)، ٢ كو (١١: ٣٢ و ٣٣) .

(٢) وفي سبيل ذلك كان يغير مبادئه من وقت لآخر ومن مكان لآخر .

وبعد النظر إلى دعواه، لم يجد القضاة ما يوجب الحكم عليه بمقتضى القوانين الرومانية، فأخليَ سبيله، فأقام في روما ينشر عقيدته بعيداً عن الحواريين واليهود معاً [1].

ويبدو أن الخروج السريع من أورشليم — إن كان قد دخلها — يرجع إلى المعارضة الشديدة من قبل تلاميذ المسيح، مما جعله يغير خطته ليتجنب الكثير من المواجهات أثناء الترويج للمسيحية الجديدة.

---

(١) انظر سفر الأعمال / إصحاح (٢١ ، ٢٢) .

✿ منهج شاول في التبشير :

لو رمت البحث في العهد الجديد عن منهج أمير الرسل ما نلت مبتغاك، ومن خلال قراءة الرسائل التي كتبها بولس تستطيع أن تصل بسهولة إلى منهجه، وعند ذلك ربما يسهل عليك تفسير انتشار مذهبه الذي غطى في فترة ثلاثة قرون على كافة المعتقدات المتعلقة بالمسيح ﷺ، فقد اعتمد على دراسة البيئة التي يزرع فيها، ومن ثم التمييز بين الأماكن والأشخاص والأفكار والمعتقدات ويمكننا أن نلخص خطوات هذا المنهج في النقاط الآتية:

❁❁❁

✿ أولاً: التبشير الفردي :

لم يصعد بولس إلى أورشليم مباشرة بعد تلقيه الرسالة، وإنما مكث أربع عشرة سنة، ثم راح يعرض إنجيله على انفراد على المعتبرين لديه، وكأنه يخشى المتجسسين الذين يكشفون عن كل مستور، ولكن التعاليم السرية في أورشليم سوف تجد طريقها إلى العلانية في رومية، وفي غلاطية، وفي كل مكان يأمن فيه على نفسه، يقول شاول: (**ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معي تيطس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا**). فهو يعرض إنجيله على انفراد، لأنه يخشى أن يعرضه علانية على أحد لا يعرف انتماءه العقائدي، فيكون كمن يحرث في الصخر، ولهذا

فهو ينتهز الفرص، ويختار بعض من يأنس إليهم ليعرض عليهم إنجيله، إن إنجيله ليس إنجيل الرسل الذي أصبح يعرف بإنجيل الختان، ولكنه إنجيل النعمة التي ظهرت بموت (**الرب يسوع**)

وبعد أن يزرع بولس الفكرة يتعهدها بالرعاية، ويستخدم نظرية العزل الفكري للحفاظ عليها، وأسلوب العزل الفكري يشكل مرحلة تضمن نمو الفكرة وتمكنها في نفس المؤمنين الجدد، ومن ثم يتمكن هؤلاء من المواجهة والإصرار على الفكرة التي رسخت في أعماقهم، وبهدوء يقول بولس لهؤلاء المخدوعين: (**يحسبنا الناس كاذبين ونحن صادقون**) ويصدق الناس عادة من يقول مثل هذا المقال. ومن هنا يدعو المصدقين به من أهل كورنثوس إلى عدم الاختلاط بالمكذبين، حتى لا يتغير فكرهم، ويرجعوا عن الإيمان بالصلب والخلاص، ويدعوهم كذلك إلى جمع التبرعات المالية حتى يتحول الفقراء من أتباعه إلى أغنياء يغرون بغناهم فقراء الثقافة والفهم.

❁❁❁

❁ ثانياً: التشكل والتلون في سبيل استدراج المدعو:

وإذ يظهر الوثني رغبته في عدم التخلي عن ديانته فإن بولس يستدرجه، ومن ثم يذلل له العقبات، وفي سبيل ذلك يلغى من أحكام الله ما لا يقبله هذا الوثني، بل لقد ألغى الشريعة جملة وتفصيلاً، وجعل الوثنيين الذين بلا ناموس ناموساً لأنفسهم، ولهذا يعجب كل قارئ لرسائل بولس عندما

يراه في موقف يمجد الشريعة، وفي آخر يصفها بأنها لعنة افتدانا الله منـــها بصلب المسيح.

ومع أن النصارى يلحظون التغير الحاصل في العقيدة منـــذ أن طـــرق بولس بابهم، إلا أنهم يفسرون ذلك التغير بعمل الروح القـــدس، يقـــول القس حنا الخضري : (**وهنا نلاحظ التغيير الشامل الكلي في عقيـــدة الرسل بخصوص المسيح، ولقد حدث هذا التغيير بفضل عمل الـــروح القدس، الروح القدس الذي وعد به السيد تلاميذه، فبعد القيامة وبعد فرصة التأمل والصلاة في العلية، وبعد الامتلاء بالروح القدس نرى هذا التغيير الجذري في مفهوم الرسل لشخص يسوع، فالمسيح المقام مـــن الأموات لم يصبح بعد المسيا المنتظر بحسب المفهوم اليهـــودي والـــذي سينقذ ويخلص الشعب الإسرائيلي المذل من الاستعمار والاستعباد لكي يؤسس دولة ثيوقراطية، بل إن يسوع الناصري أصبح الآن في عيونهم بعد القيامة وبعد حلول الروح القدس رباً ومسيحاً مخلصاً وفادياً، فهو ملك بل ملك الملوك، وملكه بلا انقضاء وسلطانه بلا حدود، ولكـــن هذا الملك هو ملك روحي، فلا داعي إذاً لأن يتصـــارع ويتخاصـــم الرسل على من هو الذي سيكون الأول في ملكوت الله، أو من هـــو الذي سيكون عن يمينه أو عن يساره، فبعد أن قابل الرسل الرب المقام من الأموات، وبعد أن قضوا عشرة أيام في العلية، وبعـــد أن امتلئـــوا بالروح القدس تغيرت نظرتهم وعقيدتهم في شخص يسوع، فهـــم الآن**

على استعداد للانطلاق والتبشير بيسوع الناصري المخلص من الخطايا، هذا ما قد أقره واعترف به الرسل أن يسوع الناصري هو المسيح ابن الله الحي، وهذا الأمر واضح كل الوضوح في العهد الجديد بصفة عامة وفي رسائل بولس بصفة خاصة)[1] .

ونخلص من هذا إلى أنهم مقرون بأن عقيدتهم قد تغيرت بعد قيامة المسيح، وأن ذلك قد تم بواسطة الروح القدس، وهكذا تتوزع الأدوار على الآلهة، فـ (الله) الروح القدس يكشف ما أخفاه (الله) الابن، والإنسانية تعيش أربعة آلاف سنة دون أن تعرف الرب الحقيقي الذي خلقها، ولئن كان الموقف كذلك فما حاجة الكنيسة للاعتراف برسائل بطرس ؟

لقد عاش بولس يهودياً مع اليهود، ووثنياً مع الوثنيين، وكما يقول عن نفسه: **(فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس الله بل تحت ناموس للمسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلّص على كل حال قوماً)**

(١كو ٩: ١٩ ــ ٢٢) .

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي جـ ١ صـ ٣٨٤ .

وقد أظهر شاول ضيقه في بادئ الأمر بالذين لا يحفظون وصايا موسى، ولكنه بعد فترة قرر أن الوصايا بشأن الأطعمة والصيام والفروض ليست ملزمة، وأعلن أنه في وسع اليهود الذين تنصروا أن يحفظوا هذه الوصايا إذا شاءوا ولكن غير اليهود من حقهم ألا يحفظوها، وقد عارضه الرسل على أساس أن المسيح راعي الأعياد اليهودية، وقال بولس: إن المسيحيين مخيرون في القبول أو الرفض، وربح بولس الموقف في النهاية، وصار بولس راعي الأمم (غير اليهود) [1].

۞۞۞

۞ ثالثاً: تحديد الأماكن التي يمكن التبشير فيها بعناية :

فمناطق العمل إما يهودية ثبت فيها الحواريون نفوذهم وإما مناطق لم يصل إليها أحد من رسل المسيح قبل ذلك.

أما الأماكن التي ما ذهب إليها أحد من الحواريين فإن شاول يعمل على التبشير فيها باطمئنان، وأشعر أنك على وشك أن تسألني عن سر ذلك، ومبادرة إلى إجابتك أقول: لعلك تعلم أن المبشرين حتى ذلك الوقت لم يكونوا خارج دائرة الحواريين ولم يدخل هذا الميدان أحد من خارج زمرتهم، ولهذا رأي شاول أن يتجنب أماكنهم، ويذهب بعيداً عنهم، حتى لا يصطدم الجديد بالقديم، أو إنجيل الختان بإنجيل النعمة، والعلة التي يضعها بولس لذلك هي أنه لم يكن يرغب في أن يبني على

---

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة رولاند بينتون ترجمة القس عبد النور مخائيل صـ ١١، ١٢ ط / دار الثقافة الثانية .

أساس غيره. وفي هذا يقول: (**بقوّة آيات وعجائب بقوة روح الله. حتى إني من أورشليم وما حولها إلى الليريكون**[١] **قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح. ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا. ليس حيث سمي المسيح لئلا أبني على أساس لآخر. بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون**)[٢] .

فالذين لم يخبروا عن المسيح من قبل هم الرومان، وسوف يؤمنون بأي فكر يقال، ولهذا أصبح بولس غير المعروف لدى كنائس اليهودية معروفاً لدى طوائف مختلفة في الأعماق الرومانية، و لم يجد بولس حرجاً أن يعترف بمشكلة تراها هذه الطوائف رأي العين، فهو يقول لأهل غلاطية (ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح، غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلا يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلا يتلفه) أي أنهم يسمعون اسم شاول ولا يعرفون وجهه[٣].

---

(١) يوغوسلافيا حاليًا .

(٢) رومية (١٥: ١٩ — ٢١) .

(٣) ومع ذلك فسوف يزعم أنه التقى ببطرس وتعرف على يعقوب، وقد يقول المسيحيون إن التعرف حدث بعد ذلك ، ولكن للأسف المعرفة وعدمها يسجلها بولس في رسالة غلاطية ، ومن ثم يخمن بأن الرسل قد شهدوا بأنه أصبح يبشر بالإيمان الذي كان يتلفه من قبل، وإذ نراه في غلاطية يذكر أنه مكث عند بطرس ١٤ يوماً نعود إلى سفر الأعمال لنجد الأمر مختلفاً تماماً (إصحاح ٢١ ، ٢٢) .

وربما كان هذا سبباً في تغيير اسمه من شاؤل إلى بولس، عساهم أن يقبلوا الوجه الذي لم يعرفوه إذا تخلى عن اسمه الذي سمعوا عنه، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث بفضل الله تعالى.

وأما الأماكن التي بشر فيها الحواريون فإن شاول يتجنبها، ولكن إذا حدث وذهب إلى منطقة فوجئ أن أهلها على دراية بدعوة المسيح، فماذا يفعل؟ في هذه الحالة يتخذ أحد أمرين :

الأول: تعديل البشارة بما يتناسب مع الخلفية الفكرية لأهل هذه البلاد، وهذا يعني أنه لا بد أن يسمع منهم قبل أن يُسْمِعَهم، ولهذا ألغى الناموس حتى يذلل الطريق أمام فكره الجديد، وأمام الرومان الذين ربما شقت عليهم التكاليف اليهودية وخاصة الختان، ولكنه عندما **(وصل إلى دربة ولسترة وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يوناني. وكان مشهوداً له من الاخوة الذين في لسترة وايقونية. فأراد بولس أن يخرج هذا معه فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يوناني)**[1] فمع أن أباه أممي إلا أنه من أجل أن يربح اليهود ختنه أمامهم. وهذا بسبب من يصفهم بولس بأنهم أخوة كذبة مدخلين خفية، وبولس الذي ختن تيموثاوس هنا يفتخر بأنه لم يختن تيطس وهو يوناني أيضاً، مع أن اليوناني غير مطالب في نظر الحواريين بالدخول في ديانتهم أصلاً **(ثم بعد أربع**

---

(١) أعمال الرسل (١٦: ١ ــ٣) .

عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معـــي تـــيطس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أســـعى أو قـــد سعيت باطلا. لكن لم يضطر ولا تيطس الذي كان معي وهو يوناني أن يختتن. ولكن بسبب الاخوة الكذبة المدخلين خفيـــة الـــذين دخلـــوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يســـتعبدونا)[1] **أي** بسبب الكاذبين قد يضطر إلى ذلك .

الثاني: المواجهة، وكان بولس يتهرب منها مبدئياً، ولكن في حالة إذا مـــا فرضت عليه ولم يتمكن من دفعها، فليس أمامه إلا المواجهة، وذلك مثلما حدث مع أهل غلاطية، فقد بشرهم بصلب المســـيح، ولكـــن عنـــدما وصلتهم المعلومات الحقيقية ارتد كثيرون عن مذهبه، ولم يجد بولس أمامه سوى مهاجمة بطرس ومهاجمة الختان، والإصرار على أن لـــه صـــلاحية بطرس، وإن كان الفرق في صالحه؛ لأنه رأي المسيح لا في الجسد، بينما بطرس عاش معه على الأرض .

---

(١) غلاطية ....

رسائل بولس :

كان بولس كثير التنقل، وكان كلما وصل إلى مكان كتب لأتباعه في المكان الذي رحل عنه، والجديد من تعاليمه حصل عليه من خلال تأملاته الفردية، أو من خلال نقاشه مع أصحابه أو جداله مع المكذبين المشككين، ومن الملاحظات والجدل الذي كان يدور ليل نهار بينه وبين مكذبيه كان يعدل أفكاره ويهذبها، حتى رأت التعاليم الجديدة النور بعد أن اكتشفت رسائله الكنيسة التي كانت تبحث عن شخصية تتوحد حولها أكثر من بحثها عن فكرة معينة.

وكان بولس يملي على أتباعه أحيانا كما هو واضح من رسالة رومية (١٦: ٢٢) ويكتب أحياناً كما هو واضح من أفسس (١٦: ٢١) والمرجح أن معظم الأفكار التي كان يكتبها أو يمليها كانت تتوارد على خاطره وهو في طريقه من بلدة إلى أخرى. وبولس يقر بأنه لم يأخذ هذه التعاليم عن بشر، فهو منقطع الصلة عمن سبقه من تلاميذ المسيح .

ولهذا لم تظهر رسائله أنه كان على وفاق مع الحواريين، فقد تجاهل الحواريين ولم يذكر اسم أميرهم إلا بما يشنع عليه باعتباره جامداً على القديم، ومصراً على الختان والشريعة الموسوية.



رسالة رومية :

لا يعرف تاريخ كتابة هذه الرسالة ولا غيرها من الرسائل المنسوبة إلى بولس، لأن من عادة كتاب هذه الفترة أنهم لا يذكرون زمن كتابة ما

يكتبون، ومن عادة بولس أنه لا يذكر أسماء الحكام المعاصرين، فمن الصعب التعرف على تاريخ كتابة أية رسالة أو وثيقة إلا على وجه التقريب.

ولئن كانت أهم وأطول رسائل بولس هي تلك الرسالة التي بين أيدينا فإنه لا يذكر فيها علاقته بأصحاب المسيح، ولقد ذكر في آخرها أنه عازم على الذهاب إلى أورشليم، لكنه لم يذكر أنه ذهب فعلاً، وهنا نلاحظ الغموض يلف دخوله أورشليم وخروجه منها، لكن لوقا يحاول أن يبرز شجاعة أستاذه، فقد حاول الأخوة أن يمنعوه من الصعود إلى أورشليم، ملحّين عليه بالدموع، فقال لهم: ما بالكم تبكون وتكسرون قلبي: إني مستعد، لا للوثاق فقط بل للموت أيضا في أورشليم لأجل اسم الربّ يسوع[١].

لماذا تظهر هذه المخاوف عند التفكير في زيارة أورشليم ؟ إننا لا نرى بولس يذكر في هذه الرسالة أحداً من أورشليم، لا يذكر فيها بطرس ولا يوحنا ولا أحداً من حواري المسيح ويذكر فيها أسماء حوارييه الجدد من أمة الرومان والذين منهم بريسكلا واكيلا العاملين معه في المسيح يسوع. وابينتوس حبيبه، ومريم التي تعبت لأجله كثيرا. وأندرونكوس ويونياس المشهورين بين الرسل[٢] .

---

(١) أعمال (٢١/ ٧ ــ ١٣).

(٢) والاسمان ليسا من الرسل أصلاً فضلاً عن أن يكونا مشهورين كما زعم .

ومن الأسماء أيضاً: أمبلياس وأوربانوس واستاخيس وأبلّس وهيروديون وتريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب.

برسيس المحبوبة وروفس المختار وأمه.

اسينكريتس وفليغون وهرماس وبتروباس وهرميس وفيلولوغس وجوليا ونيريوس واخته وأولمباس وغايس واراستس وكوارتس.

هذا فضلاً عن تيموثاوس ولوقا وياسون وسوسيباترس وترتيوس كاتب الرسالة. وكل هذه الأسماء عدا مريم التي تعبت من أجله أسماء رومانية .

وهكذا تستطيع أن تقول ــ وأنت مرتاح البال ــ إن هذه الرسالة قد كتبت في جو بعيد عن أورشليم، ولعلها كتبت قبل رسائل أخرى سوف تتحدث عن مواجهة بين بولس والحواريين في أورشليم وغلاطية.

وفي رسالة كولوسي يتحدث عن مرقص، وهو غير مرقص الذي استقر في مصر، ولعل هذا يفسر لنا لماذا لم يبعث برسالة إلى أهل مصر، فقد جاءها التلميذ مرقص واستقر فيها فأغلق هذا الباب في وجه الأفكار الغربية، وظلت الكنيسة المصرية حتى مطلع القرن الرابع على عقيدة التوحيد .

❁❁❁

رسالة كورنثوس الأولى :

كتبت هذه الرسالة في أفسس (١٦: ٨) وكتبها بولس بخطه (١٦: ٢١) وكان معه شخصية لم ترد في رسالة رومية وهو سوستانيس .

وإذا كان بولس قد فكر في الذهاب إلى أورشليم ــ كمــا رأينــا ــ في الرسالة إلى رومية فإن هذه الأمنية لا تزال تراوده وهو يســجل رســالته الأولى إلى أهل كورنثوس، وقد ناشد أهل كورنثوس أن يجمعوا التبرعات ليذهب بها أو ليرسل بها إلى أورشليم (١٦: ١ــ ٣) وهكذا يبدأ بــولس الطريق من نهايته، فلا يذهب ليتعرف على الرسل وأحوالهم وأخبــارهم، وإنما يجعل المال يسبقه إليهم، والمال في نظر اليهودي تتضاءل أمامه العقائد والأفكار، ويستنتج المسيحيون من ذلك أن أهل أورشليم كانوا يعيشون في فاقة، والمنهج العلمي يقضي بإثبات وجود الفاقة أولاً لنثبت من خلاله صدق بولس .

والحق أن سبب كتابة الرسالة لا ينم عن مشاكل اقتصادية، فقد أُخبر بولس عن طريق أهل بيت خلوة بوجود خلافات داخل الكنيسة الناشئة في كورنثوس، وقد وددنا أن نعرف تفاصيل تلك الخلافات، ولكن كتبة الوحي المقدس انشغلوا بتسجيل السلامات والتحيات و لم يفطنوا إلى مــا سنحتاج إليه.

يقول كاتب الرسالة (**ولكنني أطلب إليكم أيها الاخوة باسم ربنــا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قــولاً واحــداً ولا يكــون بيــنكم انشقاقات بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد. لأني أخــبرت عنكم يا اخوتي من أهل خلوي أن بينكم خصومات. فأنا أعني هذا إن كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح.**

هل انقسم المسيح. ألعل بولس صلب لأجلكم. أم باسم بولس اعتمدت) ١ كو (١: ١٠ ــ ١٣) .

ونستطيع من خلال تحليل الاقتباس السابق التعرف على سبب الخلافات، فالهدف الظاهر ليس هو جمع المال لإخوانهم المحتاجين في أورشليم، وإنما هو القضاء على الخلاف حول مسألة كبيرة، ومن ثم يظهر اسم (صفا) فوجود اسم صفا أو بطرس هنا هو وراء هذا الخلاف، فما ظهر هذا الخلاف إلا بسبب عناصر وصل إلى علمها أقوال مخالفة لما أعلنه بولس، ولهذا راح الناس يترددون، ولا يناقش بولس المترددين بالمنطق، ولكن يناقشهم ببيان أن قدرة الله خرجت عن حدود المنطق، وتجاوزت حد المعقول، وفي هذا يقول: " **فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم. أين الكاتب. أين مباحث هذا الدهر. ألم يجهّل الله حكمة هذا العالم؟** " أعوذ بالله !

" وأنا لما أتيت إليكم أيها الاخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله؛ لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً " الإصحاح الثاني (١ ــ ٢) .

وهكذا يظهر لنا بوضوح أن الخلاف كان يدور حول مسألة الصلب، وقد كان من الأفكار المختلف حولها بين بولس وبطرس وأبلوس، ولكن بولس يحترم أبلوس، لأنه هو وأبلوس فكر واحد، هما خادمان آمنتم بواسطتهما، بينما بطرس لا ينال شرف الخدمة (**فمن هو بولس ومن هو**

أبلوس ؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الرب لكل واحد، أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي، إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي، والغارس والساقي هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه) ٣: ٥ ــ ٨ .

فالغارس والساقي واحد، أما راعي الخراف اليهودية فلم يزرع و لم يسق شيئاً (**فهذا أيها الأخوة حولته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر، لأنه من يميزك، وأي شيء لك لم تأخذه، وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ**)(٤: ٦ -٧).

فبطرس لم يسق و لم يزرع ولا دور له في تأسيس المسيحية ولا في نشرها، ولكن الذي قام بصناعة المسيحية ونشرها يحدد له الدور الذي يمكن أن يلعبه، يجوز أن يختلف بولس مع بطرس في مشاكل مثل الختان وعمومية الدعوة ولكن من ناحية أخرى يمكنه استغلال اسم بطرس في تثبيت فكرة لا يقول بها بطرس، يقول بولس: " فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخ، أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا ". (١٥: ٣ ــ٨) والمفروض أن يقول: إنه ظهر لتسعة؛ لأن بطرس معدوداً من الاثني عشر،

وكذلك يعقوب، ويهوذا مات، وإذ يقول إنه ظهر لصفا ثم للإثني عشر، فكأنه يقول إن (**صفا**) ليس من الاثني عشر، إنه لا يفكر إلا في استغلال اسم بطرس ليبرهن على قيامة المسيح من الأموات، ولماذا لا يستغل أبلوس لهذا الغرض ؟ إنه يبحث عن الأسماء التي كانت لها صلة بالمسيح لينسب إليها ما لم يستطع أن يواجهها به، فما استطاع أن يواجه بطرس هذه الأفكار، ولهذا خرج من أورشليم سريعاً وعلل ذلك برؤية رآها.

❁❁❁

كورنثوس الثانية :

وهي من بولس ومن تيموثاوس، والهدف منها محاربة ما يروج من أفكار في أنحاء كثيرة مضادة للخلاص، ولهذا يطلب بولس من إخوانه في كورنثوس أن لا يتجاهلوا الشدائد التي ألمت به وبأتباعه في أسيا، ولا يعرف المسيحيون اليوم عن تلك الشدائد شيئاً، وربما كانت تلك وسيلة لاستعطاف أهل كورنثوس، أو هي السبب الذي جعل بولس يغير خطة سفره إلى كورنثوس، فهو يريد تفادي المواجهة، وحسب قوله هنا (**لا يريد السيطرة على إيمان أهل كورنثوس**) (١: ٢٣) وحسبما قال في رومية لا يريد أن يبني على أساس لغيره، ولهذا يعود فيشرح لهم المرة بعد المرة مذهبه في الخلاص، وفي كل مرة يضيف ما شاء من تشبيهات تقرب إلى عقول هؤلاء الوثنين فكرة موت (الله) من أجل الأمم الغارقة في الجهل والوثنية (**فنحن لا نعرف اليوم المسيح حسب الجسد**) (٥: ١٦ ـــ ٢١) وكأنه كان يعرفه قبل ذلك .

ويصدق الناس عادة من يقول لهم (**صدقوني**) ولهذا يقول بولس لأهل كورنثوس (**يحسبنا الناس كاذبين ونحن صادقون**)[1] وحتى لا يتغير موقف المصدقين فإنه يدعوهم إلى عدم الاختلاط بالمكذبين، وبهذا يضمن بقاء فكرة الصلب ثابتة في عقولهم، ويحرص بولس على تحويل نظر أصحابه من البحث والنقاش حول الفكرة إلى العمل على نشرها ومن ثم يدعوهم إلى جمع التبرعات المالية حتى يتحول الفقراء من أتباعه إلى أغنياء يغرون بغناهم ضعفاء الثقافة والفهم وعديمي المال، ومن ثم يفتخر بأمانته في توزيع المال الكثير والتصرف فيه (**ونحن حريصون على أن لا يلومنا أحد على الطريقة التي نتولى بها أمر هذه الهبة الكبيرة من المال**) (٨: ٢٠) فيحقق بالمال ما عجز عن تحقيقه بالمنطق والبرهان .

ويشير بولس إلى جوهر الخلاف، إنه ليس مسألة الختان ودعوة الأمم، وإنما هناك من يبشر بيسوع آخر غير المصلوب، وعن من وصفهم بالرسل الكذابين الذين يبشرون بيسوع مختلف، يقول بولس (**فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحا آخر لم تأخذوه أو إنجيلا آخر لم تقبلوه فحسنا كنتم تحتملون .. لأني أحسب أني لم أنقص شيئا عن فائقي الرسل. وان كنت عاميا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين الجميع**) إلى أن يقول: (**لان مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل**

---

(١) حسب الترجمة المشتركة (٦ : ٨) .

المسيح. ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدامه أيضا يغيّرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم)[1] .

فهؤلاء الذين يواجههم بولس يدعون أنهم رسل المسيح، فهم حسب وصفه ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ومما يدل على أن بولس يتحدث هنا عن الحورايين أنه يقول بعد ذلك (**أهم عبرانيون فأنا أيضا. أهم إسرائيليون فأنا أيضا. أهم نسل إبراهيم فأنا أيضـــا**). وإذاً فهؤلاء ليسوا من الأمم. واليهود لا يبشرون بالمسيح، فلم يبق غير الرسل والتلاميذ.

۞۞۞

رسالة غلاطية :

وهكذا كلما انتقلنا من رسالة إلى أخرى نلمس روح العداء التي تغلف علاقة بولس ببطرس، فالرسالة إلى أهل غلاطية كتبها بولس، وغلاطيـــة هذه بلدة في أسيا الصغرى (**تركيا حالياً**) وتعتبر هذه الرسالة مـــن أهـــم رسائل بولس، فهي تحتوى على خلاصة ما كان يُعلِّم به، ويطلق الكثيرون عليها (**موجز الرسالة إلى رومية**) فمن المقارنة بين الرسالتين يتبين لنا أنهما متشابهتان في الهدف والمحتوى. فكلتاهما تبرزان تعليم بولس حول التبريـــر

---

(١) كورنثوس الثانية (١١: ١٣ ــ ١٤) وقد جاءت نهاية بولس حسب عمله .

بالإيمان[1] والأناجيل، إذ أن بولس لم يظهر ليبشر بإنجيل الناموس (**الشريعة**) وإنما بإنجيل المحبة. ولهذا كانت رسالة غلاطية التي تعبر عن هذا المعنى موضع تقدير واحترام من رجال الكنيسة على مدى القرون، وقد وجد فيها رجال الإصلاح إعلاناً للحرية المسيحية وإحياء (**للحق الكتابي**) فكانت أثيرة لدى مارتن لوثر إذ وجد فيها تقوية لإيمانه وحياته، وسلاحاً لا يُفلّ لدعوته الإصلاحية. وقد حاضر عنها كثيراً، كما كتب شرحاً لها يُعد من أهم كتبه التي كان لها أقوى الأثر في إثبات أبرز أركان حركة الإصلاح، وهو التبرير بالإيمان .

ويقول دكتور وليم رمزي العالم الإنجليزي الشهير: " إن رسالة غلاطية رسالة فريدة وعجيبة تضم في ثنايا إصحاحاتها الستة القصيرة خلاصة الإنجيل المحرِّر بصورة قد لا يضارعها سفر آخر " .

ويقول فارار (Farrar) : " **إن ما تضمه هذه الصفحات القليلة، قد أحدث من الأثر ما ترددت أصداؤه وستظل تتردد إلى الأبد، إنها (العهد الأعظم) للتحرير الروحي** ".

وقال عالم آخر: " **إن رسالة غلاطية هي الحجارة الملساء التي تناولها رجال الإصلاح من الوادي (كما فعل داود) وضربوا بها الجبار البابوي في العصور الوسطى، فقد كانت حجر الزاوية وشعار المعركة للإصلاح البروتستانتي** ".

---

(١) وهو مذهب في الخلاص يشبهه مذهب الذين يقولون: " لا تنفع مع الكفر طاعة كما لا يضر مع الإيمان معصية " .

ويقول دكتور مريل تني (Merril Tenney): " **قليل من الكتب كان له من التأثير القوي في التاريخ البشرى، ما يضارع ما لهذه الرسالة الصغيرة، إذ كان من الممكن أن تظل المسيحية مذهباً آخر من المذاهب اليهودية، وأن يظل العالم الغربي في وثنيته، لو لم تكتب الرسالة إلى غلاطية؛ لأن الرسالة إلى غلاطية تحوى بذور الحرية المسيحية التي فصلت بين المسيحية واليهودية[1] ودفعت بالكرازة بالإنجيل إلى هذه الآماد البعيدة، لقد كانت حجر الزاوية للإصلاح البروتستانتي، فقد كان تعليمها عن الخلاص بالنعمة وحدها، هو الموضوع البارز في كرازة رجال الإصلاح** "[2].

وإذا كان المجال لا يتسع لتحليل الرسالة، فلا أقل من أن نشير إلى ما تعرض له كاتبها من دفاع عن نفسه وعن إنجيله الصحيح. مما حدا بعلماء المسيحية أن يكيلوا المدح على الرسالة وكاتبها، بينما هي في نظرنا تعبر عن تضارب في الأفكار والمعتقدات، وفيها يقر بولس بأنه قد قاوم أمير رسل المسيح في إنطاكية، وأنه لم يرض بأفكاره لأن بطرس — في نظره — كان خاطئاً ومتردداً في تعاليمه بل لقد وصل الأمر إلى حد وصف

---

(١) أو بالأحرى بين بولس رسول الأمم وبطرس رسول الختان كما جاء وصفه في هذه الرسالة.

(٢) دائرة المعارف الكتابية وليم وهبة بباوي وآخرون صدرت عن دار الثقافة (مادة غلاطية).

بطرس وأتباعه بالرياء: (ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً[١]؛ لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان. وراءى معه باقي اليهود أيضا حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا.

نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة. إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنّا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما. فان كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح نوجد نحن أنفسنا أيضا خطاة أفالمسيح خادم للخطية ؟ حاشا. فإني إن كنت أبني أيضا هذا الذي قد هدمته فإني أظهر نفسي متعديا. لأني مت بالناموس للناموس لاحيا للّه. مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ[٢] فما أحياه

---

(١) قاوم فعل ماض، والتاء للفاعل وهو المتحدث بولس، والهاء ضمير في محل نصب مفعول يعود على بطرس ومواجهة يعني وجهاً لوجه، وهذا تصريح من بولس بأنه التقى مع بطرس وجهاً لوجه. لأنه كان ملوماً أي مذنباً. هذا هو رأي بولس في بطرس، ولكن لوقا سوف يعمل على طبخ هذا الخلاف ليطعم به المساكين، ومع ذلك لا يزالون في حاجة إلى مهضمات صناعية لبلعه.

(٢) يلجأ بولس في المواجهة إلى إطلاق العبارات غير المفهومة، والكلام إذا تعذر فهمه تعذر الرد عليه .

الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. لست أبطل نعمة الله؛ لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذًا مات بلا سبب)[1] .

مرة أخرى أذكر بأن هذا كلام بولس عن أمير الرسل، ومن خلال هذا الكلام نجد صفات بطرس على النحر التالي :

- **مذنب وملوم .**
- **خائف من أهل الختان.**
- **مراء ومعه برنابا.**
- **لا يعرف حقيقة المسيح ولا حقيقة رسالته.**

ولهذا يبادر بولس بعد التحيات العاجلة إلى توبيخ أهل غلاطية لارتدائهم عن إنجيل النعمة وقبولهم لإنجيل آخر (إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح .

ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما. كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان أحد يبشركم في غير ما قبلتم فليكن أناثيما. أفأستعطف الآن الناس أم الله. أم أطلب أن أرضي الناس. فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح. وأعرّفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان؛ لأني لم أقبله من

---

(١) غلاطية (٢: ١١ — ٢١) .

عند إنسان ولا علّمته بل بإعلان يسوع المسيح. فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي. ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته. إن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحماً ودماً. ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضا إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما. ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب. والذي أكتب به إليكم هو ذا قدّام الله أني لست أكذب فيه. وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية.

ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح. غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلا يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلا يتلفه[1].

يتعجب بولس من ارتداد أتباعه سريعاً عن الذي دعاهم إليه، ويضع لهم قاعدة يتحتم عليهم السير بموجبها، فلو بشرهم أحد أو حتى ملاك من السماء بغير ما بشرهم به بولس من قبل فهو آثم، فالإنجيل الذي بشرهم به بولس ليس هو بحسب إنسان. لأنه لم يقبله من عند إنسان، لا بطرس ولا غيره، بل بإعلان يسوع المسيح المباشر له.

(١) غلاطية (١ : ٦ ــ ٢٤) .

ولهذا لم يبال بتلاميذ المسيح في أورشليم، بل تركهم وذهب إلى العربية، ولا زال المسيحيون على العهد الذي قطعوه مع بولس، فلو جاءهم ملك من السماء ما تخلوا عن ما جاءهم به بولس، ولو قامت الدلائل والبراهين القاطعة على نقض مذهبهم ما تخلوا عن ألوهية المسيح.

وفي سبيل هذا يصرف بولس نظرهم إلى سيرته في اليهودية فقد كان مضطهداً لكنيسة الله. وهذه نقطة تحسب عليه وهو يحسبها له، وفي الديانة اليهودية كان يتقدم على كثيرين من أترابه، ولكن الله أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته. ليبشر بابنه بين الأمم .

ثم يتحدث عن صعوده إلى أورشليم، ويبدو أن هذه الرحلة قد اخترعت للإجابة على أسئلة أهل غلاطية أنفسهم، فهو مضطر لمواجهة ما لا بد من مواجهته، ومن ثم يعترف بأنه لم يصعد إلى أورشليم لملاقاة الرسل بل انطلق إلى العربية، ومن هم هؤلاء الرسل حتى يذهب بولس لزيارتهم. وقد يمن عليهم بزيارة على الورق، فقد صعد إلى أورشليم **(ليتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما. ولكنه لم ير غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب)** وإذ يشعر بولس بأن القوم لا يصدقون بذهابه إلى أورشليم يحدثهم بما يشبه القسم (**والذي أكتب به إليكم هو ذا قدّام الله أني لست أكذب فيه**).

ولم يكن بولس معروفا بالوجه لدى الكنائس التي في اليهودية، فكيف زارهم ومكث عند بطرس خمس عشرة يوماً وكيف وقعت المواجهة بينه وبين بطرس في إنطاكية تلك المواجهة التي أتهم فيها بطرس بالرياء.

وكيف يقول بولس إنه لا يكذب وهو يكذب بيقين، فيعقوب أخو الرب لا وجود له؛ لأن المسيح لم يكن له اخوة فهو ابن مريم ولم تتزوج مريم أصلاً ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1] .

فلو افترضنا أن مريم ارتبطت بيوسف رباط زوج بزوجه فإن هذا يبطل تلك الآية. ولئن كان هذا يعقوب وهذا بطرس يعرفهما بولس فأين بقية الحواريين، هل رقدوا مع من رقدوا ؟ ألا يشير هذا إلى خبرة بولس في فحص الأرض جيداً قبل أن يحرث فيها؟ وحرصه على أن لا يخبر بأنه التقى مع أحد من الحواريين إلا إذا علم استحالة الكشف عن غير ما يخبر به، مثلما أخبرهم عن المئات الذين شاهدوا المسيح بعد الصلب، وهو على العموم يعترف بأنه لم يكن معروفاً بالوجه لهؤلاء الذين يزعم أنهم شاهدوه.

❁❁❁

إنجيل الغرلة وإنجيل الختان :

يعترف بولس بوجود إنجيلين أحدهما يبشر به وهو إنجيل النعمة والآخر إنجيل محرف لا يقر الخلاص بالصلب، والإنجيل الذي يبشر به بولس هو الرسائل التي تشرح نهاية المسيح، والإنجيل الآخر ينقل أقوال ومعجزات المسيح، وبعد فترة وجيزة ظهر من يخلط الإنجيلين، ويضيف، فدونت الأناجيل الأربعة تجمع بين إنجيل النعمة وإنجيل الختان.

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية [[٥٠]] .

يقول بولس: " ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا. لكن لم يضطر ولا تيطس الذي كان معي وهو يوناني أن يختتن. ولكن بسبب الأخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا. الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل. أما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي. الله لا يأخذ بوجه إنسان. فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليّ بشيء. بل بالعكس إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان. فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضا للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان. غير أن نذكر الفقراء. وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله " .

وعندما يشرح اللاهوتيون هذا التناقض يكثر قولهم (ولعل ..) (وربما ..) وتفسير الأمر لا يستلزم عبارات التخمين، إنه يتوقف على معرفة المقصودين بعبارة (**الذين هم من الختان**) ومع أن لوقا يستخدم نفس العبارة (**الذين من أهل الختان**) في سفر الأعمال[1] عن المسيحيين من

---

(١) أعمال الرسل (١٠: ٤٥، ١١: ٢).

اليهود (**الحواريين والتلاميذ**) إلا أنه لا يحاول إبراز الخلاف بين المذهبين، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، ومن ثم لا يرى أئمة الكنائس خلافاً بين التيارين المتدافعين.

وإنك لتجد الفرقاء في تلك المواجهة:

- بطرس والنصارى الذين كانوا من أهل الختان في إنطاكية.
- بولس ومن تبعه من الأمم.

وبينهما المتفرجون من أهل إنطاكية، فقد ظنوا أن هذا الخلاف لا يعنيهم لو لم يطالبوا بالختان، ولهذا لعب بولس على هذا الوتر المؤلم جسدياً ونفسياً للأمم، وماذا يبغي هؤلاء بختانكم ؟

إنهم (**يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم**) (غل ٦: ١٣) وكأن تعاليم المسيح انحصرت في مسألة الختان، إنه يريد أن ينفرهم ويخوفهم بسماع مثل هذه الأمور التي ما عادوا يقدرون على ممارستها، وعندما ظهر الإسلام نشر الختان في العالم دون أن تحدث مثل تلك الفوضى. التي رأى بولس أن المصلحة هي في أن تتحول أقل القضايا إلى أعظمها، فيتواري خلفها خلافات حول الصلب وطبيعة المسيح وأمور أخرى.



رسالة أفسس :

وهي رسالة قصيرة لا تشرح الكثير عن عقيدة بولس في المسيح، وتهتم أكثر بعلاقة الرجل بالمرأة وتوجيهات عامة، ويبدو بعد قراءة هذه الرسالة

أنه لم تكن ثمة مشاكل من نوع تلك التي كانت لــدى أهــل غلاطيــة وكورنثوس، وإنما كانت أفسس منطقة هادئة ليس بها تضارب في الأفكار والمعتقدات، ولهذا سرعان ما تنتهي هذه التعليمات بإرســال التحيــات الختامية

❁❁❁

◻ الرسالة إلى فيلبي :

وهي من بولس وتيموثاوس اللذين أسميا نفسيهما بعبــدي المســيح، ويظهر من مقدمتها أنها كتبت وبولس في السجن، وسبب هذا الســجن غير واضح هنا، وتستطيع التوصل إلى معرفته عندما تقف على تقســمه للذين يبشرون بالمسيح إلى صنفين :

- **بعضهم يبشر بالمسيح عن حسد ومنافسة .**
- **وبعضهم يبشر به عن نية صالحة (١٠: ١٥).**

فالصنف الأول يشكل صداعاً مستمراً لبولس، إنه وراءه في كل مكان، يتتبع خطواته ويكشف عن عوراته، وإذ لا يــذكر لنــا بــولس أسمــاء الحاسدين، المحبين للمنافسة، فإنه لا يذكر لنا ما يقولونه عــن المســيح، ويبدو من حديثه عنهم أنهم ربما كانوا وراء سجنه، ومن ثم يحذر أهــل فليبي منهم، وينعتهم بالكلاب، ثم يظهر لنا من حديثه أنهم دعاة الختــان: **(انظروا الكلاب انظروا فعلة الشر انظروا القَطْعَ. لأننا نحــنُ الختــانُ الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يســوع ولا نتكــل علــى الجسد).** (٣ : ٢ ــ ٣) .

□ **رسالة كولوسي :**

ويصادفنا في هذه الرسالة أمر غريب، فهنا يذكر اسم مرقص ابن عم برنابا ويشوع المدعو يسطس (**كولوسي ٤: ١١**) وهؤلاء الثلاثة هم من اليهود وما مر وما سوف يأتي من أتباع بولس ليسوا من اليهود.

وقد تجد أنبياء ورسل من أورشليم وما هم من أورشليم مثل النبي أغابوس، إنك لا تجده في إنجيل من الأناجيل الأربعة ومع ذلك يحكي سفر الأعمال أنه التقى مع بولس في إنطاكية، فقد (**قام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة. الذي صار أيضا في أيام كلوديوس قيصر**)[1] .

ويظهر أمامنا بوضوح من خلال كلام بولس عن الختان أنه كانت هناك الكثير من المضايقات وإن لم تكن بالدرجة التي شهدتها غلاطية، ولهذا يختصر بولس في شرح عقيدته ليصل سريعاً إلى سلام الختام .

---

(١) ١١: ٢٨ .

سفـر الأعمـال ومحـاولة عـلاج التصدعـات :

بعدما مر بك من حديث حول علاقة بطرس ببولس، وما كان يسودها من توتر وتنابذ بالألقاب، يأتي لوقا ليحاول دغدغة هذا الخــلاف حــتى يظهر الاثنان وكأنهما يمثلان اتجاهاً فكرياً واحداً، فيكتب سفر الأعمال، والمتأمل لأسباب كتابة هذا السفر يجدها ترجع إلى أمــرين :

الأول: الإجابة على السؤال المتعلق بعودة المسيح :

وفي الإجابة على هذا السؤال يحاول لوقا (أن يتفهم المشكلة التي سببتها للكنيسة حقيقة واقعية هي أن عودة المسيح لم تتم حتى ذلك الحين رغــم أن الكنيسة كانت تتوقع حدوثها في المستقبل القريب وقد أُدُّعيَ بأن لوقا قام بالكتابة لكي ينشئ نظرة لاهوتية جديدة يعتبر بموجبها أن مجيء الروح وإرسالية الكنيسة قد ملأتا الفجوة التي سببها تأخر عودة المسيح)[1] .

ويؤكد هذا الإدعاء ما جاء في مطلع السفر: (**وقالا أيهــا الرجــال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إن يسوع هذا الــذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى الســماء، حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون الــذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت**)[2] .

---

(١) أعمال الرسل هوارد مارشال نقله إلى العربية نجيب جرجور صـ١٨ ط الثقافة .

(٢) أعمال (١: ١١ ــ ١٢) .

على أن الأناجيل تذكر أنه التقى بهم في الجليل وليس في أورشليم. وفي إنجيل يوحنا ينفخ المسيح في وجوه تلاميذه ويقول لهم **(اقبلوا الروح القدس)** ويظهر أن بطرس لم يستفد من تلك النفخة، فقد تأخر امتلاؤه بالروح القدس إلى يوم الخمسين **(حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل)** أعمال الرسل ٤ : ٨ .

❁ الثاني: تمويه الخلاف بين بطرس وبولس :

وقد توجد روايات كثيرة تحقق هذه الهدف، وتوجد رواية قصيرة في اللاتينية عن نشاطات بطرس وبولس في رومية حيث يقيمان في بيت أحد أقرباء بيلاطس، وعن نزاعهم مع سيمون الساحر، وتذكر استشهادهما بإيجاز شديد. ويقول ليبسيوس أنها ليست مترجمة عن اليونانية ولكنها كتبت باللاتينية نقلاً عن مراجع لاتينية. وتختلف عن غيرها من الوثائق الأخرى، فعلى سبيل المثال تذكر أن سيمون لم يمت على التو بعد سقوطه من الهواء بل لجا للاستجمام في " آريسيا " وإن الذي حكم على الرسولين بالموت، ليس هو أغريباس بل أكليمندس[1] .

ويهمنا من تحليل تلك الفترة أن نعرف أنها طبقاً لاعتقاد الكثيرين كانت مشحونة بالأحداث، ولا يمكن لكاتب واحد أن يستوعب كافة الاتجاهات، ولهذا يأتي سفر الأعمال ليؤكد على اتجاه واحد من بين

---

(١) دائرة المعارف الكتابية مادة بطرس .

الاتجاهات المتصارعة، وتأتي الكنيسة التي اتخذت ضراراً وتفريقاً بين أتباع المسيح لتأخذ بهذا الاتجاه الذي نمى في حضن العزيز ثاوفليس.

(وفي القرن التاسع عشر اعتبرت المدرسة المعروفة باسم مدرسة توبينخن أعمال الرسل كمحاولة متأخرة لتمويه الخلاف بين بطرس وبولس الذي ساد السنوات الأولى من حياة الكنيسة، فأعمال الرسل عرضت صورة للتسوية اللطيفة التي صقلت حقائق التراع الخشنة)[1] فبطرس أمير الرسل أصبح بلا إمارة، وبولس عدو الرسل أصبح هو الأمير وهو الإمارة، ولئن كان بولس ــ تبعاً لهذه التسوية ــ سوف يحل محل بطرس فإن الروح القدس سوف يتخذ مكانة المسيح، ولسوف يعقد مجمع مقدس لجعله إلهاً مثل المسيح الذي كان مجمع نقيه قد سبق واعتبره إلهاً بدءاً من عام (٣٢٥م) .

على أنه لا يمكن أن ينكر أنه حيثما توجه بولس ورفاقه كانت تقوم اضطرابات، ولو كانت حركته بالبراءة التي أكدها لوقا فكيف يمكن تعليل القلق الذي كان يصادفهما في كل مكان، في سفر الأعمال نجد أن اليهود كانوا أشرس أعداء الفكر الجديد في كل مكان زاره بولس تقريباً، في أورشليم ودمشق وإنطاكية، ودائماً تعزى التفسيرات إلى حقد اليهود وربما كان هذا صحيحاً من حيث إن اليهود ما رضوا بالمسيح رسولاً

(١) تفسير أعمال الرسل بقلم هوارد مارشال ترجمة نجيب جرجور صـ ٣٠ ط / دار الثقافة .

وبولس يفرضه عليهم إلهاً. ولكن محاولة سفر الأعمال التقليل من هذه الاضطرابات، وحرص كاتبه على بيان أنه كان شاهد عيان لأحداث القسم الثاني منه، جعل كثيرين من قرائه لا يميزون بين الفكر القديم والجديد.

ويبدأ القسم الثاني من الإصحاح الخامس عشر، وكثير مما في هذا القسم يدل على أن لوقا هو المصدر الأساسي، ففي هذا القسم قد يصادفنا عبارات من نحو: (**أما هم فقد فعلوا** ..) (**لقد فعلنا كذا**) والأمور المهمة التي يحكيها على هذا النحو إنما تهدف إلى بناء مسيحية جديدة، وهدم القديمة .

إن معايير لوقا في الكتابة تتوقف على أهدافه من الكتابة، ومع أنه يمزج في كتابته بين المواضيع المختلفة، فقد كان له غرضه الدفاعي الذي يعتمد كثيراً على محاكمات بولس واحتجاجاته. ولئن كان يركز في القسم الأول على شخصية بطرس، ويعطينا تفصيلات عن هذه الشخصية، إلا أن هذه الشخصية سوف تختفي لتفسح المجال أما شخصية بولس .. والطريقة التي تختفي بها هذه والتي تظهر بها تلك تؤكد أننا في حاجة إلى إعادة الحكم على هذا السفر، فرغم أن لوقا كان دقيقاً ف ي القسم الثاني، و لم يسجل خوارق العادات بكثرة، بل كل السفر يمضي على السنن الطبيعية إلا أن القسم الأول يختلف عن كل ذلك، وقد (**كتب الأستاذ توري**[1]

---

(١) أحد العلماء في اللغات السامية في جامعة ييل.

مؤلفاً قصيراً ليبرهن أن كل السفر إلى (١٥: ٣٤) ترجم من وثيقة واحدة آرامية، ومع أنه بالغ جداً في دعواه مع ذلك كدَّس براهين لها وزنها عن الأصل الآرامي لكثير من هذه الإصحاحات خصوصاً في التقارير عن الكرازة الرسولية)[1] .

وخلافاً للكتاب والمؤرخين للعهد الجديد الآخرين ينظم لوقا تاريخه في إطار الحوادث الإمبراطورية المعاصرة، فهو الكاتب الوحيد في العهد الجديد الذي يذكر اسم الإمبراطور الروماني، وصفحاته تفيض بالإشارات إلى الحكام الإقليميين والملوك الموالين. فالفضل يرجع إليه في التحديد التقريبي لتاريخ تدوين بعض أسفار العهد الجديد.

---

(٢) تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين أعمال الرسل بقلم (بروس) جـ ٥ صـ ٣٠٤ منشورات النفير طبعة ثانية ١٩٩٠.

المتاجرة باسم بطرس :

وحياة بطرس وشخصيته في سفر الأعمال لا تشغل المكانة المناسبة، إذ تختفي هذه الشخصية فجأة لتحل محلها شخصية بولس، ولا يعرف المكان الذي مات فيه بطرس ولا سنة وفاته، وكل هذا بسبب أن الكنيسة التي ظهرت بظهور بولس أصبحت معادية تماماً للكنيسة القديمة التي ضمت بطرس وحواري المسيح، وتلمس هذا في سفر الأعمال .

وكذلك فإن القليل عن حياة بطرس قبل إيمانه بالمسيح غير معروف، وإن كان لا يعنينا ذلك إلا أننا نجد أنفسنا في حاجة إلى معرفة خلفية بطرس الثقافية، لأننا رأينا رسائل وأناجيل منسوبة إليه، والآن نجد خطب منسوبة إليه في سفر الأعمال الذي دونه تلميذ بولس.

وفي الإصحاح الثاني من سفر الأعمال[1] نجد أن بطرس كان هو واعظ يوم الخمسين، وهو اليوم الخمسون بعد مرور عيد الفصح اليهودي والذي يظن المسيحيون صلب المسيح فيه، (**فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: .. أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون.**

---

(١) ونجد أن لوقا لم يكن أحد الحاضرين، وعلى ذلك فالموعظة التي نقلها مقطوعة السند، ونحن المسلمين نحكم على مثل تلك الرواية بعدم الصحة، وهذا الحكم لا تستطيع أن تستثني منه سفراً واحداً من أسفار الكتاب المقدس .

هذا أخذتموه مسلّما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه؛ لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين إنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سرّ قلبي وتهلل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرفتني سبل الحياة وستملأني سرورا مع وجهك).

وقول داود هو مقتبس من المزمور السادس عشر، ويقول شراح الكتاب المقدس إن الاقتباس حسب الترجمة السبعينية، وعلى هذا فبطرس اليهودي الصياد يعرف ترجمة المزامير اليونانية، وهو ما يستبعده كثيرون من العلماء، والكثير منهم يبنون على المستبعد أحكاماً قاطعة بأن بطرس فتح باب الملكوت في ذلك الوقت، ودخل في المسيحية **(ثلاثة آلاف)** نفس، فالمسيحية التي لم يزد عدد أتباعها خلال ثلاث سنوات عن ٧٢ فرداً فجأة يقفز عددها بالآلاف ويظل باب الملكوت مغلقاً حتى يفتح على مصراعيه على يد بطرس، لكن على فكر جديد، فالمسيح قام من الأموات، والمسيح هو ابن داود، وينسى من يظن النصارى أنه بطرس أن يستدل على القضية الأخيرة بما جاء في لوقا من شجرة النسب .

وينسى من يظن النصارى أنه بطرس أن الإيمان بالختان لا يتفق مع القول بصلب المسيح، ومن هنا نلاحظ أن بولس يحكي الخلاف بينه وبين

بطرس في مسألة الختان ودعوة الأمم ويترك مسألة الصلب ليأت تلميــــذه لوقا فيزور معرفة بطرس باليونانية.

مجمع أورشليم ومشكلة الختان :

ما كان بطرس ليرأس مجمع أورشليم ويظهر بهذه الصورة التي جاءت في سفر الأعمال، فهو هنا رئيس بلا صلاحيات، ويبدو أن هذا السفر قد كتب بعد عدد من الرسائل التي كتبها بولس، وخاصة رسالة غلاطية، فهو يحاول أن يدغدغ الخلاف بين بولس وبطرس، ومن ثم يجعلهما نسيج عقدي واحد، والذي يقرأ الرسائل لا يشك في وجود خلافات عميقة بين بطرس وبولس لدرجة أن بولس أكد سوء العلاقة من خلال رسالة غلاطية، ولكن لوقا في سفر الأعمال يحاول أن يضعهما معاً في سلة واحدة.

كان المفترض أن يدور الحوار حول مسألة الصلب والقيامة، ولكنه في هذا المجمع والذي تعتبره الكنيسة أول مجمع مقدس دار الحديث حول مسألة أقل شأناً، فالأمم غير مكلفين بالإيمان أصلاً برسالة المسيح ﷺ، ومع ذلك نرى المجمع يتجاهل مسألة وجود إنجيلين في الكنيسة ليحاول أن ينشغل بكون الذكور مختونين أمو غير مختوني.

ومن جهة الأثر العملي لكرازة بولس، على شهادة المسيحيين في أورشليم، وخشية أن يستخدم المؤمنون من الأمم حريتهم لزعزعة المؤمنين من اليهود، رأى أن يُطلب من المؤمنون من الأمم أ ن يحفظوا أنفسهم من:

١ــ نجاسات الأصنام وكل ما يتصل بها.

٢ــ الزنا بجميع صوره.

٣ــ الأكل من الحيوانات التي قتلت خنقاً.

٤ــ أكل الدم (أ ع ١٥: ٢٠ ــ ٢٩).

وقد وافقت الكنيسة على رأي يعقوب، وأرسلت مع بولس وبرنابا يهوذا الملقب برسابا وسيلا لشرح معنى القرار للمؤمنين في إنطاكية.

وإذا تأملنا موقف هؤلاء الأربعة فلا بد أن ندرك أن القرار الذي وصلوا إليه في أورشليم، كان قراراً يجب أن ينهي الخلافات بين الكنائس، ولكن الانقسام استمر، واستمر بولس يقاوم بطرس، فإرسال رسولين ليؤكدا على موقف الكنيسة من الختان كان خبراً تاريخياً، قرأته الأجيال اللاحقة وإن لم يشاهده المعاصرون، ولهذا لم يقطع أسباب الخلاف، فلم يكن القرار متمشياً مع واقع الرسل والحواريين.

والإنجيل الصحيح في نظر بولس ليس إنجيل الختان الذي كان يبشر به بطرس والحواريون، وإنما الإنجيل الحقيقي هو إنجيل الأمم، وتستطيع أن تقول أيضاً إنه ليس إنجيل مرقص ولا متى، وليس إنجيل لوقا ولا يوحنا، إنه ليس واحداً من تلك الأناجيل التي لم تكتب إلا بعد رحيل بولس، والتي سجلت أن المسيح ويوحنا المعمدان قد ختنا، فلوقا يتجاهل أو بالأحرى يجهل تعاليم أستاذه فيسجل ختان يوحنا **(وفي اليوم الثامن جاءوا ليختتنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا)**[1] .

---

(١) لوقا (١: ٥٩) .

بل ويسجل أيضاً ختان يسوع: (**ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن**)[١] .

فهل لم يعرف أم لم يعترف بولس بمعلومات تلميذه ؟ إنه لم يعرها اهتماماً يذكر، ولقد تصرف على أساس عدم وجودها، وإذ لم يتلق تعليمه من الحواريين و لم يتعلم على أيديهم فقد أعلن أنه تلقى إنجيله من المسيح مباشرة (**وأعرّفكم أيها الاخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته بل بإعلان يسوع المسيح**)[٢] .

فبولس منقطع الصلة عن الحواريين، بل هو يرد هنا على أناس نما إلى علمهم آراء أهل الختان، فقد احتجوا عليه بأن أية دعوة صحيحة يجب أن تنطلق من أورشليم، ولذلك فإن تعليم بولس غير صحيح لأنه لا يطابق تعليم أورشليم. ويجيب بولس على هذا بوصف زياراته لأورشليم، وما دار بينه وبين بطرس، وسواء التقى بولس ببطرس وتحاور معه أم لم يلتق، فإن هذه رسالة سوف تطوى ويحملها أحد المساكين لتستقر في مترل أحد سكان غلاطية، فيتعرفون على موقفه من التعاليم التي ينشرها الحواريون

---

(١) لوقا (٢: ٢١) .

(٢) ١: ١١ ــ ١٢ .

(٢) غلاطية (٢ : ٢١) .

دون إثارة الضجيج والجدال، وربما كان على أهل غلاطية أن يقارنوا بين الرسائل التي تصلهم متضاربة من وقت لآخر.

لقد رأي بولس إعطاء موضوع الختان حجماً يغطى به على خلافات أساسية من نحو الصلب والقيامة، واخترع الحجة التي تقول: إذا كان القبول أمام الله يمكن الحصول عليه بالختان وحفظ الشرائع اليهودية، فإن موت المسيح يكون قد وقع بلا سبب ولا جدوى منه[٢].

بيد أن الرسل كانوا يُصرون على أن المسيح لم يصلب، وبالتالي فإن عهد الختان الذي قطعه إبراهيم مع ربه لم ينته، وقد ختن المسيح ولو كان يعرف أن الصلب سينهي عهد الختان ما ختن، ويتحدث سفر الأعمال عن عهد الختان دون أن يشير إلى انقضائه (**وأعطاه عهد الختان وهكذا ولد اسحق وختنه في اليوم الثامن. واسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد رؤساء الآباء الاثني عشر**)[١].

ويرد بولس بأن عهد الله لإبراهيم كان سابقاً لناموس موسى (وإنما أقول هذا إن الناموس الذي صار بعد أربع مئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطّل الموعد. لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد. فلماذا الناموس قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له مرتبا بملائكة في يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد.

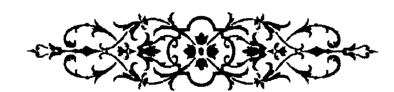
---

(١) أعمال الرسل (٧: ٨) .

ولكن الله واحد. فهل الناموس ضد مواعيد الله. حاشا. لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون (٣ :٧ ـــ ٢٢) .

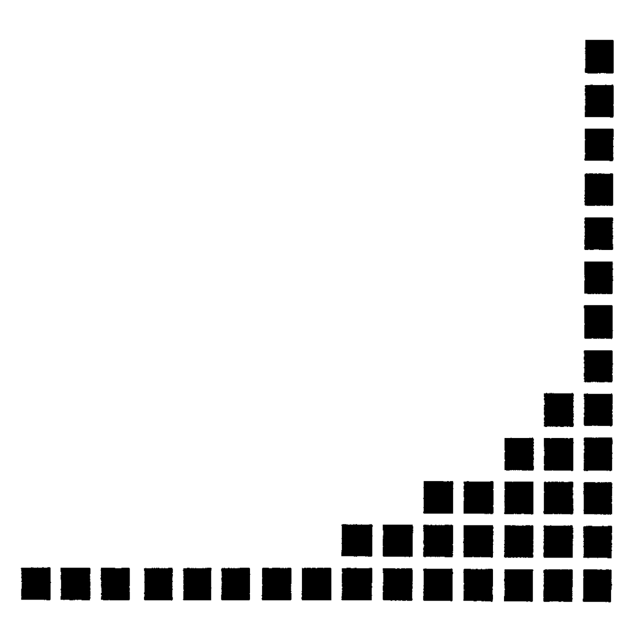
إن الناموس يوقع اللعنة على كل من يفشل في حفظ كافة دقائق الناموس، فالذين يتكلون على الناموس يعرضون أنفسهم لخطر هذه اللعنة، ولكن المسيح – بموته على الصليب – حمل اللعنة عوضاً عن المؤمنين به، وهكذا خلصهم من لعنة الناموس، فأصبح الواجب على شعبه الآن عدم العودة لوضع أنفسهم تحت الناموس واللعنة المترتبة عليه (٣: ١٠ - ١٤).

ولهذا يترك المسيحيون بطرس ليأخذوا بأقوال بولس. وكما ملأت شمس بطرس سماء وأرض فلسطين أتى اليوم الذي تغيب فيه تلك الشمس عن العالم، وبغيابها ينتشر ظلام الشرك بالله.



الفصل الرابع

خلفاء بطرس



الفصل الرابع

خلفاء بطرس

المسيحيون في بداية عهدهم كانوا يعيشون على شكل جماعات صغيرة، وعلى عكس رجال الدين يجد الباحثون الموقف قبل قسطنطين لا يشير إلى وجود أي لون لحكومة مركزية على الكنيسة، فلم يعرف العالم المسيحي لقب **(بابا)** حتى أنبتت مجموعة الكنائس المبعثرة في أنحاء العالم بذرة البابوية وثيوقراطيتها الشامخة فجعلت الكنيسة من التنظيم الإمبراطوري نموذجاً لتنظيمها الديني، وأصبحت منذ عهد قسطنطين هي الإمبراطورية في قالب كنسي.[١]

ونلاحظ أن لقب **(بابا)** أعطى أولاً في القرن الثالث لأحد أساقفة الإسكندرية وليس روما[٢] غير أن مجمع نيقيه ٣٢٥م قرر في القانون ٣٧ من قوانينه أن يكون البطارقة في جميع الدنيا أربعة عدد كتبة الأناجيل **(روما – الإسكندرية – أفسس– إنطاكية)** وأن يكون المقدم فيهم صاحب كرسي بطرس بروما، وعليه أصبح البابا الجالس على كرسي بطرس هو رئيس أساقفة العالم بأسره [٣]

---

(١)أوربا العصور الوسطى فشر جـ١ صـ١٠٥ ، ١٠٧ وأوربا العصور الوسطى عاشور جـ١ صـ٦٥.

(٢) نشأة الطوائف المسيحية صـ٥٧

(٣) دليل المصرين في اعتقاد كنيسة الأقباط المرقسيين الأب جرجس مقار ترجمة لويس قلادة صـ٤١ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٧٧

وهناك أمور قد ساعدت على ارتفاع شأن بابا روما، أعتقد أن منها ما يلي :

١- إن السلطة الكنسية في الإمبراطورية البيزنطية كانت موزعة بين بطارقة القسطنطينية وإنطاكية والإسكندرية، بينما تركزت هذه السلطة في الغرب في بابا روما[1].

٢- كان انتشار الإسلام في القرن السابع أحد الأسباب التي ساعدت على تثبيت سلطان البابوية، فبعد أن وقعت كراسي إنطاكية وأورشليم والإسكندرية تحت النفوذ الإسلامي، أصبح كرسي روما هو سيد العالم النصراني بأسره، ولـــم يعد ينافسه سوى بطريرك القسطنطينية، تلك المدينة التي لـــم تشرف بزيارة أحد من الرسل إليها.

ولكن علينا ألا ننسى أن الإسلام أيضاً كان أهم العوامل التي تسببت في هدم صرح البابوية فيما بعد، عندما تسرب إلى عقول رعاياها في الغرب.

٣- وقبل الإسلام كان سقوط الإمبراطورية في الغرب سنة ٤٧٦ م، قد جعل من البابوية القوة الوحيدة القائمة في الغرب، ومن ثم نظر النصارى إلى بابا روما على أنه الرئيس الأعلى، وخليفة بطرس ونائب المسيح على الأرض .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ صـ٧٢٤

٤- وقبل سقوط روما وضع القديس أوغسطين كتابه (**مدينة الله**) وفيه نظر إلى التاريخ كله على أنه عملية تطور لمبدأين متضادين، هما مدينة السماء، ومدينة الأرض [١] وينقسم تاريخ المدينتين إلى وقتين يفصل بينهما ظهور المسيح، فمن قايين إلى إبراهيم كانتا مختلطتين، ولما جاء إبراهيم أبو المؤمنين بدأتا تتميزان سياسياً: المدينة السماوية يمثلها بنو إسرائيل، والمدينة الأرضية تشمل باقي الإنسانية، حتى بلغت ذروتها في الإمبراطورية الرومانية، على أنه كانت تضمهما وحدة ما ناشئة من تقدمهما معاً نحو المسيح [٢]

وقد كان لهذا الكتاب أثره الكبير على الفكر السياسي في العصور الوسطى، فقد اعتبر المفكرون السياسيون العالم المسيحي بأكمله دولة واحدة يجلس على رأسها زعيمان هما البابا والإمبراطور، ليعبر الأول عن

---

(١)تكوين أوربا صـ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وتاريخ الفلسفة الغربية جـ٢ رسل صـ٨٣ وأوربا العصور الوسطى / فشر جـ١ صـ٢٤ وقد وضع أوغسطين هذا الكتاب بعد أن دخل البرابرة روما سنة ٤١٠ م واستولى على العالم القديم ذهول عميق، لأن الاعتقاد العام كان أن روما لا تقهر ، وقال الوثنيون إن الآلهة غضبوا على المدينة الكبرى وتخلوا عن نصرتها لتهاونها في الشعائر السلفية ، وانتشار المسيحية في أرجاء الإمبراطورية ، فأخذ أوغسطين يرد عليهم ، فاتسع أمامه مجال القول حتى انتهى إلى كتاب جامع فى فلسفة التاريخ وهو كتاب (مدينة الله) بدأه سنة ٤١٣ وفرغ منه سنة ٤٢٦ ، خصص المقالات العشر الأولى لنقد الوثنية ، معتقداتها وأخلاقها ومذاهبها الفلسفية ، والمقالات الإثنتى عشرة التالية للتاريخ العام ومغزاه.. انظر تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط يوسف كرم صـ ٢٧.

(٢) تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط صـ ٥٣.

السلطة الدينية، مدينة السماء، ويعبر الثاني عن السلطة الدنيوية مدينة الأرض، وكان يقال إن الله أعطى سيفين، سيف السلطة الزمنية للإمبراطور، وسيف السلطة الروحية للبابا ليحكما العالم معاً، ومن هنا أصبحت الدنيا في نظر الأوربيين في العصور الوسطى إذا خلت من إمبراطور يحكمها وبابا يهديها سواء السبيل فمصيرها لا محالة إلى خراب وفوضى عاجلة.

٥ – كذلك يرجع الفضل إلى جريجورى العظيم ٥٩٠ – ٦٠٤ م فيما وصلت إليه أسقفية روما من مكانة مرموقة في أخريات القرن السادس، فقد كان وأول بابا مترهب[1] وأعظم الناس فضلاً في نشر آراء أوغسطين حيث نادى بأن العالم بأثره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة، وله القدرة، لا يحده قانون، ولا يزعه وازع، يخلع المسيئين من الملوك، ويقطعهم من رحمة الكنيسة [2].

وفي عبارة موجزة يقول عنه سانت موس: **(تسلح بمفاتيح الحل والإبرام التي اختص بها بطرس الرسول في السماء والأرض، وكانت شخصيته فوق شخصية البشر)**[3] .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ صـ٩١٠

(٢) معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ صـ٩١٠ وتراث العصور الوسطى صـ٧٠

(٣) ميلاد العصور الوسطى صـ٢٢٣.

هذا في الوقت الذي كان فيه النبي محمد ﷺ يقول للناس في كل مكان يصل إليهم صوته: {..**إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلـــهكم إلـــه واحد ..**}.

٦- كذلك درج أهل المصالح من أعوان الكنيسة على أن يروجوا عدة نظريات تساند سلطان البابوية، ومن مبتدعاتهم تلك النظرية التي تحمل اسم (**هبة قسطنطين**) حيث ادعوا أن الإمبراطور قسطنطين ابتلى بمرض الجذام، ولم يشف منه إلا بصلوات وبركات البابا سلفستر الأول ٣١٤- ٣٣٥م فكافأه قسطنطين على نعمته وبركاته بإصدار قانون يبيح للبابا لبس التاج والصَوْلَجَان[1] تماماً كالأباطرة، وحتى لا تتأثر سلطة البابا بوجود شخص الإمبراطور في روما ، فقد تركها قسطنطين وابتنى لنفسه عاصمة جديدة في الشرق هي القسطنطينية.[2]

وبذلك أصبح البابا سلفستر الأول يوصف في المحاكم البابوية بمقتضى هذه القصة بأن له السلطة الزمنية والدينية الكاملتين على جميع أوربا الغربية. ومن ثم ادعى البابا بأن له الحق في ممارسة سلطات شبيهة بسلطات الإمبراطور، واتخذ لنفسه لقب (الحبر الأعظم) الذي كان

---

(١) الصولجان : الـــمحجن فارسي معرب ، وكذا كل كلمة فيها صاد وجيم لأنهما لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، والجمع الصوالجة / مختار الصحاح صـــ٣٦٧.

(٢) ميلاد العصور الوسطى صـــ٣٢٥ ، ٣٤٢ ومنشأ الفكر الحديث كرين بريتون ترجمة عبد الرحمن مراد صـــ٣٢ دمشق .

الأباطرة يتخذونه لأنفسهم إبان الوثنية، وهو لقب كاهن القرابين الأكبر[1] وغدا البابا بجانب صفته الدينية كرأس للكنيسة الغربية حاكماً دنيوياً لا يختلف عن الملوك والأمراء المعاصرين له، فكانت له أقاليم يحكمها ويسيطر عليها بواسطة أجهزة حكومية تابعة له[2].



١ - معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ صـ٧٢٤ ، وموجز تاريخ العالم صـ١٩١

٢ - أوربا في مطلع العصور الحديثة جـ١ صـ٩

وثيقة (هبة قسطنطين) هل تسند سلطان البابا؟

ولقد أثبتت الدراسات الإنسانية التي كانت ثمرة من ثمرات الفكر الإسلامي على أوربا بطلان وثيقة (**هبة قسطنطين**) التي استندت عليها البابوية لقرون عديدة، وقام كثيرون من الإنسانيين، وعلى رأسهم (**لورنزو فالا**) بكشف زيفها.

وإضافة إلى ذلك فإننا نلاحظ أن هذه الوثيقة لـــم تكن لتدعم سلطان البابوات بصورة قوية وذلك لـــما يأتي:

١- إن الإمبراطور قسطنطين سن لنفسه حق الدعوة إلى المجامع الكنسية، وبذلك حجب البابا عن أخص سلطاته الدينية.

٢- منذ عصر قسطنطين فصاعداً أخذت الكنائس الشرقية تتطلع إلى توجيهات القسطنطينية لا روما، وأصبح مركز الوحدة هو البلاط الإمبراطوري لا الكرسي الرسولي[١]

٣- إن روما بعد أن تركها الأباطرة أصبحت مهددة بالذبول بعد أن كانت سيدة العالم ومهد الأباطرة العظام [٢]

غير أنه مما لا شك فيه أنه لو ظل الأباطرة في روما لما استطاع البابوات وهم حماة التقاليد أن يجتـــنبوا المصير الذليل الذي آل إليه البطارقة البيزنطيون ، وكان من المحتمل أن لا تكون هناك سلطة بابوية في الغرب مثلها مثل الشرق تماماً.

---

(١) تكوين أوربا صـــ٤٥

(٢) أوربا العصور الوسطى / سعيد عاشور جـــ ١ صـــ٧١

البابوية والقداسة !

إذا كان من الصعب الحكم على إنسان لاختلاف الأعمال التي يقوم بها من صلاح وفساد، فإنه من الصعب أيضا الحكم على الباباوات حكماً عاماً، فلا يمكن القطع بأنهم كانوا جميعاً على درجة أخلاق واحدة، أو يتمسكون بالدين بنسبة واحدة، ويتحتم على الكاثوليكي أن يغض الطرف عن باباوات اشتهروا بالفضائح.. وحسبه من اتصفوا منهم الصدق في العمل من أجل المسيحية، ومن هؤلاء جريجورى العظيم وليو الثالث، وجريجورى السابع، وأنوسنت الثالث، وبونيفاس الثامن.

وأما ما عدا هؤلاء فحدث ولا حرج، فلم يقتصر الفساد على الباباوات، بل كان رجال الدين في أوربا على غاية من الفساد، وكانت رائحة الفضائح بينهم تزكم الأنوف، وخاصة في روما مركز البابوية التي وصفت **(بأنها دودة ضخمة تمتص الدماء)**[1] .

وكان يقال: إن ثلاثة شرور يُؤتى بها من روما:

رداءة الضمير، وفراغ الكيس، وتشويش المعدة..

وإن ثلاثة أشياء لا تعتقدها روما وهى:

خلود النفس، وقيامة الأموات، وجهنم..

وإن ثلاثة أشياء تتجر بها روما وهى:

نعمة المسيح والرتب الكنسية والنساء[2].

---

(١) قصة الحضارة جـ٢٤ صـ٢٤

(٢)تاريخ الإصلاح صـ٣٢

والمعروف أن الرهبان ومنهم الكرادلة والباباوات بطبيعة الحال كانوا ينذرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون الدير وهي:

نذر الطاعة .. ونذر الفقر .. ونذر العفة[١]

ولكنهم لم يوفوا بواحد منها، ولم يلزموا أنفسهم بأية ضوابط أخلاقية .

فأما نذر الطاعة فلم يلزموا أنفسهم بشيء منه وإنما كانوا دائماً يتصفون بالغباء والجهل (**كثيرون منهم كانوا أميين يحرفون كلام القداس بجهلهم**)[٢] اخترعوا لبطرس رئاسة وهمية على الرسل، مع أن تلك الرئاسة تنافي الإخاء المسيحي، وتنافي سر الشركة الذي ابتدعوه، فكانوا يعتقدون أن البابا أدنى من الله، لكنه أعلى من الإنسان، يحاكم الجميع، ولا يحاكمه أحد، لأن سلطانه أعلى من سلطان جميع ملوك الأرض .. فهو أعلى مقاماً وخليق أن يعظم كما تعظم العذراء ويعظم القديسون[٣].

فعلوا كل ذلك لجهلهم بدين المسيح عليه السلام، عظموا الرهبان ولم يعظموا الخالق، وأطاعوا رجال الدين وعصوا المسيح، ولكن المصلح الألماني مارتن لوثر لم يقبل ذلك، كما لم يقبل التعالي والإسراف الذي اتصف به البابا ليو العاشر، وسعى لتغيير هذا المفهوم حتى تصبح النصرانية كالإسلام خالية من أي سلطة ثيوقراطية، ويتصل الإنسان بخالقه بغير وسطاء أو شفعاء.

---

(١) قصة الحضارة جـ٢٢ صـ٣٠

(٢) تاريخ الحضارة في القرون الوسطى صـ٧٣

٣ - قصة الحضارة جـ٢٢ صـ٢٠.

وأما بالنسبة لنذر الفقر فلم يكن اسم رجل الدين إلا مرادفاً للطفيلية والكسل، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف الكهنوتية كالسلع المعمرة، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق وتذاكر الغفران، كتب الحبر الأسباني (**الفارو بلايو**) وهو من أنصار البابوية مظهراً أسفه على حالها: (**كلما دخلت حجرات رجال الدين في البلاط البابوي رأيت السماسرة والقساوسة منهمكين في وزن المال وعده وهو مكدس أكداساً أمامهم**)[1].

وقال مواطن أسباني أيضاً: (**أرى أننا نادراً ما نحصل على شيء من خدم المسيح إلا بالمال:**

في العماد بالمال :

في الزواج بالمال :

الاعتراف بالمال :

لا. ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال.

لا يدقون الأجراس بدون المال.

لا مراسم في الكنيسة للدفن بدون المال)[2].

ولهذا كانت العامة تقلد صوت الكنيسة قائلة: داندو .. داندو !! أي هات ! هات..[3]

---

١ -قصة الحضارة جـ١٨ صـ٩٨.

٢ - تاريخ الكنيسة / لوريمر جـ٤ صـ٣٧

٣ - ثورة الفكر / لويس عوض صـ١٣٣ ، ١٣٤.

والقديسة أريجينا التي عاشت في الجيل الرابع عشر قررت - وهي الكاثوليكية - أن البابا قد جمع الوصايا العشر في كلمة واحدة، ألا وهي قدم لي مالاً ؟[1].

وهكذا أصبح رجال الدين لا شغل لهم غير المال، ويقتنون الضياع، ويبيعون صكوك الغفران، ويبيعون الوظائف الكنسية لمن يدفع أكثر، تلك هي حياتهم .. حتى المسحة الأخيرة لا يفعلونها ابتغاء وجه الله .

وأما نذر العفة فلم يكن الباباوات إلا مسرفين في الشهوات، فلم يجلسوا على كرسي بطرس إلا بالرشا، أفسدوا الحياة العامة والحياة الدينية إذ أنهم كانوا قدوة، وقد فسدت هذه القدوة، وكما يقول المسيح (**أنتم ملح البلد فمن يصلح الملح إذا الملح فسد**) .

إن الكثرة الغالبة من الباباوات لم يجلسوا على كرسي البابوية إلا بالرشا أو القتل، وقد ظل الكرسي البابوي عدة قرون تحت رغبات النساء ذوات الخلق الدنيء والمقام السامي، حتى جلس عليه امرأة (**يونا**)، لجأت إلى روما مع عشيقها وكشف أمرها بأن عراها المخاض في احتفال ديني، وبقيت أسرة ثيوفيلاكت أحد كبار الموظفين في قصر البابا ترفع الباباوات إلى كراسيهم وتنزلهم عنها كما يحلو لها، واستطاعت ماروزيا (**ابنة ثيوفيلاكت**) أن تختار عشيقها سرجيوس الثالث لكرسي البابوية ٩٠٤ - ٩١١م، كما أفلحت زوجته ثيودورا في تنصيب البابا يوحنا العاشر

---

١ - لوثر مبتدع البروتستانتية / نبيه نصر صـ٢٦ ط/ المطبعة التجارية الحديثة.

٩١٤-٩٢٨م، وقد أُتهم يوحنا هذا بأنه عشيق ثيودورا، وظلت ماروزيا تستمتع بعدد من العشاق واحداً بعد واحد حتى تزوجت (جيدو) دوق تسكانيا، وأخيراً تولى حفيد ماروزيا البابا يوحنا الثاني عشر[١] ذو السيرة السيئة البابوية وامتازت ولايته بضروب من التهتك والدعارة في قصر (لاتيران)[٢].

وفى سنة ١٠٣٣ أجلسوا على كرسي البابوية فتى نشأ في الفساد وعرف بـ (**بندكت التاسع**) فعاش وهو بابا متمرغاً بأدناس الرذائل التي نشأ فيها، وحاملاً أوزار الزناة وملطخاً بالدماء، ثم باع الرتبة البابوية لإكليروس روما[٣].

---

١ - البابا يوحنا الثاني عشر ٩٥٥-٩٦٤م تولى البابوية وهو في سن السادسة عشر من عمره، وأدانه مجلس كنسي من الكرادلة بأنه زنى بخليلة أبيه وضاجع أرملته وابنة أختها، وأنه حول قصر البابا إلى ماخور للدعارة ورفض يوحنا أن يحضر أمام المجلس أو أن يجيب عن هذه التهم وخرج للصيد فقرر المجلس خلعه .. أنظر قصة الحضارة جـ١٤ صـ٣٧٩.

٢ - انظر في هذا تكوين أوربا صـ٣٥٠ قصة الحضارة جـ١٤ ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، وتاريخ الإصلاح صـ٧ وتاريخ الحضارة في القرون الوسطى صـ٨٠ وتاريخ الفلسفة الغربية ك٢ صـ١٥١ ومذاهب فكرية معاصرة / محمد قطب صـ١١ وعن هذه الفترة الداعرة في تاريخ البابوات انظر أيضاً تاريخ الانشقاق تأليف الأرشيمندريت جراسموس مسرة اللازقى جـ٢ من صـ ٦ إلى صـ٤٢ ط/ المطبعة الشرقية الإسكندرية.

(٣) تاريخ الإصلاح صـ٧

أما كلمنت السادس فكان يستمتع بمفاتن النساء الفرنسيات وهو الذي قرر أن اليوبيل يجب أن يقام كل خمسين عاماً فابتهجت روما حين سمعت هذا الخبر السعيد(١).

واشتهر أنوسنت الثامن بأنه (**رجل المحسوبية وخراب الذمة، كما أنه كان أول بابا يعترف علنا بأبنائه غير الشرعيين**)(٢).

وكان البابا بيوس الثاني ١٤٥٨- ١٤٦٤م له عدد من الأبناء غير الشرعيين، وكان ينتقل من امرأة إلى امرأة وهو مرح، ولم يجد اللعين ضيراً في أن يقتبس مما يسميه بالكتاب المقدس ما يؤيد أغراضه فيقول: بأنه ليس أكثر قداسة من داود ولا حكمة من سليمان)(٣).

وكان مما زاد الأخلاق المسيحية انحطاطاً انحطاطها في روما (**وهى قبلة العالم المسيحي الأولى**) والتحيز للأقارب بلا مبالاة وبيع الرتب الكهنوتية بلا حياء.

وكان البابا اسكندر السادس (**١٤٩١- ١٥٠٣**) خير من يمثل تلك الصفات، فقد استطاع أن يصل إلى كرسي البابوية بطريق رشوة أعضاء المجمع المقدس(٤) ثم جعل الحكم في الفاتيكان من نصيب أسرة (بورجيا)

---

(١) قصة الحضارة جـ١٨ صـ٩٤ وتاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٧٣

(٢) ثورة الفكر في عصر النهضة صـ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) قصة الحضارة جـ٢٠ صـ٤٤ ، ٨١ .

(٤) أوربا في مطلع العصور الحديثة / عبد العزيز الشناوى جـ١ صـ١٦٧ .

التي ينتمي إليها، فملأ المناصب بأولاده غير الشرعيين[١]، واعترف أمام مجمع الكرادلة صراحة بأن سيزارى ابن غير شرعي له[٢].

وعندما أراد أن يطلق ابنته لكريدسيا اقمه زوجها بأنه كان يضاجع ابنته[٣]، وهو اقام لم يكن يخطر على بال أحد، ولكن أهل روما كانوا يتهمون لكريدسيا على الدوام بمضاجعة أبيها وأخيها، حتى لقد وصفها أحد الكتاب ذلك الوصف الجامع بأنها: (**ابنة البابا وزوجته وزوجة ابنه**)[٤].

باختصار كانت حياة هذا البابا ملـــيئة بالقاذورات، اتخذ لنفسه سنة ١٤٨٩م عشيقة موفورة الجمال، صغيرة جداً في سنها، اغتصبها من خطيبها، واحتفظ بها بعد ارتقائه كرسي البابوية، وضحى في سبيلها بكل مرتخص وغال، ومع ذلك لم يحفظ لها ذرة من إخلاص، وأبقى عليها إشباعاً لغريزة حب التملك، فقد كان له ولع شديد بالفاتنات من الفتيات.

نعم .. كانت حياة هذا البابا الذي عاش قبيل أحداث الإصلاح تدعو إلى الخجل والألم.

---

(١) أوربا في مطلع العصور الحديثة / محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس جـــ١ صـــ١١ ط/ الأنجلو المصرية.

(٢) قصة الحضارة جـــ٢٠ صـــ١٠٥ اعترف اسكندر بأربعة أبناء غير شرعيين هم : جيوفنى وسيزارى ولكريدسيا وجيوفرى .. انظر قصة الحضارة جـــ٢٠ صـــ٨١.

(٣) قصة الحضارة جـــ٢٠ صـــ١٢٤.

(٤) قصة الحضارة جـــ٢٠ صـــ٩٣ ، ١٢٦

والحقيقة أننا لا نستطيع الدفاع عن مسلكه الشخصي، ذلك لأن المؤرخين الذين سجلوا لنا هذه المخازى هم من النصارى وتحت إشراف الكنيسة.

ومما يذكر أن سافونارولا قد راعته نزوات هذا البابا وانغماسه في حياة المجون والشراب والفسق، فكتب سنة ١٤٩٧م إلى ملوك أوربا وأُمرائها يقول عن هذا البابا: (**اقسم لكم أن هذا الرجل ليس بابا، وأؤكد أنه ليس مسيحياً، ولا يعتقد في وجود الله**) ومع ذلك مضى البابا في غيه وارتكب في ٣١ أكتوبر سنة ١٥٠١ فضيحة خلقية في غير حياء ولا تأثم، وفى غير مداراة ولا احتشام[1].

وهكذا أصبح الإكليروس لمنعهم من الزواج الطاهر على غاية من الفساد والإفساد، وأصبح الناس يفرحون عندما يروا للكاهن سرية دفعاً لشره عن المحصنات[2] وكان الأهلون يعترفون بأنه لا غبار على رجال الدين من عادة التسري، بل كانوا يشجعونها لأنهم يرونها وقاية لبناتهم وزوجاتهم[3].

---

١ - أوربا في مطلع العصور الحديثة / الشناوى جـ١ صـ١٦٨

(٢) تاريخ الإصلاح صـ١٥.

(٣) قصة الحضارة جـ٢٢ صـ٤٨ .

وحذر أرازموس سيدة شابة تريد الاحتفاظ ببكارتها فطلب منها أن تتحاشى هؤلاء الرهبان مفتولي العضلات ذوى الكروش البارزة . . فالعفة عرضة للخطر في الدير أكثر من تعرضها له خارجه[1].

وقد وافق الحكام الألمان من رجال الدين والعلمانيين على السواء على رأى القديس أوغسطين والقديس توما الإكويني بأنه يجب أن يسمح بالبغاء، إذا كانت النساء بمنأى عن الإغراء أو الاغتصاب، وكانت المواخير تحصل على ترخيص، وكان أساقفة مايتر يحصلون على دخولهم من تلك المواخير[2]. بل كان من رجال الدين من لهم صلات جنسية بالتائبات من النساء[3].

وآخر الباباوات قبل الإصلاح الكنسي كان البابا يوليوس الثاني ١٥٠٣ -١٥١٣م وهو البابا الذي زار مارتن لوثر روما في عهده ورأى فيها ما أذهب بإيمانه وعاد ناقماً على البابوية وفسادها. شاهد لوثر في رحلته تمثالاً من الحجر لبابا في صورة امرأة وعلى يديها طفل فسأل عنها فقيل له إنها امرأة اختارها الكرادلة بابا فولدت هذا الطفل[4].

لقد شاهد لوثر في روما التهتك والدعارة، حيث لم يكن هذا البابا أسمى من سابقيه فكان له ثلاث بنات غير شرعيات[5].

---

(١) قصة الحضارة جـ٢٣ صـ١٩٩ .

(٢) قصة الحضارة جـ٢٣ صـ٢٣٢ .

(٣) قصة الحضارة جـ٢٣ صـ٤٧ .

(٤) تاريخ الإصلاح صـ٥٧ .

(٥) قصة الحضارة جـ٢٠ صـ١٤٥.

وكانت مدينة آرفورت في نظر المصلح الألماني لا تفضل ماخوراً للدعارة أو مشربا للجعة، وأما مدينة (جنيف) فيذكر مجلس مدينتها تقريراً يكشف عن نسبة مئوية عالية من الأطفال غير الشرعيين . . ومن الذين أُدينوا بالزنى صهر المصلح جون كلفن وابنة زوجته[1].

۞۞۞

---

(١) قصة الحضارة جـ٢٤ صـ٢٣٥.

بنديكيت السادس عشر : وخاتمة إصلاح أم بداية فساد !

منذ أن اعتلى هذا البابا الكرسي الرسولي والعالم المسيح يتطلع ليسمع صوت الإصلاح داخل الكنيسة الكاثوليكية، و لم تكن تصريحات هذا البابا إلا مبرراً لاتساع آمال الناس في الإصلاح بعد أن أعلن حربه على الشذوذ والانحراف الجنسي داخل الكنيسة.

كثيرون حتى وقت تصريحاته ضد الإسلام كانوا يظنون أن الباباوات أكثر رجال الدين علماً وفهماً للدنيا والدين، ولكن تصريحات البابا مؤخراً بشأن الإسلام كشفت كل مستور، فتبدد أحلام الناس في البابوية وفي إصلاح الكنيسة على أيدي الباباوات.

لقد ظهر أن البابا الكاثوليكي أكثر جهلاً من أحد حكام العصور الوسطى، إنه أكثر جهلاً حتى من شارلمان[1] !

---

(١) رغم أن شارلمان كان أمياً إلا أنه صار لاهوتياً بارعاً وسياسيا محنكاً، فقد اقترح إضافة كلمة (ومن الابن) إلى قانون العقيدة النيقاوية.

كذلك قرر شارلمان أن يترل بشخصه إلى ميدان التراع اللاهوتي ضد العالم البيزنطي وضد البابوية في مسألة التراع الأيقوني، وكلف جماعة من اللاهوتيين الذين في خدمته أن يؤلفوا سلسلة من المقالات ضد مجمع نقية الثاني ٧٨٧م الذي كان أخر مجامع عصر الآباء.

وفى عهد شارلمان أيضاً ظهرت مشكلة لاهوتية في الجزء المسيحي من أسبانيا، وهى مشكلة المذهب الذي يقول بأن المسيح بطبيعته ليس إلا ابناً تبناه الله عز وجل، فتصدى شارلمان لهذا المذهب وحصل على قرار بابوي ببطلانه، وعقد عدة مجامع عمل فيها هو وأعوانه على دحض هذه العقيدة وإثبات فسادها انظر/ أوربا العصور الوسطى د/ عاشور جـ١ صـ٧٢ .

إنه أقل علماً حتى من فريدريك الثاني.

كان فريدريك الثاني أعظم ملوك القرن الثالث عشر، تعلم الكلام الطلق بست لغات كان فيها جميعاً حاضر البديهة في فكهاته، وكان ملماً بالفلسفة العربية خير إلمام، كما كانت تربطه بالمسلمين صلات من الود مما أذى أهل التعصب من المسيحيين.(١)

وقد أجمعت المراجع على أنه تعلم العربية على يد معلم عربي في صقلية، حتى استطاع أن يقرأ الفلسفة الإسلامية في مصادرها الأصلية، وبذلك أصبح بلاطه مركزاً لحركة علمية واسعة اجتمع فيها عدد كبير من العلماء الغربيين واليونانيين فضلاً عن اليهود الذين اشتغلوا تحت رعاية الإمبراطور بترجمة كتب الفلسفة العربية.

إن فريدريك كان يتكلم العربية وكأنها لسانه القومي، كان يعرف كذلك الحساب العربي وشارك في مجادلات التجار العرب والأئمة من رجال الدين، فأجاد المحاولات والمجادلات حول الله والعالم.

ويظهر أن الإمبراطور لم يكتف بقراءة الكتب العربية وترجمتها فشرع يراسل العلماء المعاصرين له من المسلمين ليستنير بآرائهم، فبعث إلى ملوك مصر والشام والعراق والأندلس بأسئلة آمـــــلاً أن يجيب عنها حكماء المسلمين، فلم يتصد للرد عليها رداً شافيا أعجب فردريك مثل رد ابن

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية ك ٢ صـــ٢٢١

سبعين، ولا تزال هذه المسائل محفوظة إلى اليوم وهى المسماة بالمسائل الصقلية.[1]

وبقدر ما كان فردريك متأثراً بالفكر الإسلامي كان مؤثراً في الفكر الأوربي، فقد عمل على إضعاف سلطة الكنيسة فاعتبر نفسه حامى الكنيسة متأثراً في ذلك بالدين الإسلامي الذي أعطى للخليفة السلطتين الزمنية والروحية، وهكذا كان الإمبراطور من أول الثائرين على البابوية، ولا عجب أن نرى الجهل لا يزال يسيطر على الباباوات، فالبابا الحالي لم يعرف العربية ولا الإسلام، و لم يراسل علماء المسلمين ليتعلم منهم، ولكنه في نفسه أكثر الإنسانية علماً، وهو لم يصل إلى حد أن يتساوى مع طفل مسلم، فبإمكانك أن تختبر طفلاً مسلماً في حفظ القرآن الكريم كاملاً، وليس بإمكان البابا أن يقرأ عن ظهر قلب الصفحة الأولى من إنجيل متى ! ولهذا نجد الإمبراطور يكن الاحترام للعرب، والبابا لا يكن إلا كل عداوة وحقد.

فالإمبراطور أثناء زيارته للعالم العربي حرص سلطان مصر على المحافظة على شعوره الديني، فأمر المؤذن في القدس أن يتوقف عن الآذان طيلة إقامة الإمبراطور ولكن الإمبراطور سأل القاضي شمس الدين الذي كان

---

(١) ظهر الإسلام جـ٣ صـ٧٩ وموجز تاريخ العالم صـ٢٣٢ وأثر العرب والإسلام على النهضة الأوربية صـ١٧٨ ، والإسلام في أسبانيا صـ ٦٥ وابن سبعين هو عبد الحق ابن سبعين الأندلسى (٦١٤- ٦٦٩هـ ١٢١٨- ١٢٧٠م) وقد طار صيته في حياته حتى وصل مسامع كونت روما والبابا وأرسل إليه الإمبراطور فردريك ليستطلع آراءه في بعض المسائل / تاريخ الأندلس صـ٣٨٨ .

يرافقه مدة ضيافته وإقامته في القدس، أيها القاضي. لما لا يؤذن المؤذن للصلاة؟ .

فأجابه القاضي: يا ملك الملوك إننا نعرف كيف نقدر زيارتكم.

فتألم القيصر وقال له: إنكم تأتون ظلماً في بلدكم ووطنكم من أجلي، وذلك بتغيير عاداتكم وتقاليدكم ؛ إنكم لستم في حاجة إلى هذه المخالفة لو كنتم في بلدي، وعلاوة على ذلك فقد سرني جداً سماع المؤذن ليلاً[1].

أما بابا الكاثوليك فبسبب جهله لا يطيق اسم الإسلام، ولا يرغب أن يسمع في العالم كلمة (التوحيد) .

الإمبراطور يعلن أنه لا يعقل أن يكون الله في نظر المسيحيين هو المتجسد في جسم معين.

ولا يعقل أن الله ولدته امرأة عذراء.

ويعلن بذلك ثورة على الكنيسة

أما بابا روما فقد ساءه دعوة الإسلام إلى توحيد الله، ولم يبال وهو يضع نفسه موضع السخرية من أهل العلم في جميع أنحاء العالم الذين لم يعرفوا الإسلام إلا ديناً يدعو إلى العقل ويحترم الآخر.

إن هذا البابا الجاهل بتاريخ الإسلام وتاريخ أسلافه لم يستخدم عقله مما يفسر سر تمسكه بعقيدة الثالوث رغم مخالفتها للعقل والمنطق.

---

(١) شمس الله على الغرب صـ ٣٤٦ ، ٣٤٧.

والمعروف عن الباباوات أهم يميلون إلى عبادة المحسوسات، وإليهم يرجع الفضل في انتشار عبادة الصور والتماثيل، ومن هنا كانت التماثيل المقامة في بعض الكنائس الكبرى والنقوش المحفورة في أساسها والصور المقدسة ومخلفات القديسين، فكانت أديرة كثيرة تدعى أن بها مخلفات لبعض القديسين، وكان الناس يعزون إلى الرهبان السيطرة على ما لهذه المخلفات من قدرة على فعل المعجزات.

وليس أدل على جهلهم وقذارهم من قول القديس (أدو) رئيس دير كلوني المُتَوَفَّىَ ٩٤٢م: (**إن بعض رجال الدين في الأديرة وخارجها يستهترون بابن العذراء استهتاراً يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكاناً تضع فيه الطفل عيسى**)[1].

ومن حقنا أن لا نتوقع أن يخرج من الأديرة أكثر من غباء بنديكيت السادس عشر، فالرهبنة التي احتضنه أضافت صرحاً من الخرافات إلى المسيحية فوق خرافات بولس التي لا صلة بينها وبين مبادئها الأولى، أنشأها عقول الرهبان التي خيم عليها الجهل وأهكها تعب الجسم ورهبة الروح في كفاحها للخلود .

وقد أصبح المسيحيون وخاصة الرهبان منهم ينهون عن النظافة ويعدوها من عمل الوثنيين (**المسلمين**) وكانوا ينظرون إلى النظافة بعين الكراهية، فالقمل كانوا يسمونه لآلئ الله، كما كانوا يتخذونه علامة

---

(١)قصة الحضارة جـ١٤ صـ ٣٧٥ ، ٣٧٦

القدسية في حامله، وكان القديسون والقديسات يفخرون بأن الماء لم يمس أقدامهم إلا حين استدعت الضرورة أن يعبروا الأنهار[١].

وأزهد الناس وأتقاهم عند الرهبان أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس، يقولون عن الراهب أنتوني (إنه لم يقترف إثـــم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب إبراهام لم يمس الماء وجهه ولا رجله خمسين سنة[٢] .

ومن العجب أن الرهبان والراهبات كانوا يفخرون بقذارتهم (حتى إن راهبة دونت بعض مذكراتها في صلف وعجب إنها إلى سن الستين لـــم يمس الماء منها إلا بعض أناملها عندما كانت تغمسها في ماء الكنيسة المقدس.. وحينما عادت أسبانيا إلى الحكم المسيحي أمر المسيحيون المنتصرون بهدم كل الحمامات العامة في أسبانيا[٣] .

لقد استخف الرهبان بقوة الغريزة الجنسية وهم يقسمون أن يبقوا عذاباً، ولكنهم بعد أن يفيقوا من نشوتهم، وتضعف حماستهم الدينية يعجزون عن إلتزام العفة والطهارة، وقد أدى ذلك إلى انتشار الفسق والفجور فيما بينهم، حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضرب من المساكنة الروحية[٤].

---

(١)تاريخ الفلسفة الغربية / رسل جـــ٢ صـــ١١٧

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـــ ٢٤٠

(٣) التاريخ الإسلامي د/ أحمد شلبي جـــ٤ صـــ٩٩.

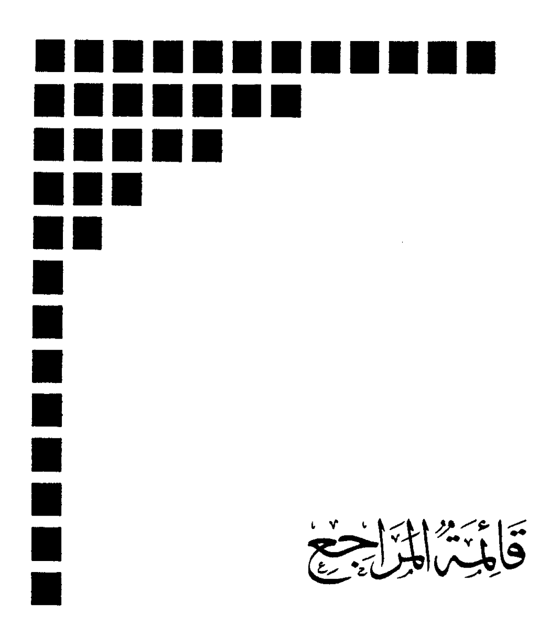
(٤) الأسفار المقدسة د/ على عبد الواحد وافى صـــ١٤١ ط/ نهضة مصر .

وبذلك أصبح من الأمور الشائعة أن ينجبوا أولاداً من الراهبات أو **(أخوات الزوجات)** كما سماهن بولس.

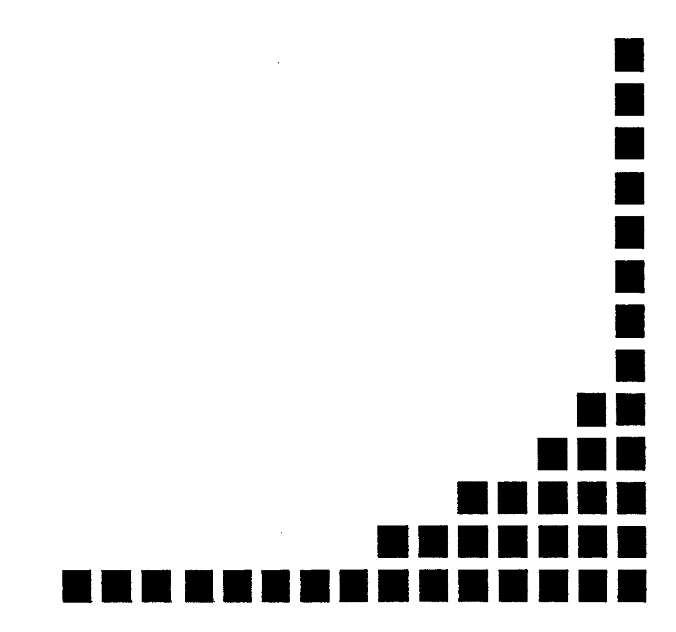
وإذا كان الإسلام قد نبه على أن الرهبنة بدعة لم تكن ضمن تعاليم المسيح عليه السلام، فإن بنديكيت السادس عشر يعتبر الإسلام ديناً بعيداً عن العقل.

وكان قد قوى الأمل لدى الناس عندما أعلن إثر جلوسه على أريكة البابوية محاربة الشذوذ الجنسي. لكنه ترك الشذوذ الجنسي يفتك بالخراف ثم جاء يحارب الإسلام.





قائمة المراجع



قائمة المراجع

١) القرآن الكريم .

٢) الكتاب المقدس .

أـ ترجمة سميث / فان دايك عام ١٨٦٥ صدرت عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (مرجع أساسي) .

ب ـ الترجمة المشتركة بين الكنائس الثلاث والتي صدرت أيضاً عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (مرجع إضافي) .

٣) أعمال الرسل هوارد مارشال نقله إلى العربية نجيب جرجور ط/ دار الثقافة.

٤) أوربا العصور الوسطى د / سعيد عبد الفتاح عاشور الجزء السياسي نشر / الأنجلو المصرية الطبعة التاسعة ١٩٨٣م .

٥) تاريخ الفكر المسيحي د / حنا جرجس الخضري ط/ دار الثقافة .

٦) تاريخ الكنيسة – لووريمر ط/ دار الثقافة.

٧) تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) حبيب سعيد صـ ٤٨ دار الثقافة .

٨) تفسير أعمال الرسل بقلم هوارد مارشال ترجمة نجيب جرجور ط/ دار الثقافة.

٩) التفسير الحديث للكتاب المقدس رسالتا بطرس الثانية ويهوذا بقلم مايكل جرين ترجمة بهيج يوسف ط / دار الثقافة

١٠) تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين أعمال الرسل بقلم (بروس) منشورات النفير طبعة ثانية ١٢,١٩٩٠- .

١١) تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسس داندس نشر / دار منشورات النفير الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

١٢) دائرة المعارف الكتابية وليم وهبة بباوي وآخرين مادة بطرس دار الثقافة.

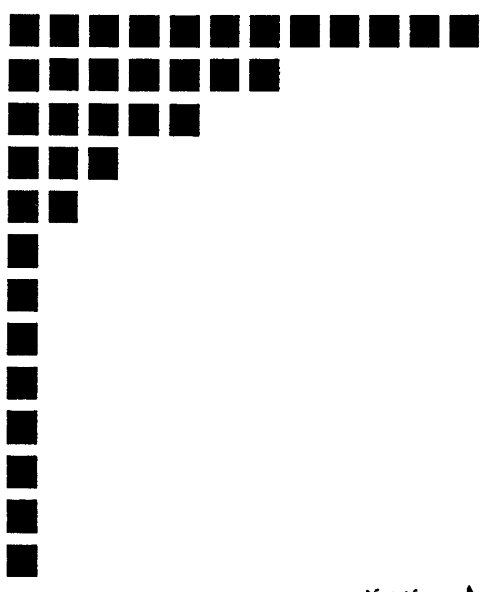
١٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ط/ دار المعارف .

١٤) رسالتا بطرس ناشد حنا ط / ثانية كنيسة الأخوة ١٩٩٨م .

١٥) العظماء مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ مايكل هارت ترجمة أنيس منصور ط / الزهراء للإعلام العربي .

١٦) المدخل إلى العهد الجديد د/ فهيم عزيز ط/ دار الثقافة.

١٧)مواقف من تاريخ الكنيسة رولاند بينتون ترجمة القس عبد النور مخائيل ط / دار الثقافة الثانية .



الفهرس

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة


تم بحمد الله



